



الناري الشباني

الأخوان المسلمون

في العراق

١٩٤٤م - ٢٠٠٣م



الناشر

مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَمِيدِ

المطبعة العامة بغداد



الأخلاق الإسلامية

في العراق

١٩٤٤م - ٢٠٠٣م

بقلم الدكتور

محسن عبد الحميد

أستاذ التفسير والعقيدة والفكر

في جامعة بغداد



حقوق الطبع محفوظة

ولا يسمح بإعادة طبع هذا الكتاب أو جزء منه أو تخزينه أو نقله
دون إذن خطي مسبق من المؤلف

الطبعة الثانية

منقحة

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م



النَّارِي السُّبَايِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .
وبعد... فإن د. محسن عبد الحميد مؤلف هذا الكتاب رجل دعوة وباحث أكاديمي
وأستاذ جامعي تربي في ظل الإسلام وعمل له وصاغ نفسه وفق تعاليمه وخاض
معارك شرسة مع خصوم الإسلام وظل ثابتاً على التزامه بالحركة الإسلامية المعاصرة
في أشد الظروف قساوة فكان معلماً من معالم الإخوان المسلمين في العراق وطوداً
شامخاً أمام التحديات .

ومعرفتي به قديمة من خلال إخوانه ولكن لقائي به كان سنة ١٩٨٤م في
المغرب حيث كان معاراً للتدريس في جامعاتها وظل اللقاء به متواصلاً حتى
اليوم والحمد لله .

أما كتابه الذي بين أيدينا وهو (الإخوان المسلمون في العراق ١٩٤٥-٢٠٠٣)
فهو من الوثائق المهمة عن حركة الإخوان المسلمين في العراق وقد سعدت بقراءته
واستفدت الكثير منه واعتبرانه مع غيره من المؤلفات التي سبقته في هذا الموضوع
حلقة مهمة لتسليط الضوء على هذه الحركة المباركة : حركة الإخوان المسلمين العالمية
التي يمثل اخوان العراق جزءاً منها .

لقد اعجبت غاية الإعجاب بإستعراضه للأوضاع بمصر عند ظهور حسن البنا
وتكوينه لجماعة الإخوان المسلمين ومراحل عملها ومنهجها والتحديات التي

الإخوان المسلمون في العراق

واجهتها وثباتها واستمراريتها .

كما عرج المؤلف على أوضاع المجتمع العراقي عند ظهور جماعة الإخوان المسلمين في العراق وبداية العمل الدعوي من خلال بعض الدعاة المصريين من الأساتذة ثم الأستاذ محمد محمود الصواف وجهوده لتأسيس الحركة وقياداتها وانتشار فروعها في القطر العراقي وقد أوضع منهاجها وخط سيرها والمشكلات التي عالجتها والعقبات التي تعرضت لها في العهد الملكي ثم الجمهوري وقيادة الأستاذ محمد محمود الصواف ثم عبد الكريم زيدان بعد مغادرة الصواف العراق الى مكة المكرمة .

ثم تحدث المؤلف عن الحزب الإسلامي العراقي الذي أنشأته الحركة ودوره في الأحداث التي مرت بالعراق ومواقفه من الحكومة والحركات السياسية كالشيوعية والقومية العربية والكردية والتركمانية والمشكلات العمالية والاجتماعية ودستور الحزب ومذكرته الشهيرة .

والخلاصة التي خرجت بها من قراءة هذا الكتاب القيم أنه إضافة مهمة للدارسين لحركة الإخوان المسلمين يضاف الى ما سبقه من كتب للصواف والمشايخي والدباغ وغيرهم جزاهم الله كل خير .

والمؤمل من أبناء الحركة الإسلامية في الأقطار كلها أن يدرسوا بتأمل مسار الحركة الأم في مصر وفروعها في الأقطار العربية والإسلامية ليستفيدوا من تجاربها ويطوروا من أساليبها ويتحركوا بهذه الدعوة المباركة التي هي إمتداد لدعوة الرسول ﷺ الملتزمة بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة والتي أثبتت صلابتها في المحن التي تعرضت لها وقدمت الشهداء في فلسطين ومصر والعراق وسوريا ولبنان والسودان وبقية ثابته على مبادئها من:

(أن الله غايتنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلها والموت في سبيل الله أسمى

أمانينا).

أكرر شكري الجزيل للأخ الكريم د. محسن عبد الحميد مؤلف هذا الكتاب القيم وأرجو الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وأن يبارك في جهوده وجهود إخوانه وأن يثبتنا على الحق ويرزقنا الإخلاص والصدق ويدخلنا جنته برحمته وفضله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستشار

عبد الله عقيل سليمان العقيل



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد... فإن تسجيل تاريخ بلد ما بكامله، وعرض تفاصيله بدقة وموضوعية وإنصاف، يساعد الباحثين في فهم ذلك البلد، وتحليل ما جرى فيه من تطور ونمو، أو إعاقة وتأخر؛ في اتجاهات الحياة كلها.

والعراق في العصر الحديث؛ مرّ بظروف معقدة ولدت تيارات فكرية وسياسية متنوعة كثيرة، بعضها نبع من أعماق المجتمع العراقي ومشاكله، وبعضها الآخر كان وليد العوامل الخارجية الغربية عنه، تاريخاً ودينياً وحضارة.

ومن تلك التيارات التي نبتت من المجتمع العراقي الذي هو جزء لا يتجزأ من المجتمع العربي والإسلامي، التيار الإسلامي الذي تجسّد بأوضح ما يكون في حركة الإخوان المسلمين التي دخلت فيه من شقيقته الكبرى، مصر العربية المسلمة، للظروف نفسها التي وجهت المرحلة الحضارية المشابهة في البلدان الإسلامية وسائر البلاد العربية.

على أن أي تيار اجتماعي أو سياسي لا يظهر في مجتمع ما فجأة ودون مقدمات، لأن الاستجابات الاجتماعية والحضارية تعقب دائماً التحديات التي تواجه مجتمعاً ما أو حضارة ما.

إن التحديات الكبرى التي واجهت المجتمع العراقي بعد الحرب العالمية الأولى، كانت نتيجة التأخر والجهل والجوع والمرض وانعدام التوجيه الإسلامي السديد أيام الدولة العثمانية، والتي أسلمته إلى الاحتلال الإنجليزي الغاشم، الذي بدوره حاول

إضعاف العراق وتمزيقه ومحاولة القضاء على مقوماته الإسلامية المرتبطة بتاريخه ودينه وأعباده وثقافته وحضارته. تارة بنشر التغريب اللاديني فيه، وتارة بسوقه إلى التغريب الشيوعي الذي أراد أن يسلم المجتمع العراقي في ظل الشعارات البراقة إلى ساحة احتلال، لم تكن بأقل خطورة من الاحتلال الإنجليزي الظالم.

ومن هنا كان لابد للإسلام أن يتحرك لإعادة وجه العراق إلى أصلاته وقاعدته الإسلامية، وتخليصه من قيود الغرباء والدخلاء، سواء أكانت تلك القيود متمثلة في احتلال عسكري، أم استلاب فكري حضاري غريب.

وكان للإخوان المسلمين النصيب الوافر من ذلك الجهاد الإسلامي الشامل الذي

شمل :

١ - مقاومة الاستعمار الإنجليزي، بفضحه وكشف عملائه والأعبيه، وبيان حكم الشريعة الإسلامية في تحريم موالاته، والدخول في أحلاف استعمارية عسكرية معه.

٢ - الوقوف أمام الشيوعية ورد مفترياتها وزيف مبادئها التي أرادت أن تسلب العراق إسلامه وعروبه وكيانه المستقل.

٣ - إحداث وعي إسلامي حقيقي بين أبناء الشعب العراقي، كي يحصنهم من الأفكار المستوردة المخالفة لأصول العقيدة الإسلامية، والمنافية لشريعتها ونظام أخلاقها.

٤ - دفع العراق إلى الخط الأمامي للدفاع عن مقدسات الأمة في فلسطين، ودحر مخططات اليهودية العالمية في الأرض العربية المسلمة.

٥ - انتشال المجتمع العراقي من وهدة التأخر والسقوط، كي يأخذ مكانته التاريخية السامية في البناء الحضاري الإنساني من أجل تحويل العراق إلى مركز إشعاع عالمي من جديد.

ومن هذا المنطلق فإن كتابة تاريخ ظهور جماعة الإخوان المسلمين في العراق، وما

قاموا به في فترة الدراسة، من أشرف الأعمال، على المستوى العراقي والعربي الإسلامي، غدت ضرورة تاريخية، حتى يعلم إخوانهم الآخرون الذين ضمتهم تيارات قومية ووطنية في الفترة نفسها، ومن جاؤوا بعدهم، أن هؤلاء الإخوان من أبناء جلدتهم كانوا مخلصين لدينهم ووطنهم، عاملين في سبيل سعادتة وتقدمه، ولم يكونوا رجعيين عملاء كما نشر عنهم الإرهاب الشيوعي والانحراف اللاديني والماسوني، لإبعاد العراق عن كل ما يمت إلى الإسلام والعروبة المؤمنة والوطنية الحقة.

ولذلك فإنني أرجو أن تملأ هذه الدراسة، فراغاً واضحاً في المكتبة العراقية خاصة، والإسلامية عامة، وأن يكمل بها رصد جوانب مسح المجتمع العراقي كله، من أجل أن تزول رواسب الصراعات الحزبية والمذهبية والطائفية الماضية، ويعترف كل طرف من أطراف العمل الجاد في هذا الوطن؛ بما فعله أخوته من أجل الأمة التي ينتمي إليها، ليتحصن الجميع في خندق واحد من أجل بناء عراق مسلم أبي، ينتمي إلى أمته العربية المسلمة ويعتز بإسلامه الذي هو أثمن شيء في تاريخه وحاضره ومستقبله، ليأخذ موقعه الحضاري، كما كان شأنه دائماً في تاريخه المشرق الطويل.

منهجي في هذه الدراسة :

لا بد لكل من يتصدى لكتابة تاريخ جماعة أو ظاهرة أو بلد، أن يسير على منهج واضح يستهدي به فيما يكتب ويحلل، ولذلك فإنني رسمت لنفسي منذ البداية منهجاً يقوم على الأسس الآتية :

١ - إن التاريخ يكتبه صانعوه أو القريبون من أحداثه، ولذا فأول ما فكرت أن أتوجه إلى العاملين الأولين في حقل جماعة الإخوان المسلمين لاستطلاع رأيهم في الواقع والأشخاص، والذين اخترتهم، أعرفهم معرفة شخصية، واثق بوعيتهم ونزاهتهم وصدقهم في رواية الأحداث والحكم على الأشخاص وتحليل الظروف والأحوال.

٢ - ما أجابوا عنه من أمور معظمها ليس غريباً عني وعن معلوماتي واستنتاجاتي، ذلك لأنني أعد نفسي أيضاً مصدراً من مصادر ما كتبت، لأنني عاصرت تلك الأحداث العامة والخاصة التي تتصل بفترة الدراسة، لاسيما من نهاية الأربعينيات إلى نهاية فترة الدراسة، فقد عشت طوال هذه الفترة في عمق الصراع الاجتماعي، لاحظ وأرى وأراقب وأتبع وأقرأ كل شيء يتصل ببلدي وأمتي، ولم أبتعد عن الأحداث الخطيرة، التي جرت لها، وما مر بها من أحداث إقليمية وعالمياً.

ومن هنا فإني أستطيع أن أكتب تاريخ بلدي من حفظي في الأقل من منتصف هذا القرن إلى اليوم (٢٠٠٣) لأنني شاهد عيان وقارئ حاضر لكل ما وقع لبلدي من كبيرة وصغيرة. ومع ذلك حاولت أن لا أنفرد بكتابة هذا التاريخ وإنما مشيت على المنهج العلمي في الاعتماد على المصادر الموثقة.

٣ - ولم أعتد على رواية الوقائع الصادقين عندي فحسب، وإنما لجأت أيضاً إلى المصادر المساعدة أو الثانوية، كلما تطلبت ضرورة توثيق المعلومات التكميلية منها لتوضيح الحدث وما حوله.

٤ - ولا أزعم أنني أستطيع أن أتجرد تجرداً تاماً من ذاتيتي، ولا يستطيع أحد أن يفعل ذلك. وحسبي أن أحاول نشدان الحق، وأن أكون عادلاً في التعبير عما اعتقده وعما أروي عن الآخرين. فإن أصبت فذلك توفيق من الله سبحانه وتعالى، وإن أخطأت فذلك مني ومن الشيطان، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه. والله أسأل أن يثبتنا على الحق، وعلى العهد الذي قطعناه على أنفسنا لنصرة الإسلام والمسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٥ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ

٢٣ نوفمبر ٢٠٠٨ م

الباب التمهيدي

• الفصل الأول :

- أوضاع المسلمين في العصر الأخير.

• الفصل الثاني :

- أوضاع مصر عند ظهور حسن البنا.

• الفصل الثالث :

- أوضاع المجتمع العراقي عند ظهور جماعة الإخوان المسلمين فيه.

الفصل الأول

أوضاع المسلمين في العصر الأخير

من يمعن النظر في أوضاع المسلمين في الزمن الأخير، يجد أن المجتمع الإسلامي سقط سقطة حضارية خطيرة في مناحي الحياة كافة، نستطيع أن نوجزها بما يأتي:

١ - البعد عن هداية القرآن والانشغال بتدقيق ألفاظه دون الغوص في معانيه والاستفادة من سنته الكونية الاجتماعية، والإطلاع على مذهبته الدقيقة في شؤون الكون والمجتمع والإنسان. سواء في جانب العقيدة أم في إدراك حكمة الشريعة أم في معرفة تفاصيل نظامها الأخلاقي.

٢ - إهمال دراسة السنة النبوية الشريفة بما فيها السيرة النبوية، والبعد عن كنوزها الباهرة في بيان القرآن الكريم، ورسم حركة الحياة الصحيحة، والاكتفاء في معظم الأحيان بتلاوة أحاديث ضعيفة أو موضوعية، تدعو إلى كراهة الدنيا وتركها بينما كانت حياة النبي ﷺ وصحابته الأكرمين حركة جهاد دائم لبناء المجتمع والدولة والحضارة، والتخطيط الذكي لإلحاق الهزيمة بالطغاة والظالمين والمعتدين على حقوق المستضعفين والمظلومين.

٣ - التعصب المذهبي المقيت الذي يهتم بالجزئيات ويتصارع عليها، ويقف عندها، ولا يتعداها إلى النظريات الكلية التي تستطيع مزاحمة النظريات القانونية الأوربية التي غزت البلاد الإسلامية تحت أسنة المستعمرين.

٤ - فقدان وحدة الأمة الواحدة، سواء أكانت وحدة الشعب العربي أم وحدة الأمة الإسلامية، حتى في أضعف أدوارها وصورها، والذي دفع إلى مزيد من التجزئة

وترسيخ اخلاف، والذي لا يحقق إلا المصالح الذاتية والعشائرية منها والطائفية والإقليمية التي ألقت في معظم الأحيان نفسها في أحضان المستعمرين^(١).

٥ - فقدان حرارة الإيمان بحل المشكلات المصرية التي كانت تجابه العالم الإسلامي، وانتشار السلبية واللامسؤولية والحياة التواكلية التي كانت تعبر عن الهزيمة الداخلية التي أصابت النفوس المسلمة، بناء على الهزائم المتلاحقة التي حلت بالمسلمين على أيديهم أو على أيدي أعدائهم.

٦ - انتشار البدع والخرافات ومظاهر الشرك الأكبر والأصغر في المجتمعات الإسلامية، والتي وضعت الدين الحق ومبادئه في التوحيد الخالص ومعرفة أحكام الشريعة ومقاصدها، وإدراك سر التقدم الاجتماعي ومقارعة قوى الظلم جانباً، بحيث انتهت، إما إلى طريقة طاغوتية جاهلة، أو ظاهرية محرفة جامدة، كانت أداة خطيرة بيد الحكام الظالمين المرتبطين بدوائر الاستعمار في العصر الأخير.

٧ - تسلط الأمراء والحكام الظلمة على مقدرات الأمة، لتكميم الأفواه والتعدي على الكرامات والتوجه الدائم إلى القضاء على حرية التعبير والكتابة وتجاهل مبدأ الإسلام في تحقيق العدل والمساواة ودفع الأمة إلى الارتقاء الحضاري، وإرتباط الكثيرين منهم بمراكز القوى العالمية، وإنخراطهم في سلك الماسونية اليهودية التي أسلمتهم إلى التقاعس عن تهيئة صفوف الأمة لجهاد الأعداء المارقين.

٨ - تقاعس العلماء - إلا من رحم الله - الذين كان المفروض عليهم أن يقودوا عملية التغيير الاجتماعي، ويقاؤهم في إطار المنهج القديم في دراسة العلوم الإسلامية، وعدم إنتقالهم إلى المناهج الحديثة. مما أدى إلى عزلتهم عن معارك الحياة، بل الكثيرون

(١) قدمت رسائل جامعية كثيرة في إثبات هذه الحقيقة، منها رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، وكنت عضواً في لجنة المناقشة عام (١٩٩٦م) وهي بعنوان (التشريع الإسلامي والغزو القانوني الغربي للبلاد العربية) للدكتور ساجر ناصر الجبوري.

منهم استسلموا إلى الواقع المتأخر، والبعض خضعوا إلى الحكام وتلقوا العامة في السكوت على انحرافاتهم العقيدية وبدعهم المتنوعة.

٩ - جمود جذوة الإبداع في الفكر الإسلامي الذي عد الفكر القديم مقدساً لا يجوز أن يمس، ووضع بدل الإسلام نفسه، وإيقاف الحياة عندما وصل إليه الأقدمون، وعدم فهم حقيقة الصراع الاجتماعي بين التحدي الجديد وضرورة الاستجابة المستنيرة له، إما للقضاء عليه أو الوصول إلى حل يتناسب مع المرحلة الجديدة في المجتمع الإسلامي.

١٠ - توقف الحركة العلمية والعقل العلمي الذي أنتج من قبل المدنية الإسلامية وثقافتها المتقدمة في عصورها الزاهية، في ظل منهج علمي تجريبي، ظل سائداً في الجامعات والمدارس الإسلامية ردحاً طويلاً، والذي كَوّن أحد المصادر الأساسية في رقد المنهج العلمي للحضارة المعاصرة الغربية^(١).

١١ - الانهيار الكبير الذي أصاب الحياة المعيشية، وانتشار الفقر والجهل والامية، نتيجة لإهمال الزراعة والصناعة والتجارة، وافتقار المجتمع الإسلامي إلى المناهج السديدة للتنمية الحضارية في مضامين الحياة كافة.

هذه الأوضاع وغيرها هي التي أطمعت المراكز الاستعمارية لغزو بلاد الإسلام، والسيطرة على مصيرها وامتصاص ثروتها ووضع العقبات دون نهوضها والعمل على الإبقاء على عوامل التأخر والتجزئة وفرض أنماطها الحضارية والثقافية - دون العلمية - على البلاد الإسلامية التي استعمرتها وحكمتها بالحديد والنار.

ومن المعلوم في الصراعات التاريخية والاجتماعية أن التحديات الكبيرة، لا بد في النهاية أن تؤدي إلى استجابة كبيرة، لاسيما في وطن لم يزل القرآن يتلى فيه، وتزار

(١) دور المسلمين في بناء المدنية الغربية، حيدر بامات، ٢٥-٢٧، منشورات المركز الإسلامي في جنيف، بلا تاريخ.

الكعبة وتقام الصلوات في المساجد، وترتفع من على مآذنها «شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهكذا اشتد الصراع في العالم الإسلامي بين الإسلام وبين القوى السرية والعننية الاستعمارية، سواء في ذلك الإلحادية، أم الصليبية أم اليهودية. لقد كان ذلك الصراع الفكري والدموي؛ كفيلاً بأن ينتج فكراً جديداً، يعيد النظر في كل شيء، ويحاول أن يدرس مكان من التوقف والتأخر في الحياة، والأسباب الحقيقية التي أدت إلى انهيار المجتمع الإسلامي، والحضارة الإسلامية، والدولة الإسلامية. ومن هنا فقد كان ظهور جمال الدين الأفغاني (ت ١٨٩٧ م) ومدرسته إيداناً ببداية هذا الفكر الجديد الذي انطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية يدعو إلى عدم نقل الفكر الماضي بكل أثقاله إلى الحاضر.

أي أن الأفغاني دعا إلى العودة إلى الأصول، حتى نتحرر من القوالب التاريخية لحركة الإنسان المسلم، كي نأخذ حريتنا في بناء حياتنا الجديدة، منطلقين من الوحي إلى العصر. استمع إليه (الأفغاني) وهو يقول: «القرآن وحده هو سبب الهداية والعمدة في الدعاية وما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم، فينبغي ألا نعول عليها كوحي وإنما نستأنس بها كراي»^(١).

فعلى ذلك فإن الأفغاني كان يدعو إلى الاجتهاد المستمر في الإسلام في إطار ضوابط الفهم الأصولي ومتطلبات العصر الجديد^(٢).

وتطبيقاً لمبدئه ذلك، فإنه في مناقشته للمذاهب المادية الغربية لم يعتمد على علم الكلام القديم؛ لأنه كان يناقش المشكلات الفكرية القديمة التي أثارها الفلاسفة واللاهوتيون أمام الإسلام والفكر الإسلامي في تلك العصور^(٣).

(١) جمال الدين الأفغاني، عبدالقادر المغربي، سلسلة أقرأ، عدد (١٨)، ص: ٦١.

(٢) الأعمال الكاملة، خاطرات جمال الدين الأفغاني للمغزومي، ص: ٣٢٩.

(٣) راجع كتاب «الرد على الدهريين».

وفي سبيل إيقاظ المجتمع الإسلامي ونقله من حالة السقوط والسكون إلى حالة القيام والحركة والتعبير، قدم الأفغاني فكراً شمولياً لإحداث نهضة شاملة في العالم الإسلامي، لأنه لم يكن يؤمن بالحلول الأحادية ولا الجرعات المؤقتة ولا العمليات الناقصة. وإنما يؤمن بأن الانطلاق لا بد أن يبدأ من دين قويم الأصول محكم القواعد، شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داع إلى المحبة، مذك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخبائث، منور للعقول بإشراف العقول من مطالع قضاياء، كامل لكل ما يحتاج إليه الإنسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها ويتأدى بالمعتقد به إلى جميع فروع المدنية^(١).

أي أنه يدعو إلى البدء من الأصول والأركان، ثم الدخول في عصر الحضارة الحديثة في ضوء توجيهات تلك الأصول والأركان حتى تبدأ تنمية المجتمع على أساس واضح مخطط بصير، من خلال أمة واعية تريد أن تحتفظ بأصالتها وحضارتها وتاريخها ثم يتقدم إلى العصر الجديد بمعرفة تامة بأصول حياتها ووعي عميق بطبيعة المرحلة التي مر بها.

والفكر الشمولي الذي يمتلكه الأفغاني، يشمل :

- * فكره السياسي القائم على أساس وحدة الأمة الإسلامية^(٢).
- * وفكره في الحكم المستند على أساس الشورى وإشراك الأمة ورفع الاستبداد في الحكم والثورة على الحاكم الطاغية الفرد^(٣).
- * وفكره الاجتماعي الذي يبنى على تقوية الأسرة، ومعرفة مكانة المرأة في شؤون البيت والإنجاب وتربية الأطفال، وعدم إخراجها إلى وظائف الحياة التي لا تنسجم

(١) الأعمال الكاملة، ص: ٦١ و ١٩٠ و ٢٠١.

(٢) العروة الوثقى، ص: ٨٤ و ١١٤ و ١١٩.

(٣) الأعمال الكاملة، ص: ٦٩ و ٣٢٢ و ٣٢٤ و ٤٧٣.

مع تكوينها الطبيعي^(١)، ومعرفة الأمراض الاجتماعية، وإدراك سنن الله في تغيير المجتمعات.

* وأما فكره الاقتصادي فيتوجه إلى اشتراكية الإسلام (حسب تعبيره) التي هي عين الحق، لأنها بعيدة عن العنف وإثارة حرب الطبقات والتعسف في استعمال الحقوق، ولذلك فإن الأفغاني يختار الانحياز الكامل إلى جانب الفقراء والمستضعفين^(٢).

* وأما فكره التربوي فيقوم على أساس مراعاة الفطرة والتنشئة على أساس المواطنة الصالحة، بتعليم متدرج.

والملاحظ أن الأفغاني ينطلق في فكره التربوي من مبادئ الإسلام المفتوحة التي تبني المجتمع في إطار الدوائر الثلاث؛ الإسلام، الدين، الإنسانية، بلا تعصب ولا أحقاد، لأن الله رب العالمين وليس رب المسلمين فحسب، ولأنه {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} {البقرة، الآية: ٢٥٦} ولأنه أمر المسلمين بحسن معاملة غير المسلمين^(٣).

* وأما رأيه في الحضارة الغربية، فينصب على رفضها لأنها حضارة بطش وطفیان، ومظاهر مادية وحضارة طبقات، تستغل الواحدة الأخرى على الرغم من العلم والمدنية^(٤).

وإذا ركزنا على دراسة جوهر فكر الأفغاني، وجدناه لا يفكر مجرداً عن الحياة والحركة. أي أن فكره ليس فكراً نظرياً عقياً غير متج، وإنما هو فكر حركي وثاب، يدعو إلى اليقظة والقيام والانتقال من حالة الجمود إلى حالة الفعل والجهاد الشامل

(١) المصدر السابق، ص: ٥٢٧-٥٢٨.

(٢) خاطرات، ص: ٢١١ و ٢١٢ و ٤١٥.

(٣) الأعمال الكاملة، ص: ٢٧٩-٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٢٤ و ٤٣١.

في الحياة^(١). ومن ذلك المنطلق يؤكد الأفغاني أن الذين يقصدون الإصلاح عليهم أن يتجاوزوا العقبات بقوة وإصرار ومواجهة واقتدار. وإن اقتضى ذلك بذل الأرواح، إذا دعا داعي الإيمان إلى ضرورة ذلك^(٢).

وطريق ذلك عنده تعارف العلماء وأهل الفكر واجتماعهم وتدارسهم وتعاونهم في نصرة قضايا الإسلام والمسلمين^(٣).

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف أنشأ في العالم الإسلامي جمعية العروة الوثقى، التي تألفت لإيقاظ الأمة الإسلامية والأخذ بها إلى أسباب النهضة ومجاهدة الاستعمار وتحرير الأوطان الإسلامية من الاحتلال، وكانت تضم جماعة من أقطاب الفكر الإسلامي والدين والتجارة في العالم الإسلامي^(٤).

توفي الأفغاني عام (١٨٩٧ م) وتسلم الراية من بعده إمامان جليلان، أولهما تلميذه الأقدم الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥ م)، وثانيهما: تلميذه الذي تعرف عليه ولم يره، لكنه أخذ فكره وعلمه ومنهجه من الشيخ محمد عبده، وهو السيد محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٨ م).

لقد استطاع الشيخ محمد عبده أن يستوعب منهج أستاذه، وحوله إلى تفسير جديد للقرآن الكريم، عرض خلاله ما كان يدعو إليه أستاذه من فكر نير ومعالجة بصيرة لقضايا المسلمين. سواء في جانب الفكر أم في جانب الواقع الأليم الذي كان يمر به العالم الإسلامي، فتحول إلى عالم بصير ومربّ نافذ الرؤية ومصلح اجتماعي، وضع عصارة فكره في رسائله ومذكراته وكتبه، بحيث أنشأ مدرسة فكرية إسلامية واسعة في

(١) العروة الوثقى، ص: ١٥٢ - ١٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٠.

(٣) العروة الوثقى، ص: ٧٥.

(٤) جمال الدين الأفغاني، باعث نهضة الشرق، عبدالرحمن الرافعي، ص: ٤٨.

العالم الإسلامي، كان قطبها الكبير بعد وفاته عام (١٩٠٥ م) السيد محمد رشيد رضا الذي أنشأ مجلته العلمية العالية، الواسعة الانتشار في العالم كله وهي: مجلة (المنار) التي كان يحررها وحده، ليعرض فيها منهج أستاذه، الأفغاني ومحمد عبده، وينزل إلى الميدان ليقود مراجعة الرصيد الإسلامي الماضي والحاضر، في صراع يومي مستمر ومستديم مع جبهات التعصب والجمود والبدع والخرافة استمر عشرات السنين، مع وقوفه الواحي الصلب، أمام الغزو الفكري الغربي والتغريب، للقضاء على أصالة الأمة في الدين والثقافة والتراث الحضاري المجيد.

وأثمرت جهود الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد، تفسيراً ضخماً للقرآن الكريم إلى سورة يوسف، باسم مجلة (المنار) مع عشرات الكتب والمؤلفات والمقالات التي عالجت القضايا العلمية والفكرية التي كانت تشغل بال العالم الإسلامي كله. لقد استطاعت مدرسة (الأفغاني، عبده، رشيد) أن تقدم فكراً إسلامياً معاصراً رشيداً متنوراً، وقف أمام طغيان التزعة الخرافية والتحريرية في التراث الإسلامي من جهة، وواجه العقلانية المادية الأوربية الغازية من جهة أخرى. ولم يكن ذلك الفكر مذهبية ضيقة أو طائفية متعصبة أو فكراً تاريخياً جامداً ينكص إلى الماضي، ويقتل الحاضر والمستقبل، وإنما كان فكراً جامعاً وسع الإسلام كله، لأنه انطلق من الوحي إلى العصر بكل مشكلاته الماضية في ضوء الأصول الآتية:

الأول: إنهاء الصراع الفكري والدموي حول المدارس الكلامية القديمة التي كان اختلافها الفكري والدموي استجابة لتيارات فلسفية غازية، والعودة إلى منهج الصحابة الكرام وتابعيهم في التوسع في عالم الشهادة، من أجل البناء الحضاري الجديد وعدم التعمق في عالم الغيب الذي لا مدرك للعقل فيه، والاعتماد الكامل على المنهج القرآني في عرض العقائد الإسلامية وعدم إثارة الجزئيات الكثيرة التي عولجت في ظل فكر تجريدي لم يعد موضع الاعتماد والنقاش بيننا وبين مادية

الحضارة الحديثة^(١)، علماً أن المنهج القرآني هو الذي يعتمد على الاستقرار العلمي لمظاهر الوجود، ويقدم قراءة دقيقة للكون انطلاقاً من المبدأ القائل «كلما ازدادنا معرفة بما في الوجود من الأسرار والقوانين ازدادنا علماً بما في كتاب الله تعالى» ذلك لأن الكون المنظور هو أعظم وأدق تفسير للكون المقروء (القرآن الكريم) فلا بد إذن من الاستفادة القصوى من العلوم المتنوعة والثقافات الإنسانية المتعددة الحديثة في تفسير القرآن الكريم في إطار الضوابط الأصولية المعروفة بين علماء الإسلام، والتي تضبط الاتجاه الصحيح لحركة تفسير القرآن الكريم في كل عصر^(٢).

الثاني: مراجعة الرصيد الحضاري والفكري للأمة الإسلامية عبر التاريخ الماضي وغربلته، بإبعاد العناصر الدخيلة فيه، وتنقيته مما قد علق به من الانحرافات والإسرائيليات والأخبار الواهية والخرافات التي أفسدت عقلية كثير من المسلمين، والعودة به إلى منابع الإسلام الأصلية الصافية، التي هي وحدها الجديرة بتوجيه الفكر الإسلامي الأصيل وإنقاذه من النظريات الأحادية والتاريخية التي يراد لها أن تتحكم في عملية التوجيه الحضاري في العصر الحديث^(٣).

الثالث: محاربة التعصب المذهبي والطائفي في المجتمع الإسلامي، وبيان خطره الكبير على وحدة الأمة الإسلامية، لأنه فرق المسلمين وأخرهم عن ركب الحياة، وعطل تفكيرهم وإبداعهم وأسلمهم إلى الأخذ بالقوانين والتشريعات البشرية، لقصور المتأخرين عن مواصلة حركة الاجتهاد واستنباط الأحكام من أصول التشريع الإسلامي كما فعل الفقهاء العظام في العصور الماضية^(٤).

(١) المنار، ص: ٤٧١/٧، ٥٨٤ و ٢٧١/٨ على سبيل المثال.

(٢) المنار، ص: ٢١٠-٢١١ و ٦٤/٢.

(٣) المنار، ص: ٧٥/٢، ٤٥٥، ٤٧١.

(٤) المنار، ص: ٨٢، ٨٣، ٣٥٧/٢.

الرابع: معالجة أسباب تأخر المجتمع الإسلامي وأمراضه الكثيرة والتقدم إلى بناء مجتمع قوي، وإعادة الأمة إلى ثورة قرآنية حقيقية على أوضاعها المتخلفة، ومواجهة الحياة لمواجهة علمية صحيحة، والتوجه التام إلى الأخذ بأسباب الحضارة والعلم والتقدم حتى تستطيع تقوية ذاتها وإقامة حضارتها من جديد ومواجهة أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر وفي مقدمتهم الاستعمار الذي يسيطر على بلاد المسلمين من كل جهة^(١).

الخامس: رد الغزوات الفكرية الاستعمارية التي شنت على الإسلام، عقيدة وشريعة وتاريخاً وحضارة ورجالاً، ومناقشتها بالأدلة العلمية والوقائع التاريخية وتنفيذها وإثبات بطلانها من أصولها، وأنها لم يرد بها إلا إبعاد المسلمين عن إسلامهم الذي هو مصدر عزتهم وسلوكهم وحضارتهم^(٢).

لقد كان تأثير هذه المدرسة الإسلامية الحديثة كبيراً على الفكر الإسلامي سواء في مجال تفسير القرآن الكريم أم في مجال الفكر الإسلامي المعاصر، بأجنحته المتنوعة، الفلسفية والفقهية والأصولية والعقلية العلمية. ففي:

✱ مجال التفسير تأثرت بها التفاسير التي ظهرت بعد المنار كتفسير المراغي ومحمود شلتوت ومحمد أبي زهرة وسيد قطب في مصر، وتفسير الطاهر بن عاشور في تونس، وعبد الحميد بن باديس في الجزائر، والمودودي في باكستان.

✱ وفي مجال العلم والفلسفة، يعد محمد فريد وجدي ومصطفى عبدالرازق والدكتور إبراهيم مذكور والدكتور محمد عبد الهادي أبو ريبة والدكتور علي سامي النشار والدكتور محمود قاسم والدكتور سليمان دنيا والدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد عبدالله دراز والدكتور محمد البهي وآخرون، التلامذة المخلصين

(١) المنار، ص: ٣٢٣، ٣٢٤ و ٤/١٤٣، ٣٨١.

(٢) المنار، ص: ٤٣١، ٤٥٧ و ٧/٣٠٥، ٣٦٩.

* وأما مجال الفقه والاجتهاد فقد خرجت هذه المدرسة طائفة كبيرة من الفقهاء الأصوليين من أمثال الشيخ محمد الخضر الحسين والشيخ علي الخفيف والشيخ عبدالوهاب خلاف، والشيخ أبي زهرة والشيخ محمود شلتوت والشيخ مصطفى الزرقاء والدكتور يوسف القرضاوي وعشرات آخرين متشرين في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

* وأما المفكرون والكتاب الإسلاميون الذين تأثروا بمنهج هذه المدرسة فيعدون في العالم الإسلامي بالمشات، وكان التأثير الأعظم لهذه المدرسة ظهور الحركات الإسلامية المعاصرة التي وسعت من دائرة الفكر الإسلامي وعالجت القضايا الفكرية والسياسية والجهاد التي تفرعت عنها.

منها ظهور فكر وحركة الإمام حسن البنا في مصر، الذي انطلق من هذه المدرسة، حيث كان متصلاً اتصالاً مباشراً في شبابه بالسيد محمد رشيد رضا^(١)، ليرسم للجيل الجديد بدقة ووضوح المذهبية الإسلامية بتفاصيلها الشاملة التي تستوعب نواحي الحياة كلها، والتوجه نحو فكر إسلامي متجدد ومتطور يستوعب نهضة المسلمين في العصر الحديث ويقود حركتهم نحو البناء ويضع الحلول الواقعية المتوازنة لمشكلاتها المستعصية التي نتجت عن عصور التخلف الحضاري.



(١) مذكرات الدعوة والداعية، بقلم الإمام الشهيد حسن البنا، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م،

الفصل الثاني

أوضاع مصر عند ظهور الإمام حسن البنا

كانت مصر يومئذ تعيش تحت حكم ملكي، ورث الحكم من عائلة محمد علي في نصوصها وأنماط حياتها وتقليد النمط الاجتماعي للحضارة الغربية، بتبعية واضحة، بل إن الحكام منذ أيام إسماعيل في الأقل انخرطوا في الماسونية اليهودية التي أبعدتهم عن الاندماج الكلي المصري بآمال الأمة والرغبة في إصلاح أحوالها.

* أما الشعب المصري الطيب في القرى والأرياف من الفلاحين المستضعفين فكان يفتك بهم الملاك الظلمة من (الباشوات) المرتبطون مصيرياً بالدولة والخاضعون للعائلة المالكة، فعاش الشعب عيشة ذل وفقر فاقدين لأسس الإنسانية الكريمة. وأما الملاك، مالكو القرى والأرض الخصبة ظلماً وعدواناً، فكانوا يعيشون في قصورهم الليالي الحمراء والحياة الغربية الفاجرة الباذخة ويقضون عطل الصيف إما في شواطئ الإسكندرية أو في أجمل مدن أوروبا بثمن عرق وجهود المظلومين والمستضعفين.

* سيطرة الاستعمار الإنجليزي الجاثم على شريان مصر في القناة ونهبه لثروات البلد، واحتكار شركاته لتجارة القطن وغيره، والتدخل في الشؤون الخارجية للبلاد ومحاولة فصل شعب مصر عن الأمة العربية والإسلامية، وتوجيه السياسة الداخلية، بما يحقق مصالح بقائه بالسيطرة التامة على العائلة المالكة وتقييد حركة المخلصين من أبناء البلد، وضرب الشعب في المظاهرات الطلابية وفتح النار عليهم وتعليق الفلاحين على أعواد المشانق، كما حصل في دنشواي وغيره.

* اعتداء الجنود الإنجليز على الناس، وإفسادهم في الملامى والمقاهى والطرق

والتحرش بالنساء المسلمات، دون مسائلة أو حساب من لدن الحكام اللاهين.

• فرض اللادينية (العلمانية) على البلاد منذ أيام الاحتلال في عام (١٨٨٢م) ومحاربة المظاهر الإسلامية كلها، وتوجيه نظام التربية والتعليم في ضوء منهج القس الإنجليزي (دنلوب) الذي خطط لطرد الإسلام الحق من جميع مظاهر الحياة الفردية والاجتماعية.

• تقييد حركة الأزهر والوقوف أمام تجديدها وتطورها والسخرية من خريجيها وإهانة علمائها وعزلهم عن مجرى الحياة السياسية، ومنعهم من التدخل لتوجيه الأمة والوقوف أمام المصلحين الذين كانوا يريدون إخراج الأزهر من المتحف القديم إلى العالم المعاصر في الصراع من أجل التقدم ونشر حقائق الإسلام وإحداث الوعي المطلوب في الأمة.

• سيطرة الماسونية اليهودية على أجهزة الإعلام والفن والثقافة والتربية، بالتخطيط لإفساد الأسرة المسلمة وتحريف الجيل المسلم كله، وإخراج المرأة المسلمة من وظائفها الأساسية في الحياة ودفعها إلى حياة الاختلاط والسفور الفاجر، والاشتراك في حفلات الرقص والقمار والسباحة العارية على شواطئ البحار والدعوة إلى فتح العلاقات الجنسية المفتوحة، تصريحاً أو تلميحاً بين الرجال أو النساء وإغراق المدن الكبرى بدور الدعارة السرية والعلنية، وفتح مئات الملاهي والخمارات والسينمات المنتشرة في كل مكان.

• الهجوم الكاسح على الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً في مجالات الثقافة والفن لاسيما في الأفلام الإباحية والسخرية من العلماء ومدرسي اللغة العربية.

• حصر الجمعيات الإسلامية في أمور جزئية عبادية خيرية محضة كجمعية البر والإحسان ومكارم الأخلاق وجمعية الشفقة الإسلامية وجمعية دفن الموتى.

• تحريف الإسلام الشامل وتوجيهه وحصره في معارك جزئية خاسرة بين الصوفية

الخرفانية التي تحولت إلى طريقة جاهلية، ابتعدت كثيراً عن التصوف الحقيقي والربانية الصافية، وأنشأت إقطاعيات دنيوية، يجمع الشيوخ في ظلها باسم الدين الثروات الطائلة، ليعيشوا هم وأولادهم في قصورهم ويفسدون تماماً كالأقطاعيين وأولادهم في ليااليهم الحمراء، وتحولت مقولة الكرخي رحمه الله تعالى "التصوف طلب الحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق" إلى "جهل الحقائق والطمع فيما في أيدي الخلائق" على يد هؤلاء الدجالين. وبين سلفية متشددة بعيدة عن الفهم الأصولي الشامل للإسلام، حولت فروع العقيدة إلى أصولها، وحكمت على العلماء الأكابر والدعاة الأماجد بالضلالة والبدعة، وحصرت معركة الإسلام الهائلة في هذا العصر، بالحديث عن الجهمية وآيات الصفات وتقصير الثوب وزيارة القبور واستعمال خشب الأراك للسواك، والنكوص الدائم إلى الوراء وقتل الحاضر والمستقبل والابتعاد التام عن معركة الأمة المسلمة وآلامها مع أعدائها التاريخيين.

• انتشار الحملات التبشيرية التنصيرية في المدن والقرى والأرياف وتشكيك الناس في أصول الإسلام واث الشبهات بين أبناء الشعب الجاهل ومحاولة إيجاد جيل لا يؤمن إلا بالشهوات ولا يعمل إلا للشهوات، كما قال (زويمر) في مؤتمر المستشرقين في القدس عام (١٩٣٨م).

• يظهر نتيجة لهذه المأساة الكبرى المثقفون المعاصرون الذين تخرجوا من الجامعات الأمريكية والأوربية والمصرية العلمانية، لا يؤمنون إلا بحضارة الغرب المادية وفلسفات أوربا المادية، ولا يتصورون أن يكون الإسلام نظاماً للحياة، لأنهم لم يسمعوا بذلك، ويعدون التدين عيباً في الشخصية المعاصرة والعبادات نقصاً ومضيعة للوقت، همهم الوحيد أن يظهرُوا في ثوب مدني معاصر.

• تكون أحزاب سياسية انتخابية (كارتونية) من الملاك الظلمة اللاهين وعملاء الإنجليز الراسخين، والماسونيين العريقين، ومقلدي الحياة الأوربية من المثقفين،

تلاعب بعواطف الشعب المظلوم والتظاهر بالدفاع عنه، وحل مشكلات حياته والدخول إلى (برلمان) مزيف على حسابه، لا ليوحدوا الشعب في جبهة واحدة ضد أعدائه بل لتمزيقهم وضرب بعضهم ببعض ونشر العداوة والفرقة بينهم، في الوقت الذي يتمتع (باشوات) الأحزاب بمتع الدنيا هم وأسرهم على أطلال شعب طيب مخدوع حائر، بدون قائد مؤمن مخلص، يقوده إلى الإيمان والوحدة، ويريه طريق الكرامة والعزة كي يستعيد الشخصية الحقيقية في الحياة^(١). لقد قلت في بداية هذه المقدمات أن التحديات الكبيرة لا بد في النهاية أن تؤدي إلى استجابات كبيرة.

وهكذا وقعت الاستجابة الكبيرة من شاب مؤمن حمل هذه الهموم كلها، أتاه الله تعالى طاقات هائلة بشهادة المؤلفين والمخالفين، من الإيمان وقوة الشخصية، وهضم حركة التاريخ ومعاشة أمراض المجتمع، وفهم حقيقة الصراع، وإدراك مقاصد الشريعة، وتفقه خطوات المرحلة، والتحسس العميق بآلام المستضعفين والمستلبين، والإطلاع الواسع على مؤامرات الأعداء على أمة الإسلام، والتفكير السديد في وضع الخطط، وتحريك الجموع وتنظيم الكبير والصغير والعالم والجاهل، من خلال أروع أساليب التربية والتوجيه السديد المنتج. لا أدعى له العصمة، معاذ الله، ولم يدع له أحد من أتباعه المقرين ذلك. ولكن الكل يشهد أنه كان مجدداً راسخ القدم، وفقه الله تعالى لكثير من الخير وكثير من الصواب. وفقه الله تعالى لإنهاض أمة، وتحريك شعب، وتجديد شباب الإسلام، وحقائق الإسلام وحركة الإسلام.

من هو حسن البنا :

* ولد حسن البنا عام (١٩٠٦ م) في حضن أسرة عالمة مؤمنة فقيرة نظيفة متواضعة، معروفة في بيتها بالصلاح والتقوى.

(١) ينظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، للدكتور عبدالستار فتح الله سعيد.

• حفظ القرآن الكريم فهماً ووعياً وعملاً.

• تلقى العلم على والده المحدث العالم الشهير شارح مسند الإمام أحمد بن حنبل (الفتح الرباني) وهو الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا المعروف بالساعاتي.

• عرف رسول الله ﷺ، نبياً ورسولاً وإماماً وقائداً، وعرف صحابته الكرام في جهادهم وحبهم لله ورسوله.

• تلقى تربية روحية عالية على يد بعض الصالحين.

• كان في طفولته داعية إلى الله تعالى، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من خلال أساليب تربوية إسلامية رصينة، ويؤلف مع جمع من أصدقائه جمعيات للدعوة إلى الإسلام وشرح حقائقه.

• انتقل إلى القاهرة فتخرج من دار العلوم ورمخ في علوم العربية والعلوم الشرعية، فكان قارئاً جيداً وحافظاً جيداً، شهد له أساتذته بالمقدرة الفائقة والأولوية التامة، وتوقعوا له مستقبلاً منوراً.

• رشح إلى بعثة خارجية، ولكن الله تعالى أراد له الخير وأعد له وظيفة التجديد الكبرى في هذا العصر، ليقود الأمة إلى ما يريده الله تعالى ورسوله الكريم.

• عين معلماً متواضعاً في الإسماعيلية، وعاش مع أجواء الظلم والقهر الإنجليزي، دراسة ورؤية، وفكر بالتغيير، وبدأ بإلقاء الخطابات المؤثرة في المقاهي والمجالس والمساجد، لتوجيه الناس إلى معرفة مآسي الحياة التي يعيشون فيها برتابة وسكون، وجمع المسلمين المختلفين في المدينة على المحبة والأخوة وحقائق الإسلام التي تدرأ عنهم خطر التمزق والتفرق.

• خطط بذكاء ودقة لتأسيس تنظيم إسلامي يبدأ بمهمة التغيير الشامل، مع عدد من خُصَّ أصدقائه ومؤيديه الشباب، وسماه بـ (الإخوان المسلمون) تنفيذاً لقوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

الإخوان المسلمون في العراق

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(١).

* بعد تشكيل الجماعة، دخل في المجتمع كله دخولاً قوياً، داعياً إلى الله على بصيرة، وخطيباً مفوهاً ومحاضراً غزير العلم، عميق الثقافة، سامي التصرف، كريم الأخلاق متواضعاً أمام الخلق، يدلهم إلى مسالك الخير ودروب الفضيلة ومسارب الإنقاذ، ومواطن الفخار في جوهر الأمة ودينها القويم.

* توسعت دعوته، وانتشر صيته، وظهرت عبقريته الفذة في الريادة والقيادة والتوجيه والتنظيم والدعوة.

* بدأت الشعب الإخوانية تفتح أبوابها في المحافظات القريبة من الإسماعيلية، ثم تدخل القاهرة.

* وفي القاهرة تبدأ المسيرة الظافرة، والانطلاقة القوية، وتظهر الحركة قوية بإذن الله، تفتح الميادين كلها وتبشر بغد جديد للإسلام والمسلمين تحت راية القرآن العظيم وقيادة الرسول الكريم.

ماذا فعل حسن البنا :

فكر أولاً ببناء أساس نظري فكري قوي مبني على أسس الوحي الإلهي (قرآناً وسنة) وما بنى عليها أئمة الإسلام الراسخون عبر العصور من أصول وقواعد وضوابط لفهم الإسلام، حصرها في الأصول العشرين التي استخلصها ببلاغته وعمق فهمه من كتب العقائد والأصول ومقاصد الشريعة والفقه والتفسير والحديث، لاسيما كتب الإمام الغزالي والإمام الشاطبي وشيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن قيم الجوزية والعز بن عبد السلام وغيرهم، لكن بصياغته الذكية الدقيقة المعاصرة، في

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٤.

المجتمع والدولة وإعادة صياغة الأمة من جديد^(١)، عقيدياً وعبادياً وتربوياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وجهادياً وحضارياً.

* ففي مجال العقيدة دعا إلى الرجوع إلى ما كان عليه القرون الثلاثة الأولى (الصحابية والتابعون وتابعوهم) من العقيدة الواضحة الصافية الذين لم يخوضوا في المشكلات الفلسفية المعقدة التي فرضتها صراعات قديمة، من أجل توحيد قاعدة الانطلاق وعدم النقاش في الجزئيات وترك المجادلات القديمة في الوقت الحاضر، تلك التي فرقت الأمة^(٢).

* وفي مجال العبادة وضع منهجاً قائماً على أساس الكتاب والسنة، لصياغة الشخصية الروحية للإنسان المسلم، كي تحول بينه وبين مغريات الحياة المادية، وتهيئته ليكون عضواً صالحاً في الحياة الاجتماعية ينطلق إلى اتخاذ مواقف مبدئية لا مصلحية تنبثق من أعماق ضميره العابد للخالق العظيم^(٣).

* وفي مجال التربية بين أن الصياغة الإسلامية لا بد أن تبدأ من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع، حتى تقوم الدولة الإسلامية على كيان اجتماعي موحد^(٤).

* أما في مجال السياسة والحكم، فقد دعا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في نواحي الحياة كلها، لكونها شريعة ربانية شاملة، جاءت لتحقيق مصالح العباد، دقها وجلها، قابلة للنمو المطرد لمواجهة الحياة المتجددة، من خلال أصولها المرنة وقواعدها الرصينة ومقاصدها العامة عن طريق الاجتهاد المستمر وأنظمتها الدقيقة، استمع إليه إذ يقول في الأصل الأول من الأصول العشرين: (الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، الثالثة، ١٩٨٤م، ص: ٣٥٧.

(٢) رسالة (العقائد) في مجموعة الرسائل، ص: ٤٣٥ و ٤٣٧ و ٤٨٨.

(٣) أنظر رسالة (المأثورات).

(٤) مجموعة الرسائل، ص: ١١٦.

جميعاً، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء وهو مادة وثروة أو كسب أو غنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء^(١).

• وأما في مجال الاقتصاد، فقد دعا إلى تحرير اقتصاد الأمة من السيطرة الأجنبية كي تعود الثروات إلى أبنائها الكادحين، مع الكشف عن منابع الثروات وتسخيرها تمهيداً للدخول في عصر التصنيع. وقد كان إيمانه بالاتجاه الجماعي في الاقتصاد الإسلامي واضحاً وحاسماً، تجلّى في رفضه للتفاوت الطبقي الظالم ومناداته بوجوب عدم تعارض الملكية الخاصة للملكية العامة، وتفتيت الملكيات الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين المعدمين ووجوب تدخل الدولة في تنظيم الحياة الاقتصادية لقطع دابر الاستغلال وقيامها بواجباتها تجاه الأمة^(٢).

• وأما في الحياة الاجتماعية، فقد دعا إلى تعويد الشعوب على الآداب العامة والشعور بالمسؤولية الاجتماعية ومحاربة الرذائل الاجتماعية مثل القمار والخمر والبغاء والفجور، وعلاج قضية المرأة علاجاً يجمع بين الرقي بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الإسلام، وإعادة النظر في مناهج تعليم البنات بحيث تتفق مع فطرهن وواجباتهن في الحياة^(٣).

• وأما في مجال الجهاد، فقد حارب الاستعمار بأنواعه في كتاباته وخطاباته وأعماله كلها، لاسيما الإنجليزي منه، الذي كان يحتل أرض مصر يومئذ، وكان حريصاً على تربية الأمة على الجهاد المقدس لمقاومة أعداء الإسلام والمسلمين من المستعمرين وغيرهم، وقد ترجم إيمانه الراسخ بوجوب الجهاد هذا واقعياً في شكل كتاب أرسلها إلى فلسطين

(١) مجموعة الرسائل، ص: ٣٩٠.

(٢) مجموعة الرسائل، ٣٨٨ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠٢ و ٤٠٤.

(٣) مجموعة الرسائل، ص: ٨٩ و ١٣٥.

عام ١٩٤٨م بإشرافه المباشر فأبليت في الحرب المقدسة تلك بلاءً حسناً^(١).

ومن الحقائق الثابتة أنه كان يؤمن بالاختصار في ذلك الوقت على المجاهدين في مواجهة الصهاينة المعتدين، وأن تباعد عنه الحكومات والجيش الرسمية، حتى تضمن الأمة حسم المعركة من خلال مجاهديها دون أن يخضعوا للقرارات أو يلتزموا بما تتمخض عنه مفاوضات واتصالات الحكومات مع عواصم القوى الكبرى من نتائج تهدف إلى عرقلة الجهاد والحيلولة دون جهاد المجاهدين ويلوغ الغاية العظيمة^(٢).

وموقف الإمام حسن البنا من مصالح الأمة العربية ووحدتها كان موقفاً راسخاً، فقد آمن بضرورة الوحدة العربية. استمع إليه بعد شرح مكانة الأمة العربية في الإسلام (ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها)^(٣).

• وأما موقفه من الحضارة الغربية الحديثة، فهو عين موقف مدرسة الأفغاني ومجددي الإسلام جميعاً في العصر الأخير، وذلك بموجب اقتباس العلم والمعرفة والتنظيم من الغرب دون الانحراف وراء أفكاره المادية وفلسفاته اللادينية ومغرياته الاجتماعية والإباحية الجنسية.

وهو ينطلق في كل ذلك من (أن الإسلام يحزر العقل ويبحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها)^(٤).

(١) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، لكامل الشريف.

(٢) مجلة (الدعوة)، مقال الأستاذ مصطفى مشهور، عدد ٧٤٠، صفر ١٤١٩هـ/يونيو ١٩٩٨م.

(٣) مجموعة الرسائل، ص: ١٩٦.

(٤) . مجموعة الرسائل، ص: ٣٥٨.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام حسن البنا في كل ما كتب وفعل ينطلق من الوعي إلى العصر، ولا يبقى كثيراً في التاريخ إلا فيما يتصل بالأجداد الماضية. ومن الحقائق الثابتة في حياته، أنه لم يكن يؤمن بالدعوة الفكرية النظرية فحسب، وإنما حولها إلى أكبر تنظيم إسلامي في العصر الحديث، لأنه أدرك أن هذا العصر هو عصر التنظيمات الاجتماعية والسياسية. فصياغة الأمة الإسلامية تحتاج إلى حركة جهادية شاملة في مجالات الحياة كافة، من أجل العمل على استئناف الحياة الإسلامية والانتصار على الأعداء المستعمرين لبلاد الإسلام، لاسيما اليهودية العالمية التي استولت على الأرض المقدسة الإسلامية (فلسطين).

لقد توسعت دعوة الإخوان، ففتحت مئات الشعب والمراكز في محافظات القطر المصري من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ووجهها الإمام البنا عن طريق المحاضرات والخطب والزيارات والجرائد والمجلات والمؤتمرات المتتالية، إلى الإيمان الصادق، والفكر النير والمنهج الشامل والأخوة الإيمانية، واعدّ منهم كتائب الجهاد في نظام خاص، لمحاربة الإنجليز وعصابات اليهود.

((إن التنظيم الخاص أنشئ بسبب الظروف التي كانت قائمة في مصر في تلك الحقبة من الزمن حيث كان في مصر نحو (٨٠ ألف) جندي إنجليزي يحتلون منها من الإسكندرية حتى أسوان، كما أن الإنجليز كانوا يحتلون فلسطين ويعملون على تأسيس الدولة الصهيونية فيها، فكان لابد من كفاح مسلح لمواجهة الاحتلال الإنجليزي والخطر الصهيوني))^(١).

لقد انتهى الأمر بالإمام حسن البنا إلى مطالبة الدولة بتحكيم شريعة الإسلام وتربية الجيل تربية إسلامية وطرده الإنجليز من مصر ومحاربة عصابات اليهود في

(١) فلسطين المسلمة، ع ٤، ص ١٧ نيسان ١٩٩٩/١٤١٩ هـ حوار مع المرشد العام للإخوان الأستاذ مصطفى مشهور.

فلسطين. ونبه الأمة إلى أن الأحزاب السياسية التي كانت تلعب في الساحة المصرية، سبب البلاء والشقاء، فلا بد من تصفيتها والتجمع حول رسالة الإسلام من جديد. واستطاع الإخوان أن يوقظوا في مصر روح الانتماء العربي والإسلامي، وأحيوا قضية فلسطين في نفوس المصريين، وعقد الأستاذ البنا مؤتمراً كبيراً في القاهرة اشترك فيه رجال مصر والعالم العربي والإسلامي في سبيل التعريف بقضية فلسطين. واتصل الإخوان برجال العالم الإسلامي والدعاة والجمعيات الإسلامية فيه. حدثني الأستاذ صالح أبو رقيق عندما زرتة في بيت ابنته في الرباط عام ١٩٨٣م عندما كنت أعمل أستاذاً في جامعة الملك محمد الخامس قال: كلفني الأستاذ البنا بالاتصال برجال (البيت العربي) في القاهرة وكان فيه كبار رجال المغرب، وكنت أسلم إلى الكثيرين منهم رواتب شهرية من ميزانية الدعوة المتواضعة، ومن هؤلاء الرئيس التونسي فيما بعد (الحبيب بورقيبة)^(١).

وكانت دعوة الإخوان في مراحلها دعوة سلمية ناصعة ولم تؤمن قط بالإرهاب والعنف، وما حصل من قتل الخازندار^(٢) والنقراشي كانت بتصرفات فردية من بعض الأفراد المتحمسين، ولم يكن تخطيطاً من القيادة.

(١) ولم يكن الإخوان يعلمون يومئذ أن بورقيبة كان في باطنه لا دينياً ماسونياً. ظهر على حقيقته بعد استقلال تونس، فكان حرباً على الإسلام والأمة العربية ووحدها، ربيباً للاستعمار الفرنسي، عدواً للدعوة التي رعته ومدت إليه يد العون، لاحق رجالها حتى في أوروبا فاغتالهم أجهزته القمعية الغاشمة، منهم الشهيد صالح بن يوسف رحمه الله تعالى، ومحي الدين القليبي رئيس حزب الأحرار التونسي.

(٢) قاضي مصري حكم بالسجن على شابين من الإخوان اتهما بإلقاء قنبلة على نادي الضباط الإنجليزي في ليلة عيد الميلاد من عام ١٩٤٧م، بعد تعدي هؤلاء الضباط على المصريين واستهتارهم بكل القيم، فقتله شباب من الإخوان لعمالته للإنجليز. انظر الإخوان المسلمون، محمود عبد الحليم، ج ١، ص: ٢٠٣.

حدثني الأخ الأستاذ الشاعر عمر بهاء الدين الأميري رحمه الله، في بيته في الهرمورة قرب الرباط: قال: عندما كنت مسؤولاً عن الإخوان في نهاية الأربعينيات في سوريا، جاءتنا برقية من القاهرة بوصول الأستاذ حسن البنا إلى مطار بيروت، للذهاب إلى فلسطين والإشراف على كتائب الإخوان من المجاهدين. قال: فذهبت أنا وعدد من الإخوان إلى بيروت لاستقباله، قال: نزل ودخل صالة المطار، لاحظنا عليه آثار تعب شديد وحزن عميق. قال: ولما سأله عن السبب، قال: ألم تسمعوا ما فعله بعض الإخوان من قتل الخازندار. قال: ورفع يده إلى السماء، قال: اللهم إني وإخواني بريئون من دم هذا الرجل. ومن الحقائق الثابتة أن مخبرات الدول الكبرى كانت تراقب حركة الإخوان في مصر، وتكتب عنها التقارير، وتنشر عنها في صحف الغرب. وتعد حسن البنا أخطر رجل ظهر في هذا العصر في الشرق الإسلامي يهدد مصالح الغرب.

حل جماعة الإخوان المسلمين:

وكانت النتيجة الخطيرة اتخاذ القرار الحاسم لتصفية الإخوان المسلمين بعد اشتراكهم في حرب فلسطين، فبدل أن يكرموا لجهادهم وإنقاذهم الجيش المصري من الأسر، اجتمع سفراء الدول، الأمريكي والبريطاني والفرنسي في ثكنة عسكرية بريطانية في (فايد) وقدموا طلباً مستعجلاً للملك فاروق ورئيس وزرائه محمود فهمي النقراشي بحل جماعة الإخوان المسلمين، فأصدر النقراشي أمراً بحل جماعة الإخوان المسلمين ومصادرة أموالهم، وملأ السجون المصرية بأفرادهم وتعذيبهم بأشنع أنواع التعذيب، هذا زيادة على خيانة النقراشي للقضية المصرية^(١).

(١) وإليك نصوص الوثائق:

* رقم القيد ١٨٤٣/١/س ٤٨ تاريخ ١٣/١١/١٩٤٨م

إلى رئيس المخبرات رقم ١٣

((فيما يختص بالاجتماع الذي عقد في (فايد) في ١٠ الجاري بحضور سفراء صاحب الجلالة

فلم يتحمل هذا الوضع شاب من شباب الإخوان، فلبس ملابس الضباط، ودخل مقر النقراشي وأطلق عليه النار فقتله، ومع ذلك فقد أعلن الإمام حسن البنا استنكاره الشديد لهذا الاغتيال وأصدر بياناً وصف الذين أقدموا على ذلك بأنهم (ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين)^(١).

البريطانية في القاهرة لحل جمعية الإخوان المسلمين التي فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة في القاهرة قام بها أعضاءها.

إمضاء : ج.د. أوبريان ماجور

* وفي ٢٠/١١/١٩٤٨ م أرسل رئيس إدارة المخابرات فرع (أ) بقيادة القوات البريطانية بالشرق الأوسط إلى إدارة المخابرات ج.س-١٣ في القيادة العليا البريطانية في مصر، خطاباً هذه ترجمته الحرفية؟
الموضوع : جمعية الإخوان المسلمين

رقم القيد ١٦٧/أ.ن.ت.ب/٤٨-٢٠/١١/١٩٤٨ م إلى إدارة ج.س.١٢. القيادة العليا البريطانية في مصر والشرق الأوسط.

- بخصوص مذكرة رقم ٧٤٣/أ، ت/ب/٤٨ المؤرخة في ١٧/١١/١٩٤٨ م

- لقد أخطرت هذه القيادة العليا رسمياً من سفارة صاحب الجلالة البريطانية بالقاهرة، إن خطوات دبلوماسية ستتخذ بقصد إقناع السلطات المصرية بحل جمعية الإخوان المسلمين في أسرع وقت ممكن.

التوقيع

رئيس إدارة ص

قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط

كولونيل أ.م. ماك درموت *

* راجع : مذابح الإخوان المسلمين في سجون ناصر، للمؤلف جابر رزق، ط ١، ج ١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ص : ٢ و ٩.

* وقد نشرت نصوص هذه الوثائق باللغة الإنجليزية في جريدة المباحث المصرية في العام نفسه، وقد قرأتها في حينه في مكتبة الأخوة الإسلامية في كركوك.
(١) الإخوان المسلمين، محمود عبدالحليم، ص : ١٩/٢-٤٢.

قتل الإمام حسن البنا :

فكانت النتيجة أن قرر الملك فاروق ورئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادي تصفية الإمام حسن البنا، فلم يلقوا القبض عليه على الرغم من طلبه ذلك، فاستدرجه وكيل وزارة الداخلية عبدالرحمن عمار، بخبث ودعاه إلى مقر جمعية الشبان المسلمين بدعوى الدخول في محادثات بينه وبين الحكومة بشأن اعتقال الإخوان. وكانوا قد أحضروا أفراداً من المباحث المصرية، وأطفئوا الأنوار في شارع رمسيس، فعندما خرج (الإمام) أعزل من السلاح والحماية، أطلقوا عليه النار، وأستطاع مع جراحه أن يرجع إلى مقر الجمعية ويطلب رقم الإسعاف بنفسه من حفظه، فنقل إلى مستشفى القصر العيني، وجاء تهديد من القصر بإنزال أشد العقوبات على أي طبيب يعالجه، لأن الجراح لم يكن مميتاً، فترك بدون معالجة، فظل دمه الزكي يجري ساعات، إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة شاكياً إلى الله تعالى من هذا الظلم الصارخ الذي وقع عليه، حيث كتب الله له الشهادة. وفرضت الحكومة منع التجول في تلك الليلة، ولم يسمحوا لأحد أن يقترب من منزل والده، فغسله الشيخ الكبير الوالد المفجوع بيده، وكفنه وحده، وحملته النساء وحدهن إلى مقبرة الإمام الشافعي، والناس ينظرون من نوافذ العمارات، فكانت أول جنازة تحملها النساء في التاريخ.

ولم يسمحوا لأي إنسان يعزي والده، وضربوا حول بيته الطوق العسكري لأيام، والرجل الوحيد الذي اقتحم هذا الطوق، هو صديقه القبطي، السياسي المصري المشهور (مكرم عبيد) سكرتير عام حزب الوفد سابقاً، واصطدم مع رجال الشرطة، ووصل إلى بيت الشيخ فعزاه بولده الإمام الشهيد^(١)، وظل الإخوان بعد استشهادهم يعذبون في السجون طيلة حكم إبراهيم عبد الهادي، فلما سقطت الوزارة، وجاء زعيم

(١) الإخوان المسلمون، المصدر السابق، ص : ٦٥ / ٢ وما بعدها.

الوفد مصطفى النحاس باشا، تفاهم مع الإخوان وأخرجهم من السجن، فانطلقوا يعملون في المجتمع ويمدّون الفروع ويهيئون صفوفهم لمقاتلة الإنجليز في القنال^(١)، وقدموا عشرات الشهداء في هذا المجال، مما اقض مضاجع الإنجليز والحق بهم أضراراً كبيرة.

ثم خطط الإخوان مع الضباط الأحرار لتخليص الشعب المصري المقهور من الطغمة الملكية الفاسدة والأحزاب السياسية الفاسدة، فاندوا ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وجندوا شبابهم لحماية خط القاهرة-القنال لمقاومة الجيش الإنجليزي إذا فكر في التدخل^(٢) ولم يكونوا يعلمون أن جمال عبدالناصر كان متصلاً سراً بأمريكا وأنه وقع معهم اتفاقاً سرياً بعدم محاربة إسرائيل وعدم الوحدة مع السودان^(٣).

ولاحظ الإخوان بداية الانحراف، واستغربوا من تصرفات الضباط الذين كانوا يعدون بعضهم من الإخوان، والبعض الآخر من المحبين أو المؤيدين لهم.

ولاحظوا أن هؤلاء الضباط يريدون إقامة دكتاتورية غاشمة في مصر، وإنهم لا يؤمنون بالرجوع إلى ثكناتهم العسكرية، وإنهم ليس في نيتهم تسليم الحكم إلى الشعب ليتخب ممثليه في جو من الأمان والحرية.

وأنهم ضد إقامة جمهورية إسلامية حقيقية تنفذ شرع الله، وتبني الأمة لمقاتلة الإنجليز في القنال والصهاينة في فلسطين، ورأوا أنهم لا يريدون أن يفعلوا شيئاً للقضاء على الفساد الأخلاقي. بل أول ما فعلوا أنهم جمعوا الممثلات والراقصات والمغنيات الداعرات وأركبوهن قطاراً سموه بقطار (الرحمة) انطلق من القاهرة إلى أسوان، ينشرون الفساد تحت مظلة جمع الأموال، وما زلت أتذكر أخبار هذا القطار

(١) راجع كتاب (المقاومة السرية في قناة السويس)، لكامل الشريف.

(٢) الإخوان المسلمون، ص: ٢٠-٢٨.

(٣) راجع كتاب ثورة (٢٣ يوليو الأمريكية) و (كلمتي للمغفلين) لمحمد جلال كشك.

وصور الفئات في مجلة آخر ساعة ومجلة المصور، وهم يخرجون رؤوسهم من نوافذ القطار في محطات الوقوف، ويوزعون القبلات جهاراً نهاراً على الشباب وأهل السفه من الرجال.

ولاحظوا أيضاً أنهم يريدون تطبيق إصلاح زراعي بلا دراسة علمية، سيتهي إلى تهجير الفلاحين من القرى المنتجة إلى المدن المستهلكة (وهو الذي حصل فيما بعد).
ولاحظوا أنهم متهاونون بحقوق مصر، ويريدون أن يوقعوا على معاهدة جلاء الإنجليز من القنال فيها كثير من الحيف بالشعب المصري ورضوخ واضح لمطالب الإنجليز بالعودة إلى القتال حال نشوب الحرب الثالثة بين الغرب والاتحاد السوفيتي.

ولاحظوا كذلك أن جمال عبدالناصر، يخطط للتخلص من الضباط المخلصين من الإخوان وغيرهم الذين طالبوه بالرجوع إلى الثكنات وإقامة نظام نيابي يعيد للشعب كرامته المهدورة^(١).

وعندما صار حوه بكل هذه المسائل وعارضوه في سياسته وذكروه بالقسم الذي أقسمه أمام الإمام حسن البنا لنصرة الإسلام وتنفيذ شريعة الله، علم هو وزمرته أنهم لا يستطيعون إخضاع الإخوان بسهولة إلى سياستهم الطاغوتية فحاولوا شق الإخوان وإحداث الفتنة بينهم فلم يفلحوا واصطنعوا بعض الصدامات معهم في قضية الرئيس محمد نجيب وغيرها، وأدخلوهم المعتقلات من دون أدنى مسوغ فصبر الإخوان على ظلم ذوي القربى من إخوة الأمس.

وبعد حين تفتقت عبقرياتهم وعبقریات الذين كانوا يقفون وراءهم^(٢) من المخابرات المركزية الأمريكية، عن مسرحية خبيثة، وهي دفع عميل من المخابرات

(١) راجع كتاب (لغة الأمم) لكوبلان، ص: ٢٠٧ و ٢٠٩.

(٢) راجع كتاب (أحداث التاريخ)، لصلاح شادي.

المصرية بإطلاق النار عليه من أكثر من مائة وخمسين متراً، في أثناء ما كان يخطب في ميدان المنشية في الإسكندرية أمام الجماهير المحتشدة، وصاح بطل المسرحية أمام الشعب الجاهل النائر المخدوع، بأنني جئت لأعيد إليكم كرامتكم. وهؤلاء يريدون قتلى، فهاج الناس وماجوا وخرجت المظاهرات المصطنعة في أنحاء القاهرة تريد الاقتصاص من القتلة^(١). فصدر البيان الرسمي بأنه ألقى القبض على الجاني (محمود عبداللطيف) وهو من الإخوان.

في مقابلة مع السيد/ حسن التهامي، الذي كان من أقرب ضباط الثورة إلى عبدالناصر حين وفاته، قال في قناة أوربت الفضائية أمام ملايين الناس ما يأتي : حضر مايلز كوبلان أكبر خبراء الدعاية الأمريكية في ذلك الوقت، وعرض على الرئيس في اجتماع حضره عدد من المسؤولين أفكاره للترويج لرفع شعبية عبدالناصر.

وقال كوبلان إن الشعوب الشرقية شعوب عاطفية والشعب المصري منها. ولذلك فلا بد أن يتعرض عبدالناصر لموقف يثير عاطفة الناس ويجمعهم حوله. وعندما سأله الحاضرون كيف؟ قال : هو أن ينجو عبدالناصر من حادثة اغتيال. وأضاف لابد من تدبير محاولة لاغتيال عبدالناصر بإطلاق الرصاص عليه، وأن يكون ذلك بين الجماهير، وأن الشخص الذي يتفق معه على ذلك يقوم بالفعل بإطلاق سبع رصاصات، يكون عبدالناصر قبل إطلاقها يطرح أرضاً.

وقال: بعد ذلك يتم الإمساك بشخص المنفذ وبحاكم محاكمة صورية ويسجن أو يعدم حتى يختفي السر.

وقال التهامي : إن الحاضرين وصفوا هذا الخبير في الاجتماع بالجنون، إذ كيف

(١) نشرت أخبار هذه المسرحية في عشرات الكتب التي صدرت في القاهرة، واستيقظت ضمائر بعض معلميها بعد ثلاثين عاماً من الصمت واعترفوا اعترافات صريحة نشرت في جريدة الشرق الأوسط في أعداد صيف عام ١٩٨٥ م.

الإخوان المسلمون في العراق

يطلق رجل حقيقي النار ونضمن ألا يصيب عبدالناصر وتفتق ذهنهم عن احضار سديري واق لبسه عبدالناصر في أثناء الخطاب، وأضاف التهامي أن هذه الخطة نفذت بعد ذلك الاجتماع بستة أشهر، وأن الذين قاموا بتدبيرها من الذين ماتوا كالدكتور فؤاد محي الدين رئيس الوزراء الأسبق والطحاوي رئيس جمعية الشبان المسلمين. وأمسك التهامي عن أسماء الأحياء الذين شاركوا في تدبير هذه التمثيلية. وقال إن محمود عبداللطيف الذي اتفق معه على إطلاق النار على عبدالناصر قال بصوت عال عندما علم بالحكم على إعدامه : إننا لم نتفق على ذلك، لكن أشخاصاً وضعوا يدهم على فمه وتم إعدامه فوراً^(١).

وهكذا صدرت الأوامر لإلقاء القبض على عشرات الألوف من قادة الإخوان ومسؤوليهم في آن واحد في أنحاء مصر كلها، وحشرهم في أقبية المخابرات والمباحث والسجون المصرية، وتسليط مئات من أشرس المحققين عليهم كشمس بدران وحمة البسيوني والروبي وصالح نصر وغيرهم، وإنزال أشد العذاب بهم وأهانتهم وإجبارهم بصورة وحشية على الاعترافات الكاذبة وتسليط الكلاب البوليسية عليهم. وقدموا جمعاً من أطهر رجال مصر إلى محاكمات عسكرية صورية، كانت تفتقر إلى أبسط موازين العدالة والأخلاق، فحكم بالإعدام على المرشد العام للإخوان المسلمين المستشار حسن الهضيبي والقاضي العالم عبدالقادر عودة والشيخ المجاهد محمد فرغلي مدوخ اليهود في فلسطين، ومحارب الإنجليز في القتال، والمجاهد الصلب يوسف طلعت والمحامين الصابرين إبراهيم الطيب وهنداوي دوير والشاب السمكري محمود عبداللطيف، فنفذوا فيهم جميعاً حكم الإعدام إلا الهضيبي فقد خفض الإعدام إلى الأشغال الشاقة لكبر سنه.

(١) مجلة المجتمع (الكويتية)، عدد ١٣٦٤، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص: ١٥٠.

وجرت محاكمات أخرى للآلوف من الإخوان الذين لم يثبت عليهم شيء، فسجنوهم في معسكرات الصحراء في ظروف قاسية جداً ليقتضوا فيها ربيع أعمارهم. وحرّم المجتمع من طاقاتهم وإخلاصهم. واستمرت هذه المأساة طيلة حكم عبدالناصر الذي مات سنة ١٩٧٠م وثلاث سنوات من حكم السادات.

ولما اضطر عبدالناصر إلى إخراج سيد قطب من السجن بطلب مباشر من الرئيس العراقي عبدالسلام محمد عارف في أثناء زيارته للقاهرة عام ١٩٦٥م، اتهمته أجهزة عبدالناصر مرة أخرى، مع جمع آخرين من الإخوان وقدموا إلى محكمة (الدجوي) العسكرية، فحكمت على سيد قطب واثنين من إخوانه بالإعدام، وعلى الباقيين بمدد مختلفة من الأشغال الشاقة، وكنت في القاهرة يومئذ أحضر لامتحان الماجستير في جامعة القاهرة، وأقرأ في الصحف اليومية، وأرى فيها من النفاق والتهريج والظلم، وعمل الخيال المريض في الحديث عن أسرار المؤامرة، واللعب الهابط بعواطف الناس، ما لا يعلم خباياها إلا الإنسان اللبيب.

وكان من ضمن ما قرأت تصريح عبدالناصر الذي أطلقه من مصحته في الاتحاد السوفيتي، أنه لن يعفو عن سيد قطب هذه المرة حتى قبل إجراء مهزلة الدجوي العسكرية، مما دلني على مدى الحقد الدفين الذي كان يحملّه هذا الرجل تجاه أظهر الناس في مصر.

نتائج هذا الطغيان :

لقد ولد هذا الطغيان الناصري أوحش النتائج التي أدت إلى إلحاق أكبر الهزائم

بالأمة العربية :

١ - حرف معظم المجتمع عما فرضه الله تعالى من تنفيذ شريعته وتطبيق حدوده،

وتقوية عقيدته وصياغة شخصية إسلامية عزيزة، تحدث تنمية حضارية قوية، تهيب

الشعب المصري المسلم لمجابهة معارك الدنيا الجديدة مجابهة واعية مخططة.

٢ - إقامة دكتاتورية عسكرية طاغية في مصر، يقودها رجال المباحث والمخابرات والأمن العسكري من أجل الحفاظ على النظام الاستبدادي فسلبوا من أجل ذلك حق الشعب المصري في انتخاب نوابه انتخاباً صحيحاً في دولة إسلامية أو ديمقراطية، تستطيع أن تبني مجتمعاً قوياً يحتفظ بكرامة أبنائه ويقف أمام طغيان اليهود الصهاينة ويقود الأمة العربية إلى مواقع القوة والمنعة والانتصار.

٣ - انتشار النفاق والازدواجية، والخوف من نطق كلمة الحق والمعارضة الصحيحة السديدة البناءة، من أجل الوقوف أمام استغلال السلطة والحيلولة دون تحريفها عن الغرض من وجودها. ومن هنا فقد اختفت الصحافة الحرة الكريمة التي تكشف عورات السلطة والمجتمع، وظهرت الصحافة المناققة التي تسبح بحمد الطاغية، وترك الشعب المخدوع في حيرة وجهالة وضياح وخوف.

٤ - لكي يحافظ عبدالناصر على نظامه المستبد، أنشأ بمعاونة المخابرات المركزية الأمريكية في بداية الأمر، ومعونة أجهزة المخابرات الشرقية فيما بعد، مخابرات وأمناً واستخبارات، صرف عليها جزءاً كبيراً من ميزانية مصر للحفاظ على النظام لا للحفاظ على مصالح الأمة وبناء قواعد الحضارة المتكاملة المتوازنة. وقد رأيت ذلك بنفسي عندما خرج من إلقاء خطابه في القاعة الكبرى بجامعة القاهرة، بمناسبة من المناسبات عام ١٩٦٩م، فقد وجدت أن الشوارع التي يمر بها موكبه ملفومة بهؤلاء الأفراد من الجانبين، وقدرت طول المسافة من الجامعة إلى بيته يومئذ بخمسة عشر كيلومتراً، فتساءلت في نفسي إذن سيحتاج في هذه الحراسة المكثفة إلى عشرات الألوف من هؤلاء. فإذاً كم يكون أفراد هذه الأجهزة الأمنية في مصر كلها؟

٥ - فتح أوسع الأبواب أمام الفساد الأخلاقي حتى يشمل المجتمع المصري كله، بتشجيع السياحة المختلطة والنوادي الليلية والنوادي العامة المختلطة، وتكثير

الملاهي والمسارح وإنتاج الأفلام الداعرة، وقامت أجهزة الدولة برعاية دور الدعاية العلنية والسرية، وقصة (اعتماد خورشيد) هي واحدة من مئات القصص التي كان يرويها المصريون أيام دراستي في القاهرة (١٩٦٥-١٩٧٢م).

٦ - في ظل بناء اشتراكية مزيفة، بلا تخطيط ولا توجيه مخلص، انتشر الفقر في أوسع الطبقات الاجتماعية، وظلت ألوف الأسر بلا مأوى، تسكن المقابر وتنام على شواطئ النيل في حالة مزرية أو تأوي إلى كراجات العمارات في حالة بؤس شديد، ومن زار على سبيل المثال حي (شبرا) و (بولاق) و (بولاق الدكرور) و (الدراسة) وغيرها من أحياء العاصمة، لوجد المآسي الاجتماعية التي كانت تفتت أكبادنا عندما كنا طلاباً في جامعة القاهرة، ونحن نرى إخواننا المصريين في هذه الحال، بينما كنا نجد قصور بناته مقابل حديقة (ماري لاند) في مصر الجديدة على ما أتذكر ترفل بالفخامة والنعيم.

٧ - لم يتبع نظاماً إسلامياً ولا عقلاً صحيحاً في تربية أجيال الأمة تربية أخلاقية عالية، وإنما بدل ذلك أنشأ معسكرات الاختلاط والتجمعات السياسية التي كان عملها مدح النظام والرئيس، وكان فصل الأخلاق عن وظيفة الدولة، أمراً واضحاً ومظهراً من مظاهر المجتمع طوال عهده، وقد استمر مع الأسف إلى اليوم، لعدم إيمان الدولة بالضوابط الأخلاقية.

٨ - إهمال الجيش وعدم تربيته تربية إسلامية، وعدم الاعتماد على الكفاءات المخلصة، بل ومراقبة المخلصين من الضباط وإخراجهم من الجيش، وبناء الترقيات على المحسوبية والإخلاص للزعيم الأوحده، وتقديم المنافقين والمتزلفين والاعتماد على أصحاب السلوك المنحرف.

٩ - بناء إعلام كاذب مهرج، يمجّد شخصه ونظامه، ويخفي الحقائق عن الشعب، وفعل هذا حتى بالنسبة للجانب العسكري، فقد وضع صواريخ إعلامية كاذبة

وعرضها فيما يسمى أعياد يوليو أمام الجماهير. فلما هاجم اليهود مصر ومطارات مصر يوم (٥ حزيران ١٩٦٧ م) لم يجد الشعب المخدوع أثراً لهذه الصواريخ، بل لم يجد أثراً للطائرات المئات التي اشتراها بعرقه ودمه عبر سنوات طوال، لأنها كانت معرضة للضرب مكشوفة في المطارات. وكثير من الطيارين كانوا في نادي الزمالك في ليلة الهجوم في حفلة ساهرة حتى الصباح. فآية كارثة صنعها هذا الرجل لأمته المسكينة؟ وأي نوع من الضباط أعدهم للدفاع عن مقدسات الإسلام والأمة العربية المنكوبة وحدود مصر المنكوبة وكرامتها. وكيف تقام حفلات الرقص للضباط، وإسرائيل كانت تعد للهجوم يوم (٥ حزيران). وقد نبه إلى ذلك جهاراً نهاراً وبخط أحمر كبير^(١)، اللواء الركن المتقاعد، الضابط العراقي العربي المسلم الشهم محمود شيت خطاب في جريدة الجمهورية في بغداد قبل الهجوم، وقد حدد (٥ حزيران) بدء للهجوم وقال: (استعدوا يا عرب).

١٠ - قضى على أمل كبير عاشت أبناء الأمة العربية أجيالاً، تحلم بتحقيقها، فلما حققها الشعب السوري العربي المسلم، المؤمن بوحدة أمته. وقامت (الجمهورية العربية المتحدة) عاملة معاملة لشعب مصر الأبى فسلط عليه المباحث والمخابرات، يحاصرون رجاله، ويحاربون أبناءه، ويحاربون حتى أولئك الذين حققوا له الوحدة وانتخبوه رئيساً عليهم. وأهان جيشه بتسليط الضباط المصريين من النوعيات التي كونها، فأذاقهم العلقم، فاضطرت حتى الأحزاب القومية التي صنعت الوحدة أن توقع على وثيقة الانفصال، خلاصاً من العبودية لنظام بوليسي مستبد، وخروجاً من المهانة التي أوقعها بها عبدالناصر ونظامه.

١١ - وفي هذا الإطار أيضاً قضى على أمل السودانيين في الوحدة مع مصر، إذ

الإخوان المسلمون في العراق

لمارات الأحزاب الوجودية، كحزب إسماعيل الأزهرى، أن عبدالناصر أقام دولة بوليسية في مصر، وحارب النهضة الإسلامية، وجميع الأحرار من رجالات مصر، تراجعوا عن الوحدة، وهو أصلاً لم يكن يريد لها ولا توجه إليها. لأنه وقع على البنود السرية لانقلاب يوليو التي كان نص فيها يقول بعدم الوحدة مع السودان^(١).

١٢ - كان يدعو إلى الوحدة العربية، وكل ما فعله كان هدماً لهذه الوحدة، فبدل أن يعامل الدول العربية معاملة أخوية كريمة، كي يقترب منها باعتباره الأخ الأكبر، اتبع منهجاً في الإعلام يقوم على أساس السباب العلني والشتائم والمهاترات، فقتضى ليس على الوحدة فحسب، وإنما دمر حتى القدر الأدنى من التضامن العربي الذي الحق بقضية العروبة والوحدة أفدح الأضرار إلى اليوم.

١٣ - لم يبه شيئاً أمام نمو دولة العصابات اليهودية، وتطور قوتها، ولم يعد جيشه قط ليوم الثار، بل أرسله ليحارب في اليمن ليقا تل شعباً مسلماً بزعم الدفاع عن ثورة اليمن، سبع سنوات كاملة، قتل فيها أكثر من سبعين ألف جندي مصري وصرف من الأموال والأسلحة والطاقات ما كان يكفي للقضاء على الكيان الصهيوني، أو في الأقل إضعافها وإيقاف الهجرة إليها. بينما دولة العصابات اليهودية على بعد مائة كيلومتر من القتال، تبني قوتها وجيشها في وضع آمن جداً.

١٤ - أثار عبدالناصر ضجة إعلامية ضخمة، لإعلانه غلق مضائق تيران أمام ملاحية اليهود ودفع مئات الألوف من جيشه، بلا تدريب ولا تنظيم ولا إرادة قتال إلى صحراء قاحلة دون أن يحفروا الخنادق أو يأخذوا المواضع القتالية^(٢)، ولم يضع طائراته المقاتلة في الإنذار (ج) حتى يحمي الجنود المساكين، فجعل الجيش المصري

(١) كلمتي للمنفلين، لمحمد جلال كشك، الفصل الخامس كله في هذا الموضوع، ص: ٢٧٥.

(٢) في مذكرة اللواء الركن عمر علي قائد معركة حنين التي رفعها إلى رؤساء الدول العربية بعد (٥ حزيران).

حصيداً أمام طيران الصهاينة وقواتها العسكرية المدربة، فمات عشرات الألوف في الصحراء تحت القصف، ومثلهم تاهوا في صحراء سيناء جوعاً وعطشاً، والأسرى نفذ فيهم اليهود الصهاينة القتل الجماعي.

لقد كان قلبي يبكي دماً وأنا أرى ألوف النساء في شوارع القاهرة بعد حرب ١٩٦٧م وهن يلبسن السواد. وكنت أمس مع نفسي أي قبر جماعي حفره القائد المزيّف في حرب الأيام الستة.

وكانت النتيجة الدامية (للعنتريات التي ما قتلت ذبابة) "ضياع النصف الآخر من فلسطين مع الجولان وسيناء، رخيصة بلا قتال.

وكانت النتيجة الأخرى بعد موته، استسلام خلفه أنور السادات للصهاينة واعترافه بدولة اليهود عام ١٩٧٧م وكان ذلك الاعتراف كارثة ثانية بعد كارثة حزيران، حيث ولد التراخي واليأس بين الحكومات العربية وكسر الجدار النفسي العميق بين أمتنا والصهاينة، كان يجب أن لا يكسر أبداً، حيث دفع إلى سلسلة التراجعات، حتى انتهت إلى مأساة (أوسلو) وخيانة صانعيها لقضية العرب والمسلمين الكبرى وذلك باعترافهم بالدولة الصهيونية.

هذا هو غيظ من فيض مما فعله جمال عبدالناصر ونظامه بهذه الأمة التي صفقت له مخدوعة في كل مكان بإعلامه الهائل الخداع الكذوب.

وسينبري لي (ناصرى) مازال يعيش على الأحلام الوردية الوطنية في أغاني أم كلثوم وعبدالحليم حافظ والمغنيات في صنع الانتصارات الوهمية لأمة العرب البائسة، فيقول لي هل من الإنصاف أن تذكر السلبيات وتترك الإيجابيات في حياة الرجل؟ وأجبهه: ما إيجابيات الرجل؟ فيقول: أمم قناة السويس، وبنى السد العالي،

(١) كما قال الشاعر نزار قباني في قصيدته التي نشرها بعد (٥ حزيران) المشؤوم بعنوان (هوامش على دفتر النكسة).

ونصر ثورة الجزائر على سبيل المثال.

فأقول له : أما تأميم القناة فقد بدأت قصته بمحاربة الشعب المصري للإنجليز وفي مقدمتهم مجاهدو الإخوان، وكان يجب أن يتم التأميم في ظل أية حكومة من الحكومات. ومع ذلك فلنعد هذا نقطة ايجابية تذكر للرجل.

وأما مشروع السد العالي، فكان مشروعاً سلبياً أكثر من ايجابياته بشهادة أهل الاختصاص، أضراره أكثر من فوائده، ومع ذلك فلنعد هذا من حسنات الرجل. وأما مناصرته لثورة الجزائر، فهل بقيت دولة عربية في ذلك الوقت لم تناصر ثورة الجزائر، فهو لم يتفرد بهذا الأمر، فلقد كانت حكومة عبدالكريم قاسم (على ما سندر فيها من سوء) سباقة إلى نصره الجزائر، فقد كان عبدالكريم يسلم على سنوات حكمه الخمس تقريباً حوالي سبعة ملايين دولار سنوياً إلى ممثل ثورة الجزائر في بغداد، ومع ذلك فلا نذكر هذا له بجانب ما ارتكب من الأخطاء والجرائم بحق العراق وأمة العرب والإسلام. ومع ذلك فليكن هذا أيضاً من ايجابيات عبدالناصر.

ولكن ما قيمة هذه الايجابيات المبعثرة في حاكم استأثر بحكم أكبر دولة عربية حوالي ثمانية عشر عاماً حكماً مطلقاً وانتهى إلى تحطيم كل شيء مقدس لدى الأمة العربية، ديناً وخلقاً، ووحدة وانتصاراً وسفكاً للدماء الزكية، وإعلاء لدولة اليهود الفاسدة.

• ألم يته حكمه إلى التعدي على كرامة الإنسان المصري والسوري عامة، وكرامة

دعاة الإسلام خاصة؟

• ألم يحطم آمال المصريين في بناء شعب قوي مؤمن خلوق؟

• ألم يجعل النفاق والازدواجية والتزلف قانوناً في المجتمع؟

• ألم يصنع مجتمعاً انتفت فيه المعارضة البناءة والصحافة الحرة، والحريات العامة؟

العامة؟

• ألم يسلط الملاحدة والشيوعيين في الستينيات على حركة الإعلام والثقافة والأدب والفن والصحافة، فأفسدوا غاية الإفساد وشوهوا الأفكار غاية التشويه.
• ألم يحقق لليهود كلما أرادوا من احتلال البلاد، وعلو في الأرض، وأسر للمسجد الأقصى؟

• ألم يحطم آمال العرب في الوحدة حتى عند أقرب المحبين لها؟
• ألم يغير وجهة العالم العربي في السير نحو الإسلام الذي أنزله الله رحمة للعالمين، إلى العلمانية اللادينية.
فماذا سيقى من الايجابيات بجانب الكوارث الكبرى التي ألحقها بمصر وأمة العرب والمسلمين.



الفصل الثالث

أوضاع المجتمع العراقي
عند ظهور جماعة الإخوان المسلمين فيه

الفصل الثالث

أوضاع المجتمع العراقي عند ظهور جماعة الإخوان المسلمين فيه

تركيبة المجتمع العراقي :

سكان العراق عند ظهور جماعة الإخوان المسلمين كانوا حوالي خمسة ملايين، منهم (٩٧٪) مسلمون، والباقي نصارى ويهود وصابئة^(١)، ويزيدية^(٢) وكاكائية^(٣) وشبك^(٤). ومعظم اليهود هاجروا إلى فلسطين العربية المسلمة، بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٩ م. والمسلمون يتكونون من أهل السنة والشيعة الإمامية الإثني عشرية. والإحصائيات تقول بأن العرب كانوا يشكلون (٧٥٪) من السكان والأكراد (١٦٪) والباقي تتوزعه القوميات الأخرى. منهم التركمان المسلمون، وبقية القوميات غير المسلمة كالسريان والكلدان من سكان العراق الأصليين والآثوريين

(١) الصابئة المندائيون، لا يؤمنون بالنبوات وإنما بالوسائط الروحانية ويعظمون الملائكة، ويقدمون الكواكب، والصابثون، الدكتور رشدي عليان، ط الأولى، بغداد، ١٩٧٦ م، ص : ١٠٠ وما بعدها.

(٢) اليزيدية، عبدة الشيطان خوفاً من شره في صورة (طاووس ملك)، راجع: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، عبدالرزاق الحسني، ط ٣، صيدا، ١٣٨٠ هـ / ١٩٧٦ م، ص : ٤٦.

(٣) وهم يعتقدون بالوهمية على (العلی الإلهية)، وهم قرييون من النصيرية. الكاكائية، رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الشريعة، بغداد.

(٤) الشبك: فيهم من أهل السنة وفيهم من الشيعة الغلاة الذين خرجوا من الإسلام. الشبك، أحمد حامد الصواف، المعارف، بغداد، ١٩٤٥ م، ص : ٢.

والأرمن الذين دخلوا العراق بعد الحرب العالمية الأولى.

أما الأكراد فهم يسكنون محافظة السليمانية وأربيل وقسماً من محافظة الموصل وقسماً من محافظة كركوك ومنطقة خانقين وهم جميعاً من أهل السنة والجماعة عدا أقلية من الفيلية كانوا يسكنون في منطقة خانقين من محافظة ديالى قريباً من الحدود الإيرانية. وأما التركمان فهم يسكنون في خط فاصل بين العرب والأكراد ابتداءً من تلعفر مروراً بأربيل وكركوك وطوز خرماتو وكفرى وخانقين ومنلي، وأكثرهم يتمون إلى أهل السنة والجماعة والباقون شيعة إمامية وشيعة غلاة، لاسيما في تلعفر وقرية تسعين قرب مدينة كركوك.

وأما العرب، فالذين يسكنون محافظة الموصل المكتظة بالسكان ومحافظة الأنبار، وشمالى مدينة بغداد، فهم من أهل السنة، والذين يسكنون بغداد وجنوبها منهم وكذلك محافظات الوسط كديالى والحلة والكوت والبصرة في الجنوب، فهم خليط من السنة والشيعة، متوازنين تقريباً في العدد. وأما محافظة كربلاء والديوانية والناصرية والعمارة فأكثرية سكانها كانوا من الشيعة^(١).

وضع الدولة في فترة الدراسة :

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى وصفا الجو للإنجليز واحتلوا العراق، نقلوا إليه الملك فيصل بن الشريف حسين، وعينه ملكاً على العراق في ظل احتلالهم البغيض، وأتوا معه بالضباط الذين قاتلوا معه الدولة العثمانية، ومعهم عدد من المدنيين الحقوقين وغيرهم، فتشكلت الدولة العراقية، وأسس الجيش العراقي تحت إشرافهم

(١) محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، للدكتور جاسم محمد خلف، معهد الدراسات العربية العليا، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٩٥ م، ص : ٣٨٧.

المباشر. فأقرت الدولة الجديدة القانون الأساسي للبلاد، الذي نص على أن الدولة العراقية دولة دستورية ملكية، ذات مجلسين، المجلس النيابي ومجلس الأعيان، وأن الحريات مكفولة، يضمنها حرية الصحافة وحرية الكلام وحرية تأسيس الأحزاب السياسية، ولكن مع تدخل الحكومة في تقييد نشاطات الأحزاب والصحافة في كثير من الأحيان، ومع التزييف الدائم للانتخابات، ومع تدخل دوائر الأمن والشرطة أحياناً في إعاقة أو تقييد كثير من النشاطات السياسية في البلاد، لاسيما ما يتعلق بالشيوعيين والأحزاب المعارضة.

وكان معظم الضباط الذين تسلموا رئاسة الوزارة أو الوزارات متأثرين بمبادئ حزب الاتحاد والترقي اللاديني الماسوني، لأنهم كانوا من خريجي المعاهد التركية، ولذلك فهم كانوا يعيدون عن الدين، يقودون دولة علمانية، لا تحكم بالشريعة الإسلامية ولا تحافظ على القانون الأخلاقي الإسلامي.

بل كانوا يشكلون بؤر الفساد الاجتماعي والسياسي والأخلاقي، وكانوا مع ذلك خاضعين لتوجيهات الإنجليز منذ أول يوم من الاحتلال إلى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م، وكرسوا الحياة الإقليمية، ولم يفعلوا شيئاً كثيراً لإحداث تنمية حقيقية، إلا في فترة متأخرة جداً عندما أسسوا مجلس الأعمار في بداية الخمسينيات.

وكان حكمهم يستند إلى قوة الملاكين الكبار من رؤساء العشائر المتصلين بالإنجليز والصناعيين، الذين كانوا يتلقون الدعم منهم^(١).

وهذا لا يعني أنه لم يكن في العراق رجال صادقون، كانوا يحاولون الإصلاح والتخلص من الاستعمار الإنجليزي ونفوذه وألعايبه ولكن سيطرة الإنجليز على العائلة المالكة وتأثيرهم المباشر وغير المباشر في السياسيين الحاكمين، وارتباط الملاك

(١) من الممكن الاستفادة من كتاب (العراق - الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية)، حنا بطاطو، ترجمة: عفيف الرزاز.

والتجار الكبار والصناعيين وكثير من رؤساء العشائر ارتباطاً عضوياً بهم، كان يخنق كل صوت معارض، ولا يسمع نداء الحق من المصلحين. والدليل على ذلك الثورات التي حدثت، والانتفاضات التي جرت، والجرائد الحرة التي كتبت، وأصوات نواب المعارضة التي فضحت تلك الأساليب طيلة حكم هؤلاء.

هذه الأحوال السيئة أدت إلى ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م التي جاءت بالضباط من ذوي الاتجاهات المختلفة إلى الحكم، فلم يستطيعوا الاتفاق على شيء، فأدى الصراع بينهم إلى تغلب الجمع الذي كان يناصر الشيوعية، على الجمع الذي أراد من العراق أن يعود إلى أحضان أمته العربية ويصنع معها الوحدة أو التضامن، فاختلف الميزان، واختلف القوم، فتولى الشيوعيون كيد المظالم والمجازر، فقادوا الثوار الحقيقيين إلى السجون والمشاتق مما يرد تفصيله - إن شاء الله - في أثناء البحث.

الأوضاع الدينية في هذه الفترة :

كان الشعب العراقي من حيث العموم في فترة الدراسة، ولا سيما في الأربعينات والخمسينيات بعيداً عن الدين، وتنفيذ أحكامه والتمثل بأدبه وأخلاقه. وكانوا أقرب ما يكونون إلى مسلمين جغرافيين إلا من رحم الله ومظاهر ذلك خلو المساجد من المتدينين، وذلك للأسباب الآتية:

١ - الغزو الفكري العام المنسق الذي شُنَّ على بلاد الإسلام عبر قنوات كثيرة، في ظل حراب المستعمرين الذي نشروا الفساد الاجتماعي من خلال توجيه الأخلاق المادية الإباحية الغربية في بلاد المسلمين.

وكان نصيب العراق ثباتاً وملحوظاً من ذلك، ولا سيما وأن الإنجليز منذ احتلالهم العراق فتحوا أوسع المجالات لنشر الموبقات والردائل علناً وبأنواعها، من أهمها فتح المباحي العامة في أماكن بارزة من بغداد وعدد من المدن، مما أدى إلى تأثر الجيل

بذلك. وساعد على ذلك أن الحكام العراقيين أنفسهم وأركان دولتهم كانوا قد تأثروا بتلك الأخلاق في أثناء دراستهم في اسطنبول في ظل حكم الاتحاد والترقي اللاديني الماسوني.

٢ - الاحتكاك بين مجتمع متأخر فقير مستلب، وبين حضارة طاغية مبدعة منظمة شاملة، وهي حضارة الغازي الغربي، مما دفع المثقفين الجدد إلى الظن بأن الأخلاقيات الإباحية الغربية، هي مظهر من مظاهر الرقي في تلك الحضارة. فلا بد من الأخذ بها والدعوة إليها وتمكينها من حياة المسلمين. والداعون إلى ذلك من أهل الأفكار الجديدة، كانوا قد فقدوا أصلاً الإيمان بالدين والأخلاقيات المبنية عليه، نتيجة لتأثرهم بالفلسفات المادية الغربية كالوضعية والداروينية والفرويدية^(١).

٣ - معظم العلماء من أهل السنة والجماعة كانوا بعيدين عن هذا الصراع الحديث وكانوا مشغولين بين جدران مساجدهم بتدريس علوم العربية والمنطقية والفلسفية والكلامية والفقهية بأساليب معقدة بعيدة عن مشاكل العصر وأسلوب العصر وأمراض العالم الإسلامي، وكانوا غافلين تماماً عما يدور حولهم من الغزو الفكري المنظم لقلعة الإسلام، ولم يستطع الكثيرون منهم حتى أن ينقذوا أولادهم من الإلحاد أو اللادينية أو ترك الفرائض الإسلامية، بل إن جمعاً من أولاد هؤلاء العلماء في مناطق العراق كافة هم الذين كانوا يقودون تلك الحركات الإلحادية أو اللادينية أعرفهم بأسمائهم. وكان المأمول من هؤلاء العلماء قيادة حركة المقاومة الإسلامية، علماً وعملاً، ومناصرة المظلومين والوقوف أمام الحكام الظالمين والمفسدين، ولكنهم ابتعدوا تماماً عن ميدان هذا الجهاد العصري الكبير. والمخلصون وأهل التقوى منهم اكتفوا بالحوارات والدعاء والأسف على حال المسلمين.

(١) لزيادة المعلومات راجع كتابي (أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث).

وأما معظم علماء الشيعة فكان كل همهم ينصب على القضايا المذهبية الطائفية المحضة، واجترار الكلام حول مأساة الحسين رضي الله عنه، وقيادة مجالس العزاء المتدعة، والتشجيع على لطم الخدود وشق الجيوب وزينة القبور واستغلال العواطف حول المظالم التي لحقت بآل بيت الرسول ﷺ، من أجل الدنيا والثراء، وكان المزورون الدجالون في المراقدين يتفخون في هذا الكبر، لكي يشتد عوده يوماً بعد يوم. وندرة من المخلصين من هؤلاء، تجنبوا في مواجهة هذه الانحرافات الكبيرة، وجهل حقائق الإسلام بالكلية، خوفاً من غضب العوام، والدجالين المزورين من طلبة الدنيا. بل أحياناً من المجتهدين الآخرين من أمثالهم.

ولم يكن معظم أهل الحوزات العلمية من الشيعة - في فترة الدراسة - قد دخلوا في أتون صراعات الفكر الإسلامي الحديث مع الإلحاد واللا دينية ولم يكن لهم تأثير على قيادة الجماهير المسلمة. ولذلك ظل الجمهور الأعظم من الشيعة بعيدين كل البعد عن مجال الإسلام والأخلاق العملية الإسلامية، تماماً كما بعد الجيل الجديد من أهل السنة. على أنه حصل تغيير ملحوظ منذ نهاية الخمسينات إذ توجه جمع من العلماء والمتقنين الشيعة إلى تبني الأفكار الإسلامية العامة والايان بشمولية الإسلام بالحياة متأثرين بأفكار مفكري الجماعات الإسلامية العامة كالإمام حسن البنا وسيد قطب وأبي الأعلى المودودي وغيرهم وأبرز هؤلاء وأقدمهم مؤسسو حزب الدعوة الإسلامية الذي دخل في أتون الصراعات الفكرية الإسلامية المعاصرة منذ عام ١٩٥٧ وما بعده.

٤ - أما أكثر شيوخ الطرق الصوفية في العصور الأخيرة. ولا سيما في فترة الدراسة فقد حرفوا حقيقة التصوف، وحولوا تكاياهم إلى مراتع وإقطاعات لتقديس أنفسهم ونشر الكرامات الكاذبة حولهم، وتركوا دراسة العلوم الإسلامية، فأوقعوا أنفسهم في الجهالات والانحرافات والبدع الدخيلة في الدين زيادة على ذلك فقد عزلوا أنفسهم

عن حركة الحياة وصراعاتها وتظاهروا بالانشغال بتهذيب النفس، وحطموا نظرية الكرخي الصحيحة (التصوف طلب الحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق) إلى (جهل الخلائق والطمع فيما في أيدي الخلائق) وكانوا هم وأولادهم يعيشون في القصور وركوب السيارات الفارهة، ويتمتعون بما كان يتمتع به الأمراء والأغنياء. وقد وصل الأمر بأولاد بعضهم أن يعقدوا اجتماعات الأحزاب اللادينية في داخل بيوتهم وتكايهم، وكان منهم بعض زملائي في المدرسة الثانوية، ولم يكن يهمهم من أمر الإسلام شيء لا من قريب ولا من بعيد.

التيارات السياسية :

ظهرت الشيوعية بكل مبادئها الإلحادية في المجتمع منذ أوائل العشرينيات في جماعات صغيرة هنا وهناك، لاسيما في الجنوب، ثم تبلورت هذه الجماعات واتحدت لتكون نواة الحزب الشيوعي العراقي في أواسط الثلاثينيات، ثم انتشرت الحركة الشيوعية في الساحة الفكرية العراقية في غفلة من حقائق الإسلام وإخفاق الدولة في نشر العدل الاجتماعي.

واستطاع الشيوعيون في فترة الدراسة أن يكونوا أعظم المؤثرين في الطبقة المثقفة والمتعلمة في المدارس والجامعات والمجتمعات العمالية، كما استطاعوا أن ينفذوا في نسيج أحزاب أخرى كالجبهة الشعبية والحزب الوطني الديمقراطي الذي كان يمثل الطبقة (البرجوازية) والبرجوازية الصغيرة كما يعبر الشيوعيون أنفسهم^(١). وكان يتحرك في الساحة السياسية أيضاً، حزب الاستقلال الذي كان يضم أخلاطاً

(١) تفاصيل تاريخ الحزب الشيوعي في العراق تجدها في مصدرين مهمين:

- أولهما: العراق والحزب الشيوعي، حنا بطوطو.
- ثانيهما: أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، لسامير عبدالكريم، خمسة أجزاء.

من القوميين العرب.

وهذان الحزبان، الديمقراطي والاستقلال كانا يقفان في معظم الأحوال في خط المعارضة من الحكومات التي كان يشكلها نوري السعيد أو أعوانه.

وكان هنالك حزب الاتحاد الدستوري الذي شكله نوري السعيد من أعوانه، من السياسيين والملاك الكبار وشيوخ العشائر وبعض الصناعيين، وبجانبه حزب الأمة الذي أسسه صالح جبر لمزاحمة نوري السعيد، وكان يضم أيضاً الملاك الكبار وشيوخ العشائر وبعض الصناعيين وعدد من المثقفين.

وكان الحزبان الأخيران يمثلان طبيعة النظام القائم والسياسة الإنجليزية في البلاد، وكانا مكروهين من لدن معظم طبقات الشعب المسحوقة. وكان النظام القائم وعلى رأسه الأمير عبد الإله ونوري السعيد، يسيطر على أغلبية المجلس النيابي ومجلس الأعيان. والعدد القليل من نواب المعارضة الذين كانوا ينتمون إلى الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال والمستقلين، لم يكن لهم التأثير المطلوب في تغيير الوضع القائم، غير فضح سياسات الحكومات في المجلسين أو في جرائمهم المعارضة. ولم يكن العراق يؤمّن عقيماً بالرجال المخلصين من السياسيين، أمثال عبد المحسن السعدون وياسين الهاشمي وطه الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ومحمد رضا الشبي وصادق البصام وغيرهم.

غير أن الإنجليز كانوا يقفون أمام كل من يريد الإصلاح وتغيير الوضع وإعادة إخراج العراق من وضع الضعف إلى وضع القوة، كي يبقى ضعيفاً، لا يعمل لصالح تنمية حقيقية للوطن وتحقيق وحدة راسخة للأمة العربية والوقوف أمام مطامع اليهود في فلسطين. وظهر في بداية الخمسينيات تيار قومي ثوري منظم آخر، تجسد في حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي كان قد أسسه في سوريا عام ١٩٤٧م جمع من المثقفين العرب القوميين الاشتراكيين، أمثال زكي الارسودي وجلال السيد وميشيل

عُلق وصالح الدين البيطار وأكرام الحوراني وغيرهم.
وكان هذا الحزب يدعو إلى الوحدة العربية ثم إلى تحرير الإنسان العربي من العوامل
الداخلية والخارجية التي تعيق حركته التنموية الثورية، ثم إلى تطبيق نظام اشتراكي
خاص بالعرب يراعي أوضاعهم الدينية والتاريخية والحضارية.
والحزب يعتقد أن في هذا تجديد لرسالة العرب الخالدة، التي يمكن أن تتجدد في
كل عصر بما يناسب ظروف ذلك العصر، لا يقف موقفاً حيادياً بين الإيمان والإلحاد،
وإنما ينحاز إلى جانب الإيمان ضد الإلحاد، ولكن لا يعمل لإقامة دولة دينية^(١).
وقد انضم إلى الحزب الطلاب والمدرسون والمثقفون والعمال وبعض أولاد العشائر،
لأسيما من الطبقة المثقفة. ورفض الحزب الأوضاع السائدة في العراق في ظل النظام
الملكي، واشترك في ثورة تموز ١٩٥٨ م مع التيارات الأخرى. وعندما انخرقت الثورة
عن أهدافها، دخل الحزب مع التيار الإسلامي وغيره في مواجهة عنيفة ضد حكم
عبدالكريم قاسم الذي ساند الشيوعيين، كما سيأتي تفصيله فيما بعد.

الظروف الاجتماعية :

سكان العراق في هذه الفترة، كانوا يتكونون من ثلاث مجموعات :

١ - أهل البدو.

٢ - أهل الريف.

٣ - أهل المدن.

أما أهل البادية فكانوا ينتقلون من مكان إلى مكان طلباً للرعي، وأما أهل الريف،
فكانوا يسكنون القرى ويعملون في الزراعة، والوحدة الاجتماعية هي العشيرة. والحق

(١) في سبيل البعث، لميشيل علق، ص : ٢٨٩. وكذلك كتابه : البعث والتراث، ص : ٢٠ وما
بعدها - ٤٤ وما بعدها - ٨٠ وما بعدها.

أن المجتمع العراقي في معظمه مجتمع عشائري ترك بصماته حتى على أهل المدن الذين نزحوا من الريف لأسباب متنوعة، حسب تطور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية^(١).

وأما سكان المدن، فهم يشكلون الموظفين الكبار والصغار والمثقفين والتجار والصناعيين والكسبة والعمال وغيرهم. ومن الجدير بالذكر أن الأمة في هذه الفترة قد ضربت أطنابها على أكثرية الشعب العراقي.

وعلى الرغم من وجود عدد من العلماء الكبار في هذه الفترة، لاسيما في مراكز المدن، كانوا يوجهون الناس إلى مبادئ الدين والأخلاق عن طريق المواعظ العامة والدروس الخاصة وخطب الجمعة والاحتفالات بالمناسبات الدينية، إلا أن الشعب عامة ظل بمعزل عن حقائق الإسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، لأن الاستعمار الإنجليزي الذي احتل العراق منذ الحرب العالمية الأولى، كان هدفه الأساسي، إفساد هذا الشعب في أخلاقه، لنشر الملامهي والمراقص والخمارات وعرض الأفلام الهابطة في دور السينما، وتشجيع دور البغاء العلني والسري في المدن الكبرى، وتأسيس النوادي المشبوهة في كل مدينة، لاسيما لكبار موظفي الدولة المدنيين والعسكريين.

وكان اليهود هم الذين يتولون كيد هذا الفساد في ظل الاحتلال الإنجليزي، وعن طريق الجمعيات الماسونية التي كانوا يديرونها، كما هو شأنهم في مختلف أنحاء العالم.

ومن هنا فقد ضعف الوازع الديني في نفوس معظم الناس، مما هيا السيل، لنشر الجهالة والخرافة، وحصر الدين في الطواف حول قبور الصالحين والأئمة والاستغاثة بهم وحضور المجالس البدعية للمتصوفة المنحرفين.

(١) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، للدكتور علي الوردي، ط الأولى، بغداد، مطبعة العاني، ص: ١٤٢ وما بعدها.

كما أن ذلك الضعف هو الذي مهد السبيل لانتشار الأفكار الإلحادية واللا دينية والوجودية والإباحية. ولذلك كانت مشكلة المجتمع العراقي في فترة الدراسة مشكلة عقائدية، بحيث كادت المساجد تخلو من الجيل الجديد.

واستطيع أن أعطي نموذجاً في دار المعلمين العالية التي كنت طالباً فيها، والتي كان عدد طلابها في حدود ألف طالب وطالبة، بأن عدد الذين كانوا يصومون في رمضان لم يكونوا أكثر من خمسين طالب وطالبة، أكثر من نصف هؤلاء كانوا من شباب الإخوان، وهكذا في الكليات والمعاهد الأخرى.

وكان الإفطار علنياً في رمضان على الرغم من البيان الهزيل الذي كانت تصدره وزارة الداخلية بمنع الإفطار العلني.

وأما معظم رجالات الدولة من الوزراء وكبار رجالات الدولة المدنيين والعسكريين، فكانوا بعيدين عن الدين بعداً كبيراً. ومن النادر أن تلتقي مع واحد منهم في مسجد أو مناسبة دينية.

وأما الطبقة المثقفة، فكانت هي التي تقود حركة الإلحاد واللا دينية في مجالات العلوم الإنسانية والصرفة كافة، ولا سيما في مجال التعليم في مرحلة الجامعة.

الظروف الاقتصادية :

كان الملاك من رؤساء العشائر الكبرى يملكون معظم الأراضي الصالحة للزراعة في العراق، حازوا عليها عبر السنوات الطوال هم وآباؤهم عن طريق الاغتصاب أو الظلم أو عن طريق الهبات من الدولة لإسكات حركاتهم والحصول على مساندتهم، أو عن طريق استحواذ الشيخ على ما للعشيرة وتسجيلها باسمه.

وأما أكثرية أبناء الشعب من العمال والفلاحين والكسبة وصغار الموظفين فكانوا فقراء أو يعيشون تحت مستوى الفقر. وكانوا لذلك مستعدين للاستجابة لأي صوت

صديق أو كاذب يدعوهم إلى الثورة على هذه الأوضاع المزرية.

وكانت الملكيات الزراعية الصغيرة قليلة إلا في كردستان العراق ولذلك نجد الأحوال المعيشية في هذه الفترة بين فلاحي الأكراد أفضل من إخوانهم المسحوقين من العرب في الوسط والجنوب، تحت وطأة الملكيات التي كادت أن تشمل معظم تلك المناطق، على أن الملكيات الكبيرة أيضاً لم تكن معدومة وبكثرة أيضاً بين الملاكين الكبار من الأغوات في المنطقة الكردية^(١).



(١) مشاهداتي العينية في جميع هذه المناطق، راجع أيضاً (العراق)، لحناء بطاطو، ج ١، ص: ٧٥ وما بعدها.

• الباب الأول

- ظهور جماعة الإخوان المسلمين في العراق.

• الفصل الأول:

- الدكتور حسين كمال الدين في العراق.

• الفصل الثاني:

- رجوع محمد محمود الصواف إلى العراق.

• الفصل الثالث:

- الإخوان المسلمون في العهد الملكي.

• الفصل الرابع:

- النشاط الدعوى للإخوان في العراق.

الفصل الأول

الدكتور حسين كمال الدين في العراق

تمهيد

حدثني الأخ الأستاذ خليل العقرب فقال : إن أول اتصال تم بين جماعة الإخوان في مصر والمجتمع العراقي كان عندما لفت نظر الأستاذ عبد الهادي باحسين - رحمه الله - وجود عدد من مجلة (الإخوان المسلمين) في إحدى المكتبات عام ١٩٤١م في البصرة فاقتنى العدد، ونظر فيه، فأعجب بمسلك المجلة ومنهجها والموضوعات التي وردت فيها، فأيقظت عنده الإحساس بوجوب الاهتمام بأمور المسلمين.

قال الأستاذ خليل : فأتاني بالمجلة المذكورة فقرأتها وأعجبت بها كما أعجب بها صاحبي، وأثرت في بعث ما أثرت فيه.

قال : ثم إن الأستاذ عبد الهادي كتب رسالة لرئيس تحرير المجلة الأستاذ حسن البنا - رحمه الله تعالى - يطلب اشتراكه فيها، فأرسل إليه الأستاذ البنا رسالة جوابية، وقبل اشتراكه فيها. فكانت المجلة تأتي إليه بالبريد تباعاً، وكنت أقرأها معه، ويقرأها غيري، فأثرت موضوعاتها فينا تأثيراً كبيراً.

حسين كمال الدين مؤسس الدعوة :

إن الاحتكاك الأساسي بدأ بدعوة الإخوان المسلمين في العراق، عندما جاء إلى بغداد، الدكتور حسين كمال الدين، وعين أستاذاً في كلية الهندسة، فرأى طلابه فيه

داعية ثباتاً للإسلام، جلبهم إليه، بعمق ثقافته الإسلامية والعصرية، وحسن خلقه وتواضعه، وتمكنه من الموضوع الذي يدرسه.

فلندع هذا الكلام لأحد تلامذته المقربين منه، وهو المهندس عبدالوهاب الحاج حسن، الذي يقول^(١): (كانت مجلة - الإخوان المسلمين - تصل إلى العراق في الأربعينيات وتوزع على المكتبات في المدن العراقية^(٢)، ويتكاثر قراؤها يوماً بعد آخر. باعتبارها مجلة إسلامية حرة، تنشر العقيدة الإسلامية والثقافة القرآنية، وتعرض المبادئ الإسلامية الذي يدعو إليها الإخوان المسلمون.

قال: وفي سنة ١٩٤٤م انتدبت مصر عدداً من الأساتذة للتدريس في العراق بناءً على طلب وزارة المعارف العراقية وكان عدد من هؤلاء من جماعة الإخوان المسلمين، وأذكر منهم:

• المرحوم الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين، الذي كان رئيس منظمة الجلالة التابعة للإخوان المسلمين في مصر، وكان يدرس (المساحة) في كلية الهندسة في بغداد.

• الأستاذ علي عبد الحفيظ، وكان يدرس علم الري في كلية الهندسة.

• الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد، وكان يدرس في المدارس الثانوية، ولا سيما في ثانوية الميتم الإسلامي.

• الأستاذ محمود يوسف، وكان يدرس اللغة العربية في المدارس الثانوية.

(١) في يتي ببغداد، في عشرين رمضان ١٤١٦هـ.

(٢) أكد لي في هذا الموضوع المرحوم الدكتور عبدالفتاح محمد طالع الألوسي (وزير الإسكان الأسبق)، الذي كان بدوره مشتركاً في هذه المجلة، عندما كان تلميذاً للدكتور حسين كمال الدين في كلية الهندسة في بغداد.

ثم سألت الأستاذ عبدالوهاب^(١) عن كيفية انتشار دعوة الإخوان بين شباب الكليات في بغداد.

فأجاب : في سنة ١٩٤٥م كنا طلاباً في كلية الهندسة، وفي أحد الأيام قمنا بسفرة مدرسية إلى معمل نسيج (فتاح باشا) في الكاظمية، ومعنا الأستاذ حسين كمال الدين، وفي طريق العودة، أخذ الأستاذ يتقّد إدارة المعمل بسبب الظروف السيئة التي كان يعيشها العمال حيث ظهر أن عدد العمال كان يزيد على (٧٠٠ عامل) وفيهم الأطفال والنساء، وكانوا يشتغلون (١٣ ساعة) في اليوم ويتقاضون أجوراً زهيدة. ثم تحدث عن حقوق العمال في الإسلام وواجب أرباب العمل في منح هذه الحقوق.

قال : فتقربت إليه وأخذت أمطره بوابل من الأسئلة حول السياسة والاقتصاد والمبادئ، وأخذ يشرح النقاط التي أثيرتها بالتفصيل، ووضع الحلول التي وضعها الإسلام لكل هذه الأمور بصورة واضحة وقابلة للتطوير.

قال : وعندما عدنا إلى الكلية طلب مني أن أقابله، فقابلته فناولني عدداً من الرسائل الصغيرة بقلم المرحوم الإمام حسن البنا، المرشد العام لجماعة الإخوان في مصر، وهو مؤسس الجماعة أيضاً. وأتذكر إن إحدى هذه الرسائل كانت بعنوان (بين الأسر واليوم) والأخرى بعنوان (من أين نبداً).

وقال : لقد أعجبت بعد قراءتي هذه الرسائل بدعوة الإخوان وفكرهم، وكأنني لم أكن أعرف شيئاً عن الإسلام من قبل، وزاد إعجابي عندما علمت أن دعوة الإخوان بعيدة عن الطائفية والمذهبية والعنصرية، فهي تجمع بين جميع الطوائف، وكافة

(١) لذي زارني في بيتي بحسي الكفاءات ببغداد في ليلة خمسة رمضان ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨/١٠/٢م، وأجابني على أسئلة كثيرة ثم كتب لي ذكريات مفصلة في إضبارة كاملة محفوظة في مكتبي - جزاء الله خيراً - ، وذكر لي الأستاذ المحامي نور الدين الواعظ أستاذاً مصرياً آخر في هذه الفترة في بغداد كان يعمل في حقل الدعوة، اسمه (كامل النحاس).

المذاهب والقوميات، حول القرآن الكريم وحول محمد ﷺ، إخوة متحابين متفقيين، يحملون قلوباً نقية متوحدة ويسعون إلى هدف واحد، هو رفع شأن الإسلام ونشره بين العالم. ثم يقول : فبدأت بنشر الفكرة في كلية الهندسة وخارجها، وأثرت على العشرات أذكر منهم توفيق الوتاري وتحسين عبدالقادر وعدنان رانية وعبدالله الحاج سليم وحامد حسين ونافع حمودات^(١).

ويقول : بعد أن انتشرت الدعوة بين طلاب كلية الهندسة والكليات الأخرى بدأنا نعقد اجتماعات أسبوعية، في إحدى الدور في محلة السفينة بالأعظمية، وكان الأستاذ حسين كمال الدين يحضر هذه الاجتماعات ويلقي محاضرات قيمة في شرح مبادئ الإسلام في مختلف شؤون الحياة. وكان يجب على الأسئلة التي نطرحها على بساط البحث حول النقاط التي ترد في هذه المحاضرات، وبعد أن نصلي صلاة المغرب، ننهي الاجتماع.

ويقول : كثر عدد المصلين في الكلية فقدمنا عريضة إلى العميد وكان إنجليزياً اسمه (وليم مارش) لتخصيص غرفة في القسم الداخلي لإقامة الصلاة فيها، فلم يستجب للطلب. وبعد العطلة الصيفية راجعته مرة أخرى لنفس الطلب، فقال : (أرجو ألا تكرر مراجعتي مرة أخرى في هذا الموضوع) فاضطرت إلى نشر احتجاج ضد العميد في مجلة الهداية الإسلامية أشكو تعنت العميد في تحقيق طلبنا، وأيد بعض علماء الدين هذا الطلب، منهم سماحة المرحوم الشيخ قاسم القيسي رئيس جمعية الهداية الإسلامية، والشيخ عبدالله الشيعلي رئيس تحرير مجلة الهداية الإسلامية.

وعندئذ أبلغت وزارة الأشغال التي كانت تدير كلية الهندسة العميد بوجوب تخصيص غرفة للصلاة، وتم تخصيص الغرفة وبدأنا نصلي الصلوات الخمس جماعة

(١) الإضارة المحفوظة في مكتبي بخط الأستاذ عبدالوهاب، ص : ١-٣.

في نيت الغرفة. كثير المذنبين تقبلوا الدعوة في بغداد، ولم تستوعب الدار التي كان يجتمع فيها هذا العدد الكبير، لذا انتقلنا إلى حدائق وقاعات جمعية الشبان المسلمين، وعقدنا الاجتماعات هناك وحضر الاجتماع الأول الأساتذة المصريون (حسين كمال الدين، ومحمد عبد الحميد، ومحمود يوسف) وعدد كبير من الطلاب أتذكر منهم (ياسين سعودي من كلية الحقوق، وعبدالله العنيزي من كلية الطب، ونشأت محمد من دار المعلمين العالية، وتوفيق الوتاري، وأنا من كلية الهندسة)^(١).

وانظر أن حركة الإخوان بجهود الدكتور حسين كمال الدين والأساتذة الآخرين بدأت تنتشر في كلية الهندسة والطب والحقوق ودار العلوم، ووصل الأمر في النهاية إلى عقد اجتماعات متواصلة بين الدكتور حسين وطلبة الإخوان في بغداد، في دور متعددة في منطقة الأعظمية، ولا سيما في بيت عدنان رانية - رحمه الله - .

وكان من ضمن هؤلاء أخي الأستاذ نظام الدين عبد الحميد، الذي كان يومئذ طالباً في دار العلوم بالأعظمية، وكان هؤلاء الطلبة يحاولون أن يؤثروا في الآخرين ويأخذوهم إلى تلك الاجتماعات ليستمعوا إلى شرح الدكتور حسين كمال الدين، للدعوة وقراءة رسائل الإمام حسن البنا.

حدثني الأخ المرحوم سليمان القابلي من قيادة الإخوان في كركوك، الذي كان طالباً يومئذ في كلية الحقوق ببغداد، فقال: رأيت يوماً في سوق الأعظمية أخاك نظام الدين، وكان زميلي في كركوك أيام الدراسة الابتدائية والمتوسطة، فقال لي يا سليمان، يوجد اجتماع إسلامي مهم، تعال معي واستمع، فاعتذرت إليه، ولكنه لم يدعني وأمسك بقوة على يدي، فأخذني إلى ذلك الاجتماع، فلما استمعت إلى كلام الدكتور حسين كمال الدين تأثرت به جداً وقررت الحضور في كل اجتماع وانخرطت في دعوة الإخوان المسلمين.

(١) المصدر السابق، ص: ٤ و ٥.

وحدثني الأستاذ المحامي عبدالكريم الوهاب الأعظمي^(١): أن الدكتور حسين كمال الدين كان هو الذي يترأس الاجتماعات في بيت المرحوم عدنان رانية، وكان يساعده في الدعوة الأستاذ محمد عبدالحميد أحمد، الذي كان يأخذ طلابه إلى حفلات جمعية الهداية الإسلامية، وقد تنشط بعد أن جاءه توجيه من القاهرة يدعوه فيه إلى عمل أوسع وأتقن. ويقول: كنا يومئذ نعمل في اتجاهين، اتجاه نشر الوعي الإسلامي بين الناس، واتجاه مقاومة الشيوعية في المدارس وخارجها وكنا نجادلهم، حتى أن الجماعة يومئذ كلفت الأستاذ نظام الدين عبدالحميد بإلقاء محاضرة عن الماركسية فينا، ثم الذهاب إلى الطلبة الشيوعيين ومناقشتهم ورددهم.

ويقول: لقد كان نشاط الرعيل الأول من الشباب في الأعظمية واسعاً بحيث انضم تحت لواء الدعوة الكثير من الشباب المسلم الذين كانوا يتلهفون إلى من يرشدهم إلى الإسلام الصحيح ليجادلوا المنحرفين والملاحدة بحقائقه الناصعة.

ويقول: كانت مجلة (الإخوان المسلمين) التي كانت تصدر في مصر، خير دافع لنا في تلقف واستيعاب أحكام الإسلام في شتى المجالات من ميادين الحياة، كما كنا نراسلها في كل ما يصعب علينا تفسيره من مواقف الإخوان في مصر باعتبارهم الطليعة للدعوة الإسلامية.

وكانت هذه المجلة تباع علناً في مكتبة المرحوم الحاج (إبراهيم عبدالرزاق الكتبي الأعظمي) حيث كان حريصاً على جلب كل مطبوع إسلامي لنشر دعوة الإخوان وترويجها بين الشباب بغض النظر عن الربح والخسارة^(٢).

(١) في حديث في داره المجاورة لداري في يوم ٣٠ محرم الحرام ١٤١٧ هـ ثم كتب معلوماته تفصيلاً في إضبارة سلمني إياها، وهي محفوظة في مكتبتني.

(٢) وهذه المعلومات قد سمعتها أيضاً من عمي الحاج إبراهيم الذي شاء الله تعالى أن اصاهره بالزواج من إحدى كرياتته، وهي زوجي أم مقداد. وقد كان رحمه الله حريصاً في حياته على ألا

ويقول الأستاذ عبد الكريم : لقد توطدت علاقتنا الإيمانية مع عدد من طلاب دار العلوم في الأعظمية، من إخواننا الأكراد، حيث كانوا خير سند لنا في دعوتنا الإسلامية وخير مشجع لنا على المضي في نشر الوعي الإسلامي وجهاد الملحد، وأنخص بالذكر منهم الأخ نظام الدين عبد الحميد والأخ عبد الله الحاج سليم، والأخ عادل شاكر. ويقول : كنا ثلاثة في الأعظمية، من أبرز الذين يقودون الدعوة في الأعظمية أنا والملا معتوق وصائب عبد المجيد.

وكانت اتصالاتنا تجري في جامع الإمام الأعظم من بعد صلاة العشاء من كل خميس وربما كان يستضيفنا بعض الإخوة من الطلاب الأكراد في القسم الداخلي لدار العلوم. كما كنا ننتهز فرص الاحتفالات الدينية التي كانت تقيمها الجمعيات الدينية كالهداية الإسلامية أو الشبان المسلمين، فنهرع للانضمام إلى تلك الاحتفالات بغية تكثير الشباب المسلم، ومن ثم جلبهم إلى جماعة الإخوان المسلمين. وأما الأستاذ غانم حمودات، فيتحدث عن هذه الفترة الأولى، فيقول : كانت مجلة الإخوان المسلمين، تصل إلى العراق فيما يصل إليه من مجلات وجرائد وكتب مصرية.

وقد استهوت مبادئهم ونشاطهم وغيرتهم على الإسلام كثيراً ممن كانت المجلة تصل إليهم أو زاروا مصر واتصلوا بالجماعة وبالإمام المرشد عليه الرحمة والرضوان. حتى إن جريدة (فتى العراق) الموصلية نشرت منهاج الإخوان في أكثر من عدد في سنة ١٩٤٥ م. وعن استهوتهم مبادئ الإخوان ونشاطهم وغيرتهم على الإسلام السيد (عبد الرحمن سيد محمود) حتى إنه تقدم بخمسة آلاف جنيه مساهمة منه ومن طيبين من أهل الموصل في شراء المركز العام.

يزوج بناته إلا من شباب الإخوان، لما رأى فيهم من حسن الخلق، وحسن فهم حقائق الإسلام. وتوفي في صيف عام ١٩٧٦ م.

وقد كلفه الإمام المرشد بأن يكون هو المراقب العام في العراق فاعتذر بأنه ليس عالماً، وهذا المنصب لا يصلح إلا لعالم^(١).

ومما يتصل بهذه الفترة، في الموصل أنه كان هنالك مدرس مصري اسمه (أحمد كامل المنوفي) في ثانوية الصناعة في مطلع الأربعينيات، كان يشجع قراءة مجلة الإخوان التي كانت تصل إلى مكاتب الموصل وتباع علناً^(٢).

وأما انتشار الدعوة في مدينة أربيل، فيحدثنا الأستاذ عبد الوهاب الحاج حسن، فيقول: (وفي العطلة الصيفية من عام ١٩٤٥م حملنا الدعوة إلى أربيل وأول من اتصلنا به كان العالم الديني فضيلة الملا صالح الكوزه بانكي، أمام مسجد نور الدين، وكان هذا عالماً شهيراً له بعض المؤلفات، وشرحناله بإيجاز أهداف الدعوة وأغراضها، فرحب بنا كثيراً ووضع المسجد تحت تصرفنا فنظمنا في هذا المسجد اجتماعات يومية بعد صلاة المغرب، وكثر الذين تقبلوا الدعوة، وضاق المسجد بنا فانتقلنا إلى تكية الشيخ محي الدين الشيخ صالح، وكان هو إنساناً قاضلاً، يشع نور الإسلام من سحناته، فرحب بنا ووضع التكية تحت تصرفنا أيضاً.

وأذكر فيما يلي بعض الأنشطة التي مارستها في سبيل نشر الفكرة:

١ - مكافحة الأمية: أعلننا عن فتح مدرسة لمكافحة الأمية في مدينة أربيل وذلك في بناية مدرسة أربيل الأولى، الواقعة قرب مصرف الرافدين، فأقبل الأهليون بالالتحاق

(١) في صيف عام ١٤١٩هـ ذهبت إلى الموصل فالتقيت بالأخ الفاضل الأستاذ غانم هودات، فرجوت منه أن يكتب ما يعرفه عن تاريخ الإخوان في العراق، فاستجاب - جزاء الله خيراً -، وكتب بإختصار مذكراته بهذا الشأن، وهي محفوظة في دفتر في مكتبي ببغداد.

(٢) الحياة الخيرية في الموصل من ١٩٢٦-١٩٥٨م، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية الآداب في جامعة بغداد سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص: ٢٢٦ - نقلاً عن السيد فخر الدين محضر باشي في مقابلة معه بتاريخ حزيران ١٩٩٠م مكتوبة بالآلة الطابعة.

الإخوان المسلمون في العراق

بهذه المدرسة، وتطوع عدد من المدرسين والمعلمين للتدريس فيها مجاناً منهم الأستاذ المرحوم نشأت محمد صفوة وعادل مصطفى والمرحوم عبدالله الحاج سليم والمرحوم جهاد عبدالرزاق وأتور محمد الدباغ وأنا وغيرهم. وفي أثناء التدريس كنا نشرح للطلبة مبادئ الإسلام ودعوة الإخوان.

٢ - كنا نزور القرى القريبة من أربيل ونلقي الكلمات والخطب المناسبة لنشر الدعوة.

٣ - وفي كل المناسبات الدينية كذكرى ولادة المصطفى ﷺ وهجرة الرسول ومعركة بدر ومعركة أحد وفتح مكة والإسراء والمعراج وغيرها، كنا نقيم احتفالات كبيرة لتفهيم الناس حقيقة الإسلام، وكيف إنه يلائم كل زمان ومكان، ويقدم حلولاً صحيحة وصائبة لمشاكل العالم كالفقر والجهل والمرض وكيف أن تعاليمه تنظم الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية. كتبت رسالة إلى الأستاذ حسين كمال الدين في القاهرة، وشرحت فيها كل ما قمنا به خلال العطلة الصيفية ووصلتني رسالة جوابية يقول فيها: إنه عرض رسالتي على الأستاذ البناء وفرح بذلك كثيراً وقال: (الله أكبر والله الحمد).

لقد انتشرت الدعوة بين الأقوام الأخرى أيضاً بارك الله فيهم، أرجو تبليغ سلامي إليهم^(١). وفي هذه الفترة أيضاً، يدخل طلبة الإخوان في مواجهة مشهودة مع تيار الفساد الذي كان يشجعه الإنجليز في بغداد. وسبب ذلك أن عميد الكلية الطبية في بغداد الدكتور (ستدرسن) الإنجليزي يأذن بإقامة حفلة مختلطة ليلية بحداثق الكلية، فتدور كؤوس الخمر، ويسود الرقص الماجن، وتستمر الحفلة إلى الصباح وهنا يلجأ الإخوان إلى مسؤولهم عبدالوهاب الحاج حسن، فيكتب مقالاً ينشره في

(١) الإضرابة، مصدر سابق، ص: ٥ و ٦.

جريدة السجل للأستاذ المرحوم محمد طه الفياض بعنوان (حدود الاستهتار) يفضح فيه هذه الحفلة الماجنة على الوجه الآتي :

* يشاهد المرء بين حين وآخر بعض الحوادث المخزية والأعمال السيئة التي تذكى في نفسه جذوة الثورة ضدها ومكافحتها والوقوف في وجهها، فإن هو سكنت عنها فكأنها كبت شعوره قسراً، وكأنها شاطر الذين يقومون بها.

* وإني أتحدث هنا عن مثال لهذه الأعمال، يتجسم في حفلة قام بها طلاب وطالبات كلية الطب، والتي كانت حقاً دليلاً ساطعاً على تدهور الأخلاق والانحطاط فيها إلى درجة مؤلمة:

- بدأت الحفلة مساءً، وقد حضر جوق بغدادي وأخذ يعزف الموسيقى التافهة والألحان الساقطة، حتى منتصف الليل، وكانت الرقصات الخليعة، والأدب المكشوف والأغاني المهيجة للمشهورات سائدة خلال هذه المدة.

- وبعد منتصف الليل انصرف العميد وآخرون، ودارت على الباقيين كؤوس الخمر إلى أن فقدوا وعيهم، فكانوا يتمايلون ويتخطون على وجوههم حتى الساعة الرابعة صباحاً، ثم غلبهم النعاس والنوم، فإذا بهم مشتون هنا وهناك، هائمون يتمرغون على الأعشاب وعلى الأرض الخالية إلى وقت متأخر من النهار.

* بهذه الصورة المزرية انتهت الحفلة التي أقامها أرقى معهد من معاهدنا العالية. ثم يتحدث المقال عن قيمة الأخلاق في المجتمع، وكيف أن فرنسا انهارت أمام ألمانيا، نتيجة لفساد أخلاق جيلها الناشئ وكيف أن بلادنا تحتاج إلى البناء والأعمار ونشر الفضائل حتى تستيقظ من تأخرها. ويدعو المقال في الأخير إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية، حتى يتكون جيل قوي، يستطيع إنقاذ البلاد من أيدي الأعداء. لقد كان لهذا المقال تأثير كبير نزل كالصاعقة على عميد الكلية، والطلبة الذين أقاموا ذلك الاحتفال، فهاجروا على طلبة الإخوان وعلى رأسهم داود الصانع.

فلما ذهب هو وبعض إخوانه إلى العميد الإنجليزي، يشكون إليه هذا الاعتداء فبدل أن ينصفهم قال لهم بالحرف الواحد : (كان يجب عليهم أن يحرقوكم ولا يكتفوا بضر بكم).

لقد كان ظهور الإخوان في هذه الفترة مفاجئة للحركة الشيوعية في العراق، لأنهم كانوا من قبل منفردين بشباب الأمة، لم ينافسهم في ذلك منافس قوي، وكانوا يقودون شباب الأمة إلى الإلحاد واللا دينية والحياة اللاهية في ضوء ما كانوا يؤمنون به من مبادئ. فلما ظهرت دعوة الإخوان، وبدأت تنتشر بين الشباب، خاف الشيوعيون على مستقبلهم وعرفوا أن معرفة المسلمين للإسلام الحق الذي يعرضه الإخوان، كفيل بانقضاء عليهم، فبدأوا يكتبون في صحفهم السرية مقالات يهاجمون فيها الإخوان، ويفترون عليهم من منطلق قاعدتهم (إكذب إكذب حتى يصدقك الناس).

يقول الأستاذ عبدالوهاب الحاج حسن، نشرت إحدى الجرائد السرية الشيوعية مقالاً قالت فيه : (في الآونة الأخيرة أخذت تنتشر بعض الدعوات المشبوهة في العراق، غايتها ضرب المبادئ التقدمية والإضرار بالحركة خدمة للاستعمار الأجنبي).

ومن بين هذه الدعوات ما تسمى بدعوة (الإخوان المسلمين) فقد أخذ أحد القاديين من مصر واسمه (حسين كمال الدين) بنشر مبادئ الإخوان وعقد اجتماعات سرية في البيوت. مع العلم أن الإنجليز يدعمون هذه الجماعة ويصرفون عليها بسخاء لمكافحة الأفكار التحررية والمبادئ^(١).

والذي يمكن أن نستخلصه مما عرضنا بين عامي (١٩٤١-١٩٤٦ م) أن دعوة الإخوان المسلمين، انتشرت في بغداد والموصل والبصرة وأربيل، واحتك الإخوان بالمجتمع الذي حولهم، ودخلوا في صراع فكري مع الفساد الاجتماعي، وقارعوا

(١) الإضرابة، ص : ١٢.

المبادئ الشيوعية التي لم يكن أحد يستطيع أن يقف أمامها إلا شباب الإخوان بثقافتهم الإسلامية المتواضعة وروحهم الإيمانية العالية، ومعرفتهم بأفكار أعدائهم المنحرفة. ومن الإنصاف أن أقول إن المؤسس الحقيقي لدعوة الإخوان في العراق هو الدكتور حسين كمال الدين^(١) المصري، الأستاذ في كلية الهندسة في بغداد. والدلائل كلها تشير إلى أنه كان ذا تأثير كبير، وعقلية تنظيمية محكمة، بحيث استطاع بهدوئه وإخلاصه أن يؤثر في طلبته في كلية الهندسة وفي كليات أخرى، عبر لقاءاته بهم واجتماعه المستمر معهم وتوجيهه وتثقيفه إياهم في الدور التي كانوا يجتمعون فيها في محلة السفينة. في الأعظمية ولاسيما دار الملا معتوق وعدنان رانية - رحمها الله تعالى - .



(١) انتخب عضواً في مكتب الإرشاد، وفي محنة الإخوان عام ١٩٥٤ م حكم عليه ظلتاً بالسجن مدى الحياة، فبقى حوالي عشرين عاماً في سجون الطاغية جمال عبدالناصر، فخرج عام ١٩٧٣ م. وقد قدر الله تعالى أن التقى به في مؤتمر الفقه الإسلامي في الرياض عام ١٩٧٦ م، حيث قدمني إليه الأستاذ الصواف - رحمه الله - فجلست معه قدر ساعة، وذكرته بما قدم في العراق من خير وجهود في سبيل نشر الدعوة، وتذكر ذلك جيداً وذكرت له بعض الأسماء منهم عبدالوهاب الحاج حسن، ونظام الدين عند الحميد، وقد رأيت رجلاً هادئاً متواضعاً ربانياً، على خلق رفيع جداً. وكان ينكر أن ينسب إليه أي فضل لا في العراق ولا في مصر. رحمه الله رحمة واسعة وحشره مع أوليائه الصالحين آمين.

الفصل الثاني

رجوع محمد محمود الصواف إلى العراق

الفصل الثاني

رجوع محمد محمود الصواف إلى العراق

عندما رجع الأستاذ محمد محمود الصواف من مصر عام ١٩٤٦م، وجد أمامه أرضاً موطدة، تمثلت في شباب رباهم الدكتور حسين كمال الدين صياغة إخوانية جيدة، متشرين هنا وهناك في المدن التي ذكرناها، فبذل جهداً طيباً في دفع عجلة الدعوة إلى الأمام. فتكوينه المبكر في الموصل ومصر، وقدراته الذاتية قد ساعدته على تحقيق ما كان يصبو إليه. والآن لتعرف على هذه الشخصية القوية العاطفية الذي تولى قيادة هذا النشء الجديد في العراق والنتائج التي توصل إليها.

حياته :

ولد محمد محمود الصواف عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م من أسرة صالحة معروفة في الموصل بعائلة الصواف، كانت تشتغل بالتجارة والفلاحة، يرجع أصلها إلى (حائل) ويتمي إلى قبيلة (طي) العربية المشهورة، فرع شمر، نزحت من الجزيرة العربية قبل مائتي سنة واستقرت في مدينة الموصل العربية المسلمة. نشأ في المساجد منذ أن فتح عينيه على الحياة، يصلي الفجر في الجامع، ودرس سنين على يد العلامة الشيخ عبدالله النعمة، وأخذ منه الإجازة العلمية، ودرس كذلك على العالم الجليل الشيخ صالح الجوادي وكان في المساء يدرس في المدارس الحكومية، ثم ظهر نشاطه الملحوظ بعد انتسابه إلى جمعية الشبان المسلمين في الموصل^(١).

(١) من سجل ذكرياتي، للصواف، ص: ٢٣ و ٢٥.

وكانت بيثة الموصل يومئذ إسلامية إيمانية علمية جهادية تناصر الخلافة الإسلامية العثمانية ضد الإنجليز^(١).

أسس الصواف في الموصل جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعاونة أصدقائه عبدالرحمن السيد محمود، واشتغل معلماً للغة العربية والدين في مدرسة من مدارس وزارة المعارف، وقام ببيت حقائق الدين الإسلامي بين الطلاب^(٢).

ذهب الصواف إلى جامعة الأزهر عام ١٩٣٩ م ضمن بعثة مديرية الأوقاف العامة. ولما قامت الحرب العالمية الثانية، رجعت البعثة إلى العراق، ثم أرسلت البعثة مرة أخرى على نفقة الثرى (مصطفى الصابونجي) فقطع الصواف ست سنوات بثلاث سنوات بقرار من الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر مرة، وبقرار من المجلس الأعلى للأزهر مرة ثانية، ثم واصل دراسته في اختصاص القضاء الشرعي بقرار من الشيخ مصطفى عبدالرازق شيخ الأزهر، ورجع إلى بغداد عام ١٩٤٦ م^(٣).

إتصاله بالإمام حسن البنا :

كان أول لقاء للصواف مع الإمام حسن البنا - رحمه الله تعالى - في مسجد محمد فاضل باشا في القاهرة، حيث ذهب هو وأعضاء البعثة للقاءه، فبعد أن نزل البنا من المنبر تقدم إليه الوفد وسلموا عليه، ثم أخذهم الإمام معه إلى دار الإخوان المسلمين في الحلمية.

وكان الإمام الشهيد يستقبله استقبال الوالد لوالده، وأرسل إليه كتاباً خاصاً يتضمن انتخابه في الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين في مصر.

(١) المصدر السابق، ص : ٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص : ٦٤.

(٣) المصدر السابق، ص : ٦٧-٦٨.

الإخوان المسلمون في العراق

وقبل عودته حضر اجتماعاً حاشداً للإخوان، عرض فيه الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد وضع العراق، وكيف أنه ليس مقرأاً للدعوة ولا يصلح لها، بسبب الفساد الذي استشرى والإلحاد الذي انتشر والشيوعية التي أخذت زمام الشباب، فتصدى له الصواف، عندما أعطيت له الكلمة بحضور الإمام البنا، فقال : (يوسفني أن اسمع هذا الكلام من رجل داعية، يأس من بلد مسلم فيه الملايين من المسلمين، وله تاريخ حضاري قديم وأنجب العلماء والفطاحل والأدباء والأئمة، بلد الإمامين الكبيرين أحمد بن حنبل وأبي حنيفة النعمان رضي الله عنهما. وقلت له - إن شاء الله - سترى الدعوة في كل بيت وفي كل قرية وفي كل مدينة وقد رفعت أعلامها في العراق، وسترى شباب العراق مع شباب مصر ومع شباب العالم وجهاً لوجه ويداً بيد وقلماً بقلب. وكانت الهتافات تملأ بفضل الله وتؤيدني فيما أقول)^(١).

ثم قفل الصواف راجعاً إلى العراق بعد أن أكمل دراسته الأزهرية، كما ذكرنا من قبل. فلما أرادوا تعيينه قاضياً براتب (٧٥) ديناراً، لم يقبل وقُضِلَ عليه التعيين في كلية الشريعة مدرساً بـ (٢٥) ديناراً وبعد تعيينه في كلية الشريعة اتصل بالعلماء والفضلاء يستشيرهم ويدفعهم إلى العمل، ودخل في جمعية الهداية الإسلامية، التي كان يرأسها مفتى العراق الشيخ قاسم القيسي، وجمعية الآداب الإسلامية، التي كان رئيسها العلامة المجاهد الرباني الزاهد الشيخ أمجد الزهاوي الذي وضع يده في يد الصواف وجاهد معه، وأعطاه ثقته المطلقة وانطلقا معاً إلى العمل الإسلامي المنتج في داخل العراق وخارجه^(٢).

(١) المصدر السابق، ص : ١٠٢ - ذكر هذه الحادثة الأستاذ علي الطنطاوي في الجزء الخامس من

ذكرياته، ص : ١٣٣ - نقلاً عن إضبارة الأستاذ غانم حمودات المحفوظة في مكتبي.

(٢) المصدر السابق، ص : ٦٩ - وراجع أيضاً دراسة مفصلة عن الشيخ الزهاوي بعنوان (عالم العراقيين الشيخ أمجد الزهاوي) من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن،

وكان لتعاون الشيخ الزهاوي مع الصوفاء أثر بعيد في الدعوة إلى الإسلام في العراق، لأنه كان موضع احترام الشعب العراقي كله، علماً وإخلاصاً وزهداً وفناءً في خدمة الدعوة، وصدقاً مع الله في جميع مراحل حياته، وكان العلماء يقفون عند رآيه ولا يتجاوزونه أدباً واحتراماً.

حدثني الشيخ عبدالغفور الهيتي، قال : كنت أعبر سوق السراي في بداية الخمسينيات، فواجهت الشيخ قاسم القيسي فسلمت عليه وقبلت يده، وبينما كنا نتحدث إذ التحق بنا الشيخ نوري الملا حويش - رحمه الله - فقال للشيخ القيسي : أفندي أما تسمع ماذا يفعل الصوفاء؟

قال : وماذا يفعل الصوفاء؟ قال : ترك مقام العلم وذهب بهيبة العلماء بمجالسته للشباب، واختلاطه معهم ... الخ.

قال الشيخ عبدالغفور : فالتفت إلى الشيخ القيسي، فسألني : وماذا يقول : أفندينا (يعني الزهاوي)، قال : فقلت : يا شيخنا : الشيخ أمجد يسأله ويؤيده، ويجلس معه بين الشباب. قال : فرفع الشيخ القيسي يده إلى السماء، فقال : اللهم إني أؤيده أيضاً. وكان الشيخ الزهاوي - رحمه الله تعالى - مطلعاً إطلاعاً جيداً على دعوة الإخوان المسلمين، ومنهج الإمام الشهيد حسن البناء، فقد التقى به في القاهرة في المؤتمرات الإسلامية التي كانت تقام هناك، وقد رأيت في أحد الكتب صورة تجمع بين الإمام الشهيد والعلامة الزهاوي، ورأيت ورقة بخط الأستاذ إبراهيم المدرس يسأله عما يأتي :

س ١ : ما رأي ساحتكم في جماعة الإخوان المسلمين؟

الجواب : هم جماعة من خيرة خلق الله يعلمون الناس الخير ويدافعون عن الشريعة القراء ويسعون في تكثير أمثالهم.

س ٢ : ما رأي سماحتكم في من يعمل جماعة الإخوان؟

الجواب: إن العامل مع جماعة الإخوان المسلمين مأجور ومن يدخل معهم ويسمى في تكثيرهم له عند الله منزلة عظيمة.

س ٣ : ما هو الحكم الشرعي في من يحارب دعوة الإخوان المسلمين؟

الجواب: هو آثم وصاد عن سبيل الله. وقد وقع الورقة الشيخ أمجد.

ولما ضاق بعض رجال جمعية الآداب الإسلامية ذرعاً بالصواف والشيخ أمجد بعد ما رأوا أن شباب الإسلام قد التفتوا حولها، قاموا بالالتفاف عليها، حيث أتوا في الانتخابات بعناصر غير متسبة ففسدوها في اليوم نفسه، وأجروا الانتخابات واسقطوا الصواف. حيث ذكّر الصواف، بتأسيس جمعية الأخوة الإسلامية بالتعاون مع الشيخ الزهاوي والعلامة الشيخ محمد القزljي والعلامة الدكتور تقي الدين الهلالي والشيخ إبراهيم الأيوبي والسيد محمد عاصم النقيب، نقيب الأشراف في بغداد وآخرين. وهذه الجمعية في الحقيقة كانت عبارة عن (الإخوان المسلمين) لأنه لم يكن باستطاعة أحد أن يؤسس يومئذ جمعية باسم جمعية موجودة خارج العراق بحكم القانون^(١).

وقد روى لي الأستاذ عبدالقادر الجنابي، قصة تزوير الانتخابات في جمعية الآداب الإسلامية وإبعاد الأستاذ الصواف، وكيف أنهم تأثروا وخرجوا وفكروا في تأسيس جمعية خاصة بهم بعد أن رأى الأستاذ الجفاء من الشيخ كمال الدين الطائي وإسماعيل الراشد وغيرهم - رحمهم الله تعالى - الذين كانوا يتكلمون في مجالسهم على الصواف ويتقدونه^(٢). وهؤلاء كانت عندهم نزعة قومية بينما دعوة الشيخ أمجد والأستاذ الصواف كانت دعوة إسلامية خالصة.

(١) المصدر السابق، ص: ١١٠.

(٢) لقائي معه في بيته في العامرية.

شخصية الصوف :

كان الصوف حركة دائبة يتقل بين محافظات العراق، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، بيني ويوجه وينسق للوصول إلى صياغة الجليل صياغة إسلامية شاملة. ولا بد لنا أن نلجأ هنا إلى إخوانه الأوائل المؤتلفين منهم له والمخالفين، ونسمع شهادتهم.

يقول الأستاذ المحامي نور الدين الراعي : (كان الأستاذ الصوف مخلصاً لدينه، عاطفياً، صادقاً مع إخوانه. وكان وفياً، وغيوراً على الإسلام، بعيداً عن المقاصد الشخصية، ولم يكن يؤمن بالقومية نهائياً، لا يفرق بين إخوانه من العرب والأكراد والتركمان)^(١).

ويقول الأستاذ غام حمودات : (إنه كان يحذر الآخرة ويرجو ربه. لقد رأيت من إخلاصه وعلو همته وغيرته وحبه للعمل واستغناؤه عن الناس وصبره ومصابرته واهتمامه بأمور المسلمين وجهده وجهاده في سبيل قضيتي فلسطين والجزائر وغضبه إذا انتهكت حرمة الله أو تكلم إنسان في وجهه يتقضى الإسلام، ومشيه في حاجات الناس وبخاصة حاجات إخوانه هذه وأمثالها من طيب صفاته ما يصح أن يقتدى به)^(٢).

ويقول الأستاذ عبدالوهاب الحاج حسين : (المرحوم الصوف غني عن التعريف، فقد كان مسلماً صادقاً منذ صباه وإلى حين وفاته، نذر نفسه لخدمة الإسلام ونشر مبادئه ووقف جهده وماله في سبيل إعلاء كلمة الله)^(٣).

ويقول الأستاذ إبراهيم منير المدرس : (لم أجرب عليه إلا طيباً. لم يكن عنده

(١) لقائي معه في بيته بالوزيرية في ٥ ربيع الثاني ١٤١٨ هـ الموافق ٨/٨/١٩٩٧ م.

(٢) مذكرته، مصدر سابق، ص : ٦.

(٣) مذكرته، مصدر سابق، ص : ٥.

إلا هم واحد، هو هم الإسلام والمسلمين. كان متواضعاً في كل تصرفاته. ولم يكن يملك إلا ضروريات الحياة في بيته. ويسكن في بيت صغير يعود إلى خال أولاده سالم الأطرفجي، ولم يكن يأخذ منه أجراً، ولم يكن عنده مورد إلا راتبه، ولم يكن يحمل في صدره ذرة حقد على أعدائه. وكان كريم النفس، يستقبل زوار بغداد من العالم الإسلامي في بيته، وأذكر منهم: نواب صفوي، ومحمد أسد، وكذلك إخوانه^(١).

ويقول الأستاذ الشاعر وليد الأعظمي: (وجاء أبو مجاهد، فبهرنا به، خلقه وخلقه وبيانه، كان متواضعاً عالماً لم يتفرغ للعلم وإنما للدعوة، كان ذكياً وفيماً، يعرف الإخوان بأسمائهم. وكان يحضر جميع المناسبات الاجتماعية، حتى لأفقر الإخوان. وحضر مرة مباريات فرق الإخوان في ساحة الكشافة ووزع الجوائز. ولم يهتم لاستنكار بعض العلماء لهذا التصرف من معمم. كان فقيراً، وكانت له علاقات واسعة مع الكل. ولم يكن يتردد في أي عمل تكون فيه مصلحة الدعوة الإسلامية. ولم يكن عنده أي ميل قومي. وبالاختصار كانت تتوفر فيه شرط القيادة، وكان يستشير كبار العلماء وعلى رأسهم شيخنا العلامة أجد الزهاوي - رحمه الله تعالى -^(٢)).

ويقول الأستاذ عبدالقادر الجنابي: (كان الأستاذ متحمساً خطيباً مفوهاً، يلقي حماساً وصدى في نفوسنا. كان هو النافع فينا.

والعلماء لم يستطيعوا ما فعله الصواف. كان متواضعاً وكان فقيراً. له سهم في محل صغير للخياطة في شارع الرشيد، مع رجل فلسطيني هو المرحوم أحمد الزقة. والصواف في رأيي فعل الكثير)^(٣).

(١) لقائي معه في بيته في يوم ١٢ ذو القعدة عام ١٤١٨ هـ.

(٢) حديث جرى معه في بيتي بتاريخ ٣ ذو الحجة ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٨/١/٤ م.

(٣) لقاء معه، مصدر سابق.

وأما الأستاذ داود العيثاوي^(١) والأستاذ عبد الملك أمين^(٢). فقد أيدا كل ما قرأت عليهما من الشهادات السابقة، وقالوا : (نحن رأينا كذلك).

والآن لنستمع إلى اثنين مما انتقدوا الصوف في حياته أيام الخمسينيات :

• الأستاذ المعامي محمد سالم زيدان، يقول : (كان الأستاذ الصوف، دمث الأخلاق، مجاملاً يتفقد إخوانه وكان متواضعاً، بسيطاً في مسكنه ومأكله وأموره، وكان نظيفاً في حياته. وكان الصوف مثل خيط السبحة بالنسبة للإخوان).

- لما سأله عن سبب الخلاف بينه وبين الأستاذ الصوف، أجابني : بأنه كان يعتقد أنني أؤيد المنشقين على الدكتور السباعي في سوريا، وكذلك كان يعتقد أنني وراء تكتيل بعض الإخوان ضده لإزاحته من المراقبة العامة^(٣).

- ويعلق الأستاذ نور الدين الواعظ : إن خلاف الأستاذ محمد سالم زيدان كان شخصياً مع الأستاذ الصوف ولم يكن فكرياً. وينكر الأستاذ سالم ذلك.

• أما الأستاذ محمود شريف، وهو من الذين اصطدموا مع الأستاذ الصوف اصطداماً عنيفاً، وفصل لمدة شهر، ولم يرجع إلى التنظيم الإخواني بعد ذلك : يقول : (كان دمث الأخلاق جداً، وكان نظيفاً في كل شيء حتى في صلاته مع الوزراء الذين كان يقابلهم. ولم يكن عنده أي تعصب قومي ولا طائفي)^(٤).

• والحق أنني استطلعت رأي الكثيرين من قدماء الإخوان في الأستاذ الصوف، وذكروا تلك الأوصاف عينها التي ذكرتها سابقاً.

وختاماً أقول.. نعم كان الأستاذ الصوف دمث الأخلاق، متواضعاً، نظيفاً،

(١) لقائي معه في داره بالداودي في ليلة ١٣/٩/١٩٩٨ م.

(٢) عند زيارته لي في داري في اليوم الثالث من عيد الفطر المبارك لعام ١٤١٩ هـ.

(٣) لقائي معه في بيته في ليلة ١٥ ذو الحجة عام ١٤١٨ هـ.

(٤) لقائي معه في داره في يوم ٦ ذي الحجة ١٤١٨ هـ الموافق ٨/٤/١٩٩٨ م.

فانياً في الدعوة الإسلامية، صاحب غيرة شديدة إذا انتهكت محارم الله، لا يعرف الحق إلى قلبه طريقاً أبداً، يعرف للإخوان سابقتهم للدعوة ويحرص عليهم ويدافع عنهم، وكان شخصية مفتوحة محبوبة، عقد علاقات صداقة واسعة مع رجال الفكر والسياسة في العراق.

أما عن موضوع عدم الحق على أحد عنده، فأروي ما يأتي : (كان أخي الأستاذ نظام الدين عبد الحميد من الرعيل الأول في الدعوة، الذين كونهم في بغداد الدكتور حسين كمال الدين كما سبق ذكره، وكان مسؤولاً عن شعبة الإخوان في أربيل بين سنتي ١٩٥٥-١٩٦٠م، فجلس يوماً فكتب بقلمه الرصين، كتاباً قوياً موجهاً إلى الصوفاء، ينتقده ويقارنه بالإمام حسن البنا في أقواله وأفعاله. وكانت عباراته قاسية في مقاطع منها) ولما وصلت تلك الصفحات الطوال من النقد إلى الأستاذ الصوفاء، دعا إلى اجتماع طارئ للجنة المركزية، طلب من أحد الحاضرين أن يقرأ الكتاب على ما حدثني به الأستاذ إبراهيم المدرس.

فلما استمعوا إلى ما ورد في الكتاب تأثروا وتألموا من قسوة النقد، وطلبوا بالإجماع فصل الأستاذ نظام الدين من الدعوة، فاعترض عليهم الأستاذ الصوفاء بشدة، وقال: مثل نظام الدين في إخلاصه وسابقته لا يمكن أن يفصل، وأغلق الموضوع. وقد سألت أخي نظام الدين بعد سنوات طويلة على مذكرته تلك التي قدمها ناقداً الأستاذ الصوفاء، هل ما زلت تعتقد بكل ما كتبت؟ قال: لا لقد تبين لي إنني كنت قاسياً في كثير مما كتبت يومئذ.

ويقول: وبعد حوالي شهرين جئت إلى بغداد، ودخلت المركز العام فلما رأي الأستاذ الصوفاء قام مستقبلاً وحضنتي ببشاشته المعهودة، ولم يشعرني قط بأنني جرحته في مذكرتي. كأن شيئاً لم يحدث. وظل هو يجب نظام الدين ويسأل عنه أول ما يراني في زيارتي للرياض أو لمكة المكرمة.

ولقد لقينته ثلاث مرات، مرة في عام ١٩٧٠م عندما ذهبت إلى الحج، فزرت في بيته في مكة المكرمة، فطار فرحاً بلقائي، وسأل عن كل أخ كان يعرفه في العراق. ولقينته مرة ثانية، عندما اشتركت في مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد في الرياض عام ١٩٧٦م، فقد فرح بلقائي وقدمني إلى كل من يعرفه من العالم الإسلامي بأفضل ما يقدم أخ أخاه إلى الناس.

والتقيت به في المرة الثالثة عندما دعيت عام ١٩٨٥م إلى إلقاء محاضرات على طلبة الدراسات العليا في قسم الثقافة الإسلامية من كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فلما أردت أن أذهب إلى العمرة قال لي الأخ الدكتور حسين خلف الجبوري في الهاتف عندما اتصلت به من الرياض، إن الأستاذ الصواف عرف بوجودك في الرياض وهو يحب أن يراك، فسأدعوه غداً إلى الغذاء معنا، فلما أدت مناسك العمرة، وجدته ينتظرنني تحت (المكبرية) واقفاً متكئاً على عصاه، فلما رأيته انفتحت أساريره من الفرح، ولما التزمني اغروقت عيناه بالدموع، فجلسنا في بيت الأخ الجبوري حوالي ثلاث ساعات، فرأيت منه الترحيب والتواضع والسؤال والفرح بكتبي وما اكتب في المجلات والجرائد الكثير. وكان يسأل عن كل شيء في العراق، فلقد كان يحب بلده وإخوانه حباً شديداً، وكان أمله أن تكتحل عينه برؤية بغداد والعراق كله، قبل الرحيل الأبدي. ولكن - وأسفاه - لم يتحقق أمله هذا.

وفاءؤه لإخوانه لم يكن يوصف، فلقد حدثني أخي نظام الدين الذي كان يزوره يومياً في مصيفه في تركيا قبيل وفاته بأيام، فقال : كان دائم السؤال عنك كلما رأيته. هذا هو الصواف، الأخ المتواضع، الداعية الثبت المسلم الغيور، والرجل النظيف، فرحة الله عليه رحمة واسعة على كل ما قدم من خير في سبيل دينه وأمته.

العقبات في طريق دعوة الإخوان أيام الصواف :

منذ عام ١٩٤٤م بدأت دعوة الإخوان تنتشر في المجتمع العراقي ولا سيما في اوساط الطلبة الجامعيين والمدارس الثانوية، فلفت كل ذلك النشاط نظر الشيوعيين، الذين كانوا يريدون السيطرة على الشعب العراقي، وتوجيهه نحو الإلحاد واللا دينية والقضاء على المقدسات الإسلامية والتطلعات القومية في العراق خاصة والوطن العربي والعالم الإسلامي عامة، فبدأوا بمهاجمة شباب الإخوان في صحفهم السرية كما مر بنا قبل صفحات.

والحق أنه لم تكن هنالك في الأربعينيات جبهة فكرية تستطيع أن تقف أمام الشيوعيين غير شباب الإخوان المسلحين بال عقيدة الإسلامية، والغيرة الدينية، والثقافة المعاصرة.

وظل الشيوعيون يعادون حركة الإخوان بشدة ويثيرون الشائعات حولها، مما أثر حتى في بعض الإخوان.

يقول الصواف : (ووصل الأمر إلى أن أجرينا في بعض المرات محاكمة بسبب اتهامهم لي بالمشاركة في عمل تجاري وتهريب سيارات تحمل أموالاً تجارية وغيرها باسم الدعوة، وريحت فيها من الأموال، وأجرينا محاكمة علنية في مدرسة الشيخ أجد الزهاوي بالسليمانية في الليل في بغداد وحضرها أكثر من خمسة وعشرين أخاً من كبار الإخوان والمسؤولين فيها، وفيهم المتهمون ... وانتهت المحاكمة عند منتصف الليل بالبراءة المطلقة لشخصي، وأخذ الشباب يكون ويعانقونني ويعتذرون إليّ بعد أن انكشف لهم الأمر وظهر الحق من الباطل والحمد لله).

وقد سألت الدكتور عبدالكريم زيدان في زيارتي في صنعاء اليمن في أوائل الشهر الخامس من عام ٢٠٠٠م، فقال : كنت أنا الحكم، وكان الأستاذ الصواف بريئاً من التهم التي وجهت إليه.

الإخوان المسلمون في العراق

ومن الأكاذيب التي أطلقها الشيوعيون في الخمسينيات لكي يخدعوا بها الناس، أن الصواف يدعي الإسلام والفضيلة وابنته متبرجة مسافرة في الكلية الطبية، بينما كانت كبرى بنات الصواف يومئذ في الابتدائية على ما يعرف الجميع.

ومرة كنت راكباً القطار، أرجع إلى كليتي من كركوك إلى بغداد عام ١٩٥٥ م، فإذا بي أسمع شاباً يحدث جمعاً من المسافرين، فيقول لهم: (إن الصواف عميل أمريكي، والدليل إنه أخذ خمسين ألف دينار من السفير الأمريكي في بغداد، فاقتربت من ذلك الجمع فقاطعته، فسألته أين تسلم الصواف هذا المبلغ، قال: في السفارة الأمريكية، فقلت: يا جماعة استعملوا معي عقولكم، قالوا: نحن معك، قلت: شخص مشهور مثل الصواف، إذا أراد السفير الأمريكي أن يعطيه مبلغاً هل من المعقول أن يدخل الصواف بعمامته إلى السفارة ويأخذ المبلغ؟ قالوا: لا يمكن، قلت: هب أنه دخل السفارة، فهل من المعقول أن يسلم السفير هذا المبلغ أمام أشخاص حتى يذهبوا فيتحدثوا به للناس، قالوا: لا يمكن ذلك. فأسقط في يده هذا الشاب الشيوعي المخدوع، فخرج من العربة التي كنا فيها إلى عربة أخرى خجلاً وهرباً.

فانفردت والحمد لله، بهؤلاء فبدأت أحدثهم عن الإسلام وحقائقه، وأعرفهم بحقيقة الشيوعية والمبادئ اللادينية وكيف يحاربون الإسلام في أشخاص علمائه الصادقين ودعائه المجاهدين، بمثل هذه الاتهامات الباطلة.

وقد استمرت هذه العداوة بعد ثورة ١٤ تموز، وعندما استغل الشيوعيون الوضع الجديد الذي لم يصنعوه، وإنما أرادوا كعادتهم في كل مكان أن يركبوا الموج ويغتصروا الثورة، فيسرقوها من الضباط المسلمين والقوميين المؤمنين. وفعلاً سيطروا على الشارع العراقي بعد أشهر قليلة من الثورة، مستغلين انحياز عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء إليهم، فقاموا بأبشع المجازر في الموصل وكركوك، واعتقلوا ألوف الناس في السجون والمعتقلات واعتدوا على الطلاب والطالبات في المدارس الثانوية

والجامعات وكانت حصيلة الإخوان في ذلك الشيء الكثير. منها أنهم هاجموا في باب المعظم مقر الجماعة ومطبعتها فأحرقوها، وقتلوا وأعدموا كثيراً من الضباط المسلمين، وفي الموصل وحدها قتلوا من الإخوان الشيخ هاشم عبدالسلام وعبدالرزاق شنداله والفتاة المسلمة حفصة العمري وأبيها على العمري، وسحلوهم جميعاً في الشوارع وعلقوهم هم وغيرهم على جذوع الأشجار، وقطعوا أجسامهم تقطيعاً.

وقد واجه الإخوان في الأربعينيات والخمسينيات العداوة من بعض العلماء، ووصل بعضهم الأمر إلى تقديم التقارير إلى الحكومة العراقية، يحذرها من الصوف والإخوان، زاعماً أن الصوف يريد أن يحدث ثورة شعبية عارمة في العراق.

حدثني الأستاذ عبدالقادر الجنابي، أنه دخل على الأستاذ الصواف يوماً في جامع السليمانية في بغداد، فوجده متألماً جداً، فلما استفسر عن سبب تألمه قال: أقرأ هذه الورقة يا أخي عبدالقادر، قال: فوجئت بأن الورقة الأولى رسالة من المرحوم سعيد قزاز وزير الداخلية يومئذ^(١)، موجهة إلى الأستاذ الصواف، ومعها ورقة أخرى عبارة عن تقرير لأحد العلماء المشهورين يومئذ في العراق، يقول فيها لا بد من اتخاذ إجراء حازم ضد الصواف، لأنه يقود الشباب لإحداث ثورة في العراق، فلما قابله الصواف، وجد الوزير متألماً مثله فقال له: قاتل الله المنافقين.

وحدثني الأستاذ جمعه نافع أن الناس سألوا يوماً الشيخ عبدالعزيز السالم عالم الفلوج - رحمه الله - عن الإخوان عند ظهورهم، فأطرق ملياً ثم قال هم أفضل من الشيوعيين!! قال: وتدور الأيام ويأتي الشيوعيون إلى الحكم فيلقون القبض عليه ويعذبونه. قال: فلما دالت دولتهم بسرعة، جاء الشيخ إلى الرمادي ووقف أمام مكتبة الإخوان، وقال: اللهم اشهد أني من الإخوان. لما رأى من وقوفهم أمام الشيوعيين

(١) أعدمه عبدالكريم قاسم بعد أن حكمت عليه محكمة المهدي المشهورة بدفع من الشيوعيين، وكان موقفه في المحكمة موقفاً بطولياً، راجع محاكمات المحكمة الخاصة.

وما قدموه من الدماء والتضحيات، في حين عجز علماء من أمثاله في المدة الطويلة في تنوير أذهان الناس وتعريفهم بحقائق هذه الحركات الهدامة.

ولا شك أن هذا كان حسداً وكيداً واضحاً من لدن هؤلاء البعض، ذلك لأنهم وجدوا أنفسهم متقاعسين عن العمل، لم يقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتركوا الأمة تغوص في جهلها وجراحاتها.

فلما تقدم الصواف الصفوف وجمع شباب الإسلام، وبدأ بتهيئة الصفوف مع إخوانه لصياغة الأمة صياغة إسلامية، وقاد وهو معمم لأول مرة المظاهرات الصاخبة في الشوارع ضد معاهدة (بورتسموت) الإنجليزية الغاشمة وضد استيلاء اليهود على فلسطين، بدأوا يتكلمون عليه ويطعنون فيه.

وواجه الإخوان في بداية الخمسينيات حركة قد ظهرت كانت تدعو إلى إنشاء الخلافة الإسلامية، قبل تربية الجيل المسلم، حيث كانوا يؤمنون بالتحقيق الإسلامي وحده، وكانوا لا يشترطون في قبول الأعضاء أداء الفرائض والعبادات، وكان شغلهم الشاغل مهاجمة الإخوان وأفكارهم، وانشغالهم بمجادلات عقيمة في أماكن كثيرة. وكان الإخوان يردون عليهم بأنهم مسلمون والحمد لله ويعملون لإقامة شرع الله وتربية الجيل تربية إسلامية شاملة، لتقوم بعد ذلك دولة الإسلام كي تعز المسلمين، وكانوا يقولون لهم: يا إخواننا أذهبوا إلى الشيوعيين والوجوديين والعلمانيين، وجادلوهم وأدخلوهم إلى الإسلام من جديد، واتركونا في حالنا ومع اجتهادنا.

والحق أن هؤلاء الذين كانوا معروفين يومئذ بـ (النبهانيين) أحدثوا ضد الإخوان فتنة كبيرة تحدث عنها الأستاذ الصواف في سجل ذكرياته بقوله: (وكنا قد أصبنا أيضاً بإسلاميين آخرين، وأسأل الله أن يغفر لنا ولهم).

ومن هؤلاء الذين ينادون بالدولة قبل الصلاة والصوم والدعوة، وكان على رأسها الشيخ تقي الدين النبهاني - رحمه الله - وقد حاولنا معه كثيراً للتعاون والاتفاق فلم

نفلح، وهؤلاء يسمون أنفسهم حزب التحرير باعتباره دعوة إسلامية، ولكن لم يقم هذا الحزب إلا لمحاربة الإخوان المسلمين، وكانت وظيفته الجدل، وقد قلت لهم يا إخوة: اسمعوا الحديث رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». وكانوا يجادلون الإخوان بالباطل، ويتحدونهم، وكل ما عملته تجاههم هو أني منعت الإخوان من الاتصال بهم منعاً باتاً، وإلا لقامت بيننا وبينهم المعارك والخصومات^(١). ولم ينبُج الإخوان من هجمات الحركات القومية، لاسيما في الخمسينيات، وكانوا يتهمون الإخوان بالأمية الإسلامية، وعدم العمل للقومية العربية، ويتهمونهم بالرجعية، لأنهم كانوا يدعون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وهم كانوا يؤمنون بالمبادئ الأوربية الحديثة، وعلمانية الدولة والمجتمع، بدعوى تحديث المجتمع العربي!! وقد اشتد الخلاف بين الأحزاب القومية والإخوان بعد الصدام الذي حصل بين جمال عبدالناصر والإخوان في مصر، حينما زجهم في السجون والمعتقلات، وأعدم عدداً من قادتهم، بعد رفض الإخوان اتفاق الجلاء مع الإنجليز وافتعال حادثة المنشية في الإسكندرية لاغتيال عبدالناصر^(٢).

ولكنهم (الإخوان والأحزاب القومية) اتحدوا جميعاً ضد الشيوعيين في أثناء المد الأحمر عام ١٩٥٩م مما كان له أبعاد الأثر في منع الشيوعيين من السيطرة على الحكم، لأن الصراع يومئذ تحول إلى جبهتين، جبهة الشيوعيين الذين كانوا يريدون إقامة حكم شيوعي تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي، وجبهة أخرى من القوميين والإخوان كانوا يريدون الحفاظ على عقيدة وتراث وتراب الوطن كل حسب توجهه.

(١) المصدر السابق.

(٢) أثبتت الوثائق والمذكرات التي نشرت في أعداد جريدة الشرق الأوسط في صيف عام ١٩٨٥م، إن حادثة إطلاق النار على عبدالناصر، كانت من صنع المخابرات المصرية لاثام الإخوان والقضاء عليهم، راجع اعترافات حسن التهامي السابقة.

ملاحظات حول قيادة الصوف :

على الرغم من اعتراف الرعيل الأول من الإخوان لكثير من فضائل الصوف وقيادته التي سبقت في الصفحات الماضية، إلا أنهم يسجلون بعض الملاحظات في شخصيته التي غدت بعد وفاته - رحمه الله - ملكاً للدعوة، للاستفادة منها لمستقبل الحركة الإسلامية وهي تكافح وتجاهد في سبيل إحداث النهضة الإسلامية المنشودة في العالم الإسلامي كله.

لنرجع إلى الأستاذ نور الدين الواعظ ليقول : (على الرغم من جوانب الأستاذ الصوف الحسنة التي ذكرناها، إلا أنه كانت تنقصه الخبرة بالتنظيم الدقيق لتكوين الجماعات. وهذا أمر خطير ولا سيما في أوائل تكوين الجماعات التي تريد أن تلعب دوراً خطيراً في الحياة الاجتماعية، وعندما سألته عن علميته، قال : كان الرجل ذكياً، لكن علميته الإسلامية لم تكن معمقة، لانشغاله الدائم بأمور الدعوة، وكان يغلب عليه المنهج الخطابي المؤثر، أي أنه كان خطيباً جماهيرياً منهجياً)^(١).

وعندما سألت الأستاذ عبدالكريم الوهاب عن هذا الجانب، أجابني لا شك أن الأستاذ الصوف كان من ائقف وأكفأ العراقيين عندما رجع من مصر وتسلم المسؤولية، غير أنه اعتمد على العناصر المستجدة وأهل الذين كانت عندهم سابقة في الدعوة قبل مجيئه، وقد أدى هذا الإجراء إلى انقباض بعض الإخوان من ذوي المسؤولية ومنهم الشيخ معتوق، فقد شعروا أنهم أصبحوا على الهامش، ولا سيما أن بعض الذين اعتمد عليهم أحدثوا فتنة كبيرة في الدعوة وعليه بالذات.

ويزيد الأستاذ الوهاب، (كان الأستاذ الصوف صافي القلب، يخدع ببعض الناس بسرعة)^(٢).

(١) لقائي السابق معه.

(٢) مذكرته، ص : ٦.

وفي مقابلي للأستاذ محمد سالم زيدان، قال : كان الأستاذ الصواف سريع التصديق بما يصل إليه.

وأما الأستاذ وليد الأعظمي فيقول : لم يكن اهتمامه ينصب على التنظيم، وإنما كان يريد جمع الناس على الإسلام^(١).

استنتاج :

لو وازنا بين إجماع الإخوة الأوائل الذين عملوا مع الصواف، مع بعض الملاحظات السلبية التي أبدوها بعضهم في حقه، نجد أن الجوانب السلبية التي ذكروها في شخصية الصواف، تبدو صغيرة بجانب الجوانب الإيجابية الكبيرة، والرجل لم يكن معصوماً وتجربته كانت تجربة فريدة من نوعها في العراق في ذلك الوقت، وطبيعة العصر تفرض على الإنسان أحياناً تصرفات معينة (وكل ميسر لما خلق له).

ولكن مع ذلك هنالك هنات وأخطاء مسيت في تاريخ الإخوان في العراق انشقاقات لم تكن في صالح الجماعة وأصحابها، نفذوا من خلال بعض الشروخ التي كانت تحدث هنا وهناك^(٢).

الانشقاقات في زمن الصواف :

الدعوات في مراحل منها، يدخلها بعض النفعيين رجاء الوصول إلى مغنم أو رئاسة، فثبت الأيام أنهم ليسوا من أرباب الدعوات، ومن المؤكد أن أحد أسباب نفوذ مثل هؤلاء صفاء صدر قائد تلك الجماعة أو ذلك التنظيم.

والانشقاق الأول الذي حدث في كيان الجماعة، كان في الأعظمية، حيث دخل الجماعة رجل اسمه (حسين أحمد الصالح) واستطاع بذكائه وتزلفه أن يتقرب من

(١) في مقابلي السابقة معه.

(٢) مقابلي مع الأستاذ عبدالقادر الجنابي.

الأستاذ الصواف، فاحتضنه وقدمه على الرعيل الأول في الأعظمية منذ تسلمه القيادة، مما أدى إلى نفور وبرود عدد من الإخوة القدماء الطيبين، وقد حذر الملا معتوق وعبدالكريم الوهاب وغيرهما الأستاذ الصواف منه، فلم يفد.

يقول الأستاذ عبدالكريم الوهاب : (كان حسين أحمد الصالح مفطوراً على حب السيطرة والاعتزاز بالنفس، وكان يأخذ بالظن ويحكم بالهوى، وقبل أن يصطدم بالصواف، نفر الكثير من الإخوان من الدعوة، ورماهم في اليأس والقنوط، ويبدو أن أمراضه النفسية هي التي جعلته يتصرف بلا دراية)^(١).

ويقول الأستاذ نور الدين الواعظ : (حسين أبو علي لم يكن طبيعياً، عصبي المزاج، كان مستبداً في الرأي عند الخلافات، يجر شعر رأسه في حركة هستيرية، وكان له السيطرة على الناشئة، وكان ينقد كل من يخالفه نقداً لاذعاً. كان يتألم لرفض آرائه، لم يكن له استعداد لقبول أي رأي يخالف رأيه، ثم انشق على الجماعة وأخذ معه الكثير)^(٢).

ويؤيد الأستاذ إبراهيم المدرس هذه الآراء فيقول : (كان حسين أبو علي رجلاً متعصباً في رأيه، حقوداً جداً ويجب الظهور، وكان يحسد الأستاذ الصواف بالذات على الرغم من أنه هو الذي عينه واعتمد عليه، مسؤولاً في شعبة الأعظمية)^(٣).

ولما سألت الأستاذ وليد الأعظمي قال : (أبو علي خالي، كان في شبابه ينتمي إلى حزب الاستقلال فاختلف معهم، ثم دخل في حركة الإخوان المسلمين، وكان المسؤول الأول للإخوان في الأعظمية، صالح الدباغ، ويأتي بعده أبو علي، وبعد نقل أبي صفوان إلى الحلة غدا أبو علي هو المسؤول الأول، وكان قلقاً عصبي المزاج، وكان ينقد الأستاذ الصواف على بعض تصرفاته الجزئية، وكان يعيب مقابلاته مع

(١) مذكرات الوهاب، ص : ٦.

(٢) لقائي السابق معه.

(٣) لقائي السابق معه.

المسؤولين بعد الانشقاق، وكان يدعي أنه هو ومن معه إخوان، والصواف ومن معه إخوة إسلامية، وفتح مكتبة باسم الإخوان المسلمين إلى أن جاء نجيب جويقل موقفاً من مصر، فهدده وجعله يرفع اسم الإخوان من على مكتبته^(١). وعندما انشق على الإخوان وفصل أخذ معه أذكىاء الإخوان وأصحاب القابليات ثم تحولوا إلى حزب التحرير، وبدأوا بنقد منهج الإخوان، ثم انفصل قسم منهم من حزب التحرير أيضاً، وانتهت حركتهم في سنة ١٩٥١م ثم ترك كل شيء، حتى العبادات^(٢).

يقول الأستاذ عبد الكريم الوهاب : (وأخيراً عاد إلى عاداته القديمة وهي هواية تربية الطيور، وكان من سوء خاتمته الانتحار والعياذ بالله تعالى)^(٣).

والحق أن هذا الانشقاق الأول، وابتعاد الكثيرين من الإخوان عن الدعوة كما سبق، قد هز الوسط الإخواني هزة عنيفة، وكل ذلك بسبب الارتباط بالأشخاص وليس بالدعوة والالتزام بها، وبسبب فقدان النظام الداخلي والشورى، وعدم الاعتماد على المخلصين من الرعيل الأول، ولو كانوا نقاداً من أجل مصلحة الدعوة.

وهذا هو مرض قيادات الأحزاب السياسية سرى إلى الجماعات الإسلامية في كثير من الحالات، فالموافقون دائماً يقربون، والمعارضون البناؤون المخلصون يبعدون، فيؤدي ذلك إلى انتكاسات كبيرة في الدعوات.

انشقاق مصطفى الوهاب :

كان مصطفى الوهاب حقوقيًا، وكان مديراً لمطبعة الحكومة في بغداد، انخرط في الإخوان^(٤)، فتدرج بسرعة حتى دخل اللجنة المركزية، وجعله الصواف مركزاً

(١) من سجل ذكرياتي، ص : ١٤٣.

(٢) مقابلتي في بيتي، مصدر سابق.

(٣) مقابلتي له ومذكرته، ومذكرة غانم حمودات، ص : ١٢.

(٤) مذكرة عبد الكريم الوهاب.

استقطاب الشباب المسلم في الكرخ.

ولما سافر إلى مصر ورأى بعض الإخوان هناك، ومنهم عبدالرحمن السندي، رئيس الجهاز الخاص، كبر في نفسه، وتوقع بعد رجوعه أن يكون له دور أكبر، طمعاً في أن يتولى الأمر، وبدأ يتحرك ضد الأستاذ الصواف، لاسيما في داخل اللجنة المركزية، وكسب عبدالكريم زيدان في البداية ولكن سرعان ما كشفه عبدالكريم وابتعد عنه، فحدث خلاف حاد بينهما انتهى بفصل مصطفى الوهب ومن معه.

ثم ابتعد الوهب عن الجو الإسلامي كله، ودخل في تنظيم قومي، وثبت فيما بعد أنه كان يقدم تقارير عن عبدالكريم زيدان إلى الجهات الحكومية، ولكن تلك الجهات لم تتخذ أي إجراء ضد الأستاذ عبدالكريم^(١).

انشقاقات أخرى :

وفي أواسط الخمسينيات، حدثت انشقاقات لأسباب منها : أن الأستاذ الصواف يهتم بشؤون التربية أكثر من الشؤون السياسية أو أنه ليس ثورياً أو أنه ليست عنده قابلية تنظيمية، ففصل على أثر ذلك وعلى فترات كل من سالم زيدان، ومحمد عبدالرحمن، وسامي مكّي العاني، وعبدالغني شنداله، ومحمود شريف، وطارق الدوري، غير أن عبدالغني شنداله رجع إلى الصف مرة أخرى.

ولقد اجتمع جمع من هؤلاء مع الأستاذ الصواف في دار اليوسفية، قرب بغداد، وكان الحكم الأستاذ عبدالكريم زيدان، فلما طالبوا بتنحية الصواف، رفض الأستاذ عبدالكريم ذلك رفضاً قاطعاً، وعرض حلاً للخلاف تضمن نقطتين :

- أولها : لا يفصل الأستاذ الصواف.

- ثانيها : لا يكون له سلطان على الجماعة، لا بتصرفاته، ولا بتصريحاته مادام هو

(١) مذكرة عبدالكريم الوهاب.

خارج العراق^(١).

يقول الأستاذ عبدالقادر الجنابي معلقاً على هذه الانشقاقات : إن هذه الانشقاقات كان فيها حظ النفس كثيراً، وكانت تتغلف دائماً بمصلحة الدعوة^(٢).

والحقيقة التي لا مراء فيها، أن التيار العام للإخوان في العراق، كان دائماً مع الأستاذ الصواف من يوم رجوعه من الأزهر عام ١٩٤٦م إلى خروجه من العراق عام ١٩٥٩م، لأنه لم يجد أفضل منه لقيادة الجماعة في تلك الفترة العلنية من حياة الجماعة. فظروف العراق الاجتماعية والسياسية في العراق، يومئذ كانت تحتاج إلى شخصية الأستاذ الصواف.



(١) مقابلي مع الأستاذ داود العيثاوي المحامي في داره، مصدر سابق.

(٢) مقابلي له، مصدر سابق.

الفصل الثالث

الإخوان المسلمون في العهد الملكي

الفصل الثالث

الإخوان المسلمون في العهد الملكي

كان نشاط الإخوان في العهد الملكي نشاطاً علنياً، فلقد أخذوا إجازة تأسيس جمعية إسلامية باسم (جمعية الإخوة الإسلامية) برئاسة الشيخ الزهاوي كما سبق . وبدأت الجمعية بتأسيس الفروع والمكتبات في داخل بغداد وخارجها . وأما في بغداد، فقد كانت شعبة الأعظمية أقدم الشعب فيها، حيث تكونت أسرها الأولى على يد الدكتور حسين كمال الدين، ثم استمرت وتوسعت بعد رجوع الأستاذ الصواف الذي عين في كلية الشريعة المجاورة لمسجد الإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه الله تعالى - وكان يلقي فيه الخطب الحماسية والدروس العلمية، وأبلى الإخوان في الأعظمية البلاء الحسن في سبيل إسلامهم ومنهجهم في فهمه . يقول الأستاذ عبدالكريم الوهاب : (وبعد مضي أيام وأشهر توسعت الجماعة، وأخذ ينضوي تحت لوائها الكثير من الشباب المسلم الذين كانوا يتلهفون إلى من يرشدهم إلى الإسلام الصحيح، ليحاربوا الذين كفروا بحقائقه الناصعة) . وفي نهاية عام ١٩٤٨م عقدنا العزم على افتتاح مكتبة تحت لافتة (مكتبة الإخوان المسلمين) في سوق الأعظمية المقابل لجامع الأعظم، وذلك بهدف ترويض المطبوعات والنشرات الإسلامية، وجذب الشباب المسلم الذين نتوهم فيهم الصلاح والتقوى وحسن الخلق إلى الانضمام إلى الجماعة وتحذيرهم من الانجرار وراء الدعوات الباطلة كالشيوعية وغيرها . كما كان الهدف أيضاً إسباغ الشرعية على تجمعات الإخوان وعدم فسح المجال لرجال الأمن من افتعال سبى الأقوال بحق الإخوان!!

هذا وقد ساهم في افتتاح المكتبة مساهمة فعالة، المرحوم طه الفياض العاني، صاحب جريدة (السجل) وما بعدها (الفجر الجديد).

وقد جلب الرجل محتويات مكتبته الخاصة من مؤلفات ومراجع إلى مكتبة الإخوان المسلمين على سبيل العارضة. كما كان يزور المكتبة صباح كل يوم جمعة ويصحبته فضيلة الشيخ أجد الزهاوي - طيب الله ثراه - أو الدكتور تقي الدين الهلالي (المغربي الجنسية).

وكان عام ١٩٤٨ م من أصعب الأعوام على دعاة الإسلام حيث استشرى خطر الشيوعية، ويات يهدد الجيل في أخلاقه وعقيدته، وكنت يومها في الصف المنتهي من ثانوية الأعظمية، ومسؤولاً عن خط الإخوان فيها.

وقد لاحظت صباح يوم وفي لوحة الإعلانات نشرة أسبوعية تحمل اسم (الشعلة) وقد بناها الشيوعيون، ظاهرها (الأدب واللغة) وباطنها الترويج للماركسية. وما أن اطلعت على بعض مقالاتها وكانت بأقلام مسمومة، حتى وقف شعر رأسي، فهرعت من توي إلى مدير المدرسة وهو المرحوم صادق الخوجة وهو مرب فاضل وأب حنون، قلباً تجدد له مثيلاً، فرحب وهدأ من روعي ثم أخذ يصغي إلي بكل اهتمام. وبعد أن فرغت من حديثي، أبدى من جانبه أسفه لقيام هذه الزمرة باستغفاله والحصول على موافقته في إصدار النشرة.

وأكد لي بأنه سوف يلغى قراره الخاص بمنحهم الامتياز بعد أن أبلغته باستغلال هذه النشرة لترويج مبادئ الشيوعية.. ولما رأيته متجاوباً معي، وجدت من المناسب الحصول على موافقته لإصدار نشرة باسم (المنهل) للرد على الملاحدة وبيان أحكام الإسلام في شتى المجالات، فوافق الرجل دون تردد. فما كان مني إلا إخبار جماعتي والشروع بتحضير مستلزمات النشرة، ثم أخذت إصدارها في كل أسبوع. وكان الأخ الشاعر الخطاط وليد الأعظمي يقوم بخط العناوين، وأنا أملئ

ويقول الأستاذ عبدالوهاب في مذكراته : (كانت دروس المرحوم الصواف في جامع الإمام الأعظم (حديث الثلاثاء) لا تفي بالغرض المطلوب، حيث انخرط كثير من الشباب المسلم المتعطش إلى معرفة أحكام الإسلام في شتى ميادين الحياة، كما لم يتسع المجال في وقت الدرس الأسبوعي، إلى توجيه الأسئلة التي تدور في أذهان هؤلاء الشباب، لذلك ارتأينا أن نطلب من المرحوم طه الفياض أن يقنع الدكتور الهلالي إلى التكرم بتلبية مبتغانا في قيام الهلالي بإلقاء الدرس ليلة كل خميس في مسجد (الملاخطاب) لإدراكنا أنه علامة عصره في التفسير والحديث واللغة، وبالفعل قام المرحوم الفياض بإقناع الدكتور الهلالي - رحمه الله - فلبى الأخير الدعوة بكل رحابة صدر، وقد بدأ بالتفسير وكان أغلب اعتماده على روح المعاني، وفي اللغة والنحو والصرف، شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، وفي الحديث مشكاة المصابيح للبغوي بشرح الدهلوي. وكانت هذه الدروس بحق دروساً قيمة ومفيدة، أغنانا بها المرحوم الهلالي بعلمه الغزير^(٢).

ومجمل القول أن إخوان الأعظمية ظلوا نشيطين في نشر الدعوة، وكان لهم مسبح صيفي على نهر دجلة خلف المقبرة الملكية، وكانوا يزاولون فيه الرياضة والسباحة والصلوات الجماعية والدروس الروحية والبدعوية المتنوعة.

وقد زرت هذا المسبح في عام ١٩٥٥م عندما جئت إلى بغداد، كي أقدم أوراقني إلى الكليات، وجاء الأستاذ الصواف قبل المغرب وصلى بنا صلاة الجماعة، ثم ألقى درساً دعوياً بأسلوبه الخطابي المتحمس، عرض فيه جراحات الإسلام في هذا العصر، وواجب الشباب المسلم نحو أمته الغافلة، ثم صلى بنا صلاة العشاء، وبعدها غادر

(١) مذكراته عندي، ص : ٧ و ٨.

(٢) مذكرات الهلالي، ص : ٩ و ١٠.

الإخوان المسلمون في العراق

المسبح بين هتافات الإخوان، الله أكبر .. والله الحمد، الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

ولمّا بعد افتتح الإخوان في الأعظمية مسجداً آخر في نهاية شارع (٢٠) على دجلة ونادياً رياضياً، سمي بنادي التربية الرياضي، ثم انتقل إلى شارع المغرب.

ولم ينحصر وجود الإخوان في الأعظمية، وإنما أسست شعب أخرى في بغداد، كشعبة باب الشيخ وشعبة الكرخ وغيرها، كانت تقوم بالنشاطات عينها التي كانت تقوم في شعبة الأعظمية. ولما اشترى الإخوان دار جعفر العسكري في باب المعظم في بداية الخمسينيات، من تبرعات الإخوان والمحسنين بـ (٦١٥٠) ديناراً^(١)، غدا مركز استقطاب لجميع الإخوان في بغداد والذين كانوا يزورون بغداد، وكانت تقام فيه الحفلات الدينية والمحاضرات الأسبوعية، والكتائب العلمية الروحية الليلية. وكانت فيها غرف كثيرة، كانت تؤجر لبعض الموظفين من الإخوان وطلبة الكليات بأسعار رمزية. وقد أجرت أنا وعرفان عبد الحميد، غرفة صغيرة، سكنا فيها عدة أشهر قبل انتقالنا إلى القسم الداخلي في دار المعلمين العالية. وكان هذا المركز أيضاً مقراً لجمعية إنقاذ فلسطين، وألحقت به مطبعة لنشر الكتب والرسائل الإسلامية.

فرع الموصل :

قلنا إن فكرة الإخوان المسلمين قد دخلت الموصل منذ أواسط الأربعينيات على يد الدكتور حسين كمال الدين، الأستاذ المصري الذي وصل إلى الموصل في ٢٤ مارس عام ١٩٤٥ م مع الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد، فاجتمعا بمعظم علماء الموصل وزارا المساجد والمدارس وألقيا عدداً من المحاضرات الإسلامية، وغادراها في ٢٧ مارس. وكان لهذه الزيارة تأثير كبير في التعريف بدعوة الإخوان، بحيث إن بعض الجرائد

(١) مقابلتي مع الأستاذ عبالقادر الجنابي.

دعت الناس إلى الانضمام إلى هذه الدعوة^(١).

وفي العام نفسه افتتحت مكتبة في الموصل بشارع النجفي باسم (مكتبة الإخوان المسلمين).

وفي عهد قيادة الصواف، حصلت الموافقة الرسمية على فتح شعبة الإخوة الإسلامية في الموصل في ٤ تشرين الأول عام ١٩٥٢ م.

وفي عام ١٩٤٨ م كان نشاط السيد عبدالرحمن السيد محمود بارزاً في معارضة معاهدة (بورتسموث) وتأييد عبدالجبار الجرمرد في الانتخابات مما أدى إلى اعتقاله واعتقال الشيخ الصواف والشيخ بشير الصقال وقلّة من رجال الموصل في عهد وزارة محمد الصدر^(٢).

ويروي السيد عبدالرحمن السيد محمود، أنه باسم الإخوان اتفق مع رجال حزب الاستقلال وغيرهم على القيام بمظاهرة كبرى في ٢٧ من كانون الثاني عام ١٩٤٨ م ضد معاهدة بورتسموث، وفي الساعة الخامسة والنصف من فجر هذا اليوم خابره حازم المفتي رئيس فرع حزب الاستقلال في الموصل وقال له : إن المتصرف اليعقوبي هدد بأن الحكومة ستفرق بالقوة أية مظاهرة تقوم وإنهم - المفتي ومن معه - ناكلون عن الاتفاق، فقال له السيد عبدالرحمن : إننا قد أعددنا العدة وهيأنا اللافتات، ولن يثينا التهديد ولن يرعبنا، فكانت مظاهرة من أقوى المظاهرات وأشدّها، وقد انسحبت الشرطة إلى داخل المركز العام بعد أن عجزت عن تفريقها، ونزل الجيش بإمرة عمر علي - رحمه الله - وفرقها بالحسنى^(٣).

(١) الحياة الحزبية في الموصل، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة

بغداد، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ص : ٢٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص : ٢٢٦.

(٣) مذكرة الأستاذ غانم حودات، ص : ٥.

وازدیاد نشاط الإخوان في الموصل، لاسیما في خطب علمائه أدی إلى تدخل مديريه الأوقاف بتوجيه من الدولة إلى كتابة كتاب موجه إلى خطباء المساجد بعدم التدخل في السياسة^(١).

ولما توسع نشاط الجمعية وبدأ أعضاؤها یعقدون الاجتماعات العامة في المساجد، اعترضت السلطات عدة مرات ونبهوا المسؤولين عن الجمعية بضرورة عقد مثل هذه الاجتماعات في مقراتها وإخبار السلطات بالاجتماعات العامة^(٢).

إن طیعة الموصل الدينية وكثرة العلماء المثقفين المسلمين فيها ساعدت جهود الإخوان في نشر الحقائق الدينية وتربية كثير من الشباب تربية إسلامية، ظهر أثرها في فترة متأخرة عندما قاوم الموصليون بدمائهم الشيوعية التي ستحدث عنها فيما بعد - إن شاء الله تعالى - .

ولم یبق نشاط الإخوان في سنوات الخمسينيات داخل المدينة، وإنما وسعوا نشاطهم داخل الأقضية والنواحي والقرى، كي لا تحرم تلك المناطق من إشعاعات نور الثقافة الإسلامية والتوجيه الإسلامي في ضوء منهج الإخوان الشمولي، وبجانب ذلك أنشئوا أقساماً تشمل قسم العمال والطلاب والناشئة والنساء^(٣).

فرع أربیل :

يقول الأستاذ عبدالوهاب الحاج حسن : (في هذه الفترة وبمناسبة قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ م، قام الإخوان في أربیل بمظاهرة كبرى لم تشهد المدينة مثلها أبداً، اشترك فيها جميع سكان المدينة.

(١) الحياة الحزبية في الموصل، مصدر سابق، ص : ٢٣١.

(٢) المصدر السابق، ص : ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق، ص : ٢٤٠.

وكان الشيخ محيي الدين والشيخ صالح وعلماء أجلاء آخرون يمشون في مقدمة المظاهرة، وكانوا يحملون لافتة كتب عليها - نريد السلاح أيتها الحكومة - وخرج المتصرف وشكرهم على هذا الشعور الفياض^(١).

لقد انتشرت دعوة الإخوان في أربيل على الرغم من محاربة الشيوعيين واللا دينيين العنصريين لها. ثم انحسرت الحركة نتيجة لاستبداد المسؤول الأول يومئذ برأيه، وعدم تحمله أي توجيه من أحد إخوانه أو معارضته، مما أدى إلى كثرة المعارضين وتجمع عدد من الإخوان حول المعارض الذي كانوا مقتنعين برأيه، فأدى ذلك إلى إصدار أوامر الفصل، فترزع صف الإخوان في أربيل^(٢).

ثم لما عين المسؤول الأول الأستاذ محمد صادق المختار قاضياً في الموصل، عين الأخ خليل عبدالله مكانه، ولما قبل في كلية الشريعة في بغداد، ونقل الأستاذ نظام الدين عبدالحميد (١٩٥٥ م) من البصرة إلى أربيل كلف من الأستاذ الصواف بتولي مسؤولية إخوان أربيل، بعد النكسة التي حلت بالإخوان في هذه المدينة، فحاول جمع الصف ورتق الفتق واللجوء إلى تربية الباقين من جديد في ضوء منهج الدعوة الإسلامية الشاملة، فلم يحدث بعد ذلك خروج وانشقاق في فترة الخمسينيات التي كانت الشيوعية والقومية مهيمنة على المثقفين في أربيل.

فرع كركوك:

أسس فرع الإخوان في كركوك عام ١٩٤٧ م على يد الداعية الرباني الأستاذ سليمان محمد أمين القابلي والأستاذ المحامي نور الدين الواعظ، ابن علامة كركوك الشيخ رضا الواعظ، وبدأت الدعوة بالانتشار، لاسيما عندما عين الأستاذ عابد توفيق

(١) مذكراته، ص: ٥.

(٢) مقابلي مع الأستاذ خليل عبدالله عند زيارتي له في أربيل في صيف عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

الهاشمي مدرساً في ثانوية كركوك للبنين في بداية الخمسينيات، وفي خلال الستين اللتين بقي فيها، وجه طلبته توجيهاً تربوياً مخططاً، وكان له أسلوب مؤثر في تبليغ حقائق الإسلام وجلب الطلبة الأذكياء الجيدين إلى حظيرة الدعوة الإسلامية^(١).

أنشأ الإخوان مكتبة للبيع والمطالعة باسم (مكتبة الأخوة الإسلامية) في شارع أطلس، واهتموا بنشر الدعوة الإسلامية بين المسلمين، عرباً وأكراداً وتركماناً، حيث التوتر القومي كان متشراً بين أبناء هذه القوميات، فغدا المتمون إلى الإخوان من هذه القوميات متأخين كالبنيان المرصوص، يحب بعضهم بعضاً في ظل أخوة الإسلام. وكان مسؤولو هذا الفرع حريصين على جمع الإخوان على أعلى مستويات المعاني الأخوية والدعوية والروحانية عن طريق صلوات الجماعة والكتائب الليلية والسفرات الجماعية وإقامة الحفلات بالمناسبات الدينية في المساجد.

وكان لهذا الفرع دار ذات حديقة مناسبة، كانت تقام فيها كل ليلة خميس دروساً، كان يشترك فيها الأستاذ نور الدين والأستاذ سليمان القابلي والأستاذ نظام الدين بعد أن انتقل من مدينة السليمانية إلى كركوك عام ١٩٥٣ م. ولا بد من الإشارة إلى دور الأستاذ الداعية المصري (محمد عبدالحليم الشيخ) الذي كان مدرساً في كركوك وتأثيره على طلبته قبل سفره إلى الكويت.

فرع البصرة :

لم تكن جمعية المكتبة الإسلامية في البصرة هي أول جمعية دينية في البصرة فقد سبقتها جمعية الآداب الإسلامية (فرع البصرة) التي كان مقرها في العشار في جامع الخضير، ثم تأسست جمعية الأخوة الإسلامية (فرع البصرة) التي كان مقرها في

(١) لقائي معه في اسطنبول في ٢٣/٩/١٩٩٨ م، ومن سجل ذكرياتي، ص: ١٣٤.

محنة السيف في البصرة^(١).

وكانت هناك مكتبة دينية تابعة لها، وأخيراً أنشئت جمعية جديدة هي جمعية المكتبة الإسلامية التي مقرها محلة السيف في البصرة في بناية المدرسة الدينية الرحمانية بعد غلقها. وكان لهذه الجمعيات الثلاثة عطاؤها المتميز في سبيل الدعوة الإسلامية، ولقد بلغت المكتبة الإسلامية القمة في هذا العطاء، ولا يزال أهل البصرة، المتقدمون في السن منهم خاصة يذكرون هذا العطاء، ولا تزال تتردد في أسمائهم تلك الأصوات الإسلامية الهادرة من أفواه العلماء والوعاظ والأدباء والشعراء تصدح بالدروس والعبر وتحث على العودة إلى الله وتذكر الناس بماضيهم الكريم وإن المسلمين لن يستقيم لهم أمر ولا يصلح لهم حال إلا بما صلح به أجدادهم، وسنعمل فيما يلي أهم ما قدمته جمعية المكتبة الإسلامية للإسلام عامة ولأهل البصرة خاصة من عطاء متميز:

أولاً: ربت الجمعية جيلاً متميزاً من الشباب المسلم الواعي لوجوده وما يراد منه، جيلاً يحمل الإسلام عقيدة ومنهجاً وسلوكاً، وكان مثلاً في فهمه وسلوكه، وكان لهذا الجيل من الرواد أثره الكبير في الدعوة الإسلامية وقد احتل مراكز قيادية في العالم العربي والإسلامي، منهم من اعتقل وشرد ومنهم من استشهد ومنهم من هاجر ومنهم من قضى نحبه، ولا تزال بقية منهم على العهد.

ثانياً: كان لها الأثر الكبير في نشر الوعي الإسلامي والثقافة الإسلامية فقد كان لها مكتبة غنية بالمصادر والمراجع في علوم الفقه والحديث والتفسير واللغة والتاريخ وغيرها، وظلت هذه المكتبة وقاعتها الخاصة منهلاً لكثير من طلاب العلم والباحثين، وقد كانت ترد إليها الكتب المطبوعة حديثاً من مصر والهند وباكستان، إضافة إلى الجرائد والمجلات المختلفة كجريدة (الإخوان المسلمين) ومجلة (الإخوان المسلمون)

(١) أغلق نوري السعيد جمعية الأخوة في العراق، أسس الإخوان في البصرة مكانها (جمعية المكتبة الإسلامية) في البصرة.

الإخوان المسلمون في العراق

ومجلة (الشهاب) ومجلة (المسلمون) ومجلة (الرسالة) وهذه كلها توضع بين أيدي الشباب ينهلون منها كما شاءوا.

ثالثاً: استقبلت الجمعية في حياتها الجهادية عشرات من رجال الفكر الإسلامي من العلماء والواعظين، ومن الأدباء والشعراء فعرفتهم على البصرة في جولات برية ونهرية فاطلموا على آثارها وتجولوا في شط العرب وفي البساتين الخضراء المكتظة بالنخيل، وعقدت لهم الندوات الخاصة والمحاضرات العامة فكانت لهم لقاءات مع الجموع الغفيرة في قاعة الجمعية، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء الجزائريين، والشيخ الحسيني المسلمي رئيس رابطة الوعاظ المصريين، والشيخ أحمد الأحمر مندوب الأزهر في البصرة، والأستاذ علي الطنطاوي، والشيخ أجد الزهاوي، والشيخ محمد محمود الصواف - رحمهم الله جميعاً - ، كما استقبلت وفوداً من العلماء والدعاة المسلمين كجماعة التبليغ الإسلامية في الهند، وفوداً من علماء تركيا، وقد صاحب شبابها هذه الوفود في جولات دعوية إلى كثير من قرى ومساجد البصرة. هذا، وكلما جاء عالم أو واعظ أو وفد فإن الجمعية تعد برنامجاً خاصاً لاستقباله والاستفادة منه فتتهيء مكان الاجتماع وتوجه بطاقات الدعوة للاستماع إليه.

رابعاً: حرصت الجمعية على الاستفادة من المناسبات الإسلامية واتخاذها موسماً لتبليغ الدعوة إلى الناس، كمناسبات المولد النبوي، والهجرة، والإسراء والمعراج وموسم رمضان، ففي هذه المناسبات تقيم المهرجانات الكبيرة وتدعو الخطباء والشعراء، وتدعو الناس عامة، فتلقى الكلمات من المتحدثين ويتبارى الشعراء بأحسن ما عندهم وقد عرفت الجمعية بقاعتها وحوشها الكبير شعراء كثيرين مثل عبداللطيف الدليشي وعبدالرحمن المجبل وعبدالجبار البصري وعبدالرحمن الرماح وغيرهم.

خامساً: الجمعية ورمضان المبارك : رمضان شهر مبارك فيه الدعوة مستجابة

والعمل الخالص لله مثمر، ولذلك فإن الجمعية تتبذل الفرصة فيه للعمل الدعوي على اختلاف صنوفه، فتوزع النشرات والكتيبات الإسلامية وتقيم مآدب الإفطار وتقدم العون للمعوزين، وتعد برنامجاً خاصاً للوعظ والإرشاد، فتتنظم زيارات إلى قرى البصرة ومساجدها المختلفة مستصحبة بعض مندوبي الأزهر الشريف كالشيخ الأحمر أو الشيخ محمد عبد الوهاب وتزور العوائل والدواوين فتساعد وتذكر وتعظ وتعتقد أواصر الأخوة وتصلح بين المتخاصمين.

سادساً: كان للجمعية دورها الرائد في كثير من المناسبات الوطنية والقومية، فقد احتضنت قضية فلسطين، وبذلت كل ما تستطيع في سبيلها سواء بالتعريف بها والحث على الوقوف معها بإقامة الندوات والاجتماعات الخطابية العامة أو بمظاهرات التأييد والتنديد بالصهيونية وأعدائها. وقد خرجت من الجمعية مظاهرات عديدة طافت شوارع البصرة والعشار وكان يقود إحدى هذه المظاهرات الشيخ محمد محمود الصواف - رحمه الله - رئيس جمعية إنقاذ فلسطين يومذاك. ولم تال الجمعية جهداً في المشاركة في الأعمال الوطنية والخيرية بقدر استطاعتها المادية، فقد قدمت للمسرح البصري تمثيلية (جعفر البرمكي) وتمثيلية (أهل الكهف) لقاء بطاقات دخول، ثم سافرت فرقة التمثيل فيها إلى الكويت وقامت بتمثيل مسرحية (أهل الكهف) على مسرح مدرسة أبي بكر الصديق، وقد أقبل الجمهور الكويتي عليها إقبالاً رائعاً مما درّ على الجمعية مردوداً مالياً جيداً خصصته الجمعية لشراء قطعة أرض في إحدى القرى تبرعت به لبناء مدرسة ابتدائية فيها.

سابعاً: كانت الجمعية هي السابقة إلى تنبيه الناس إلى كل خطر يحيط بهم نذكر من ذلك أن منها ارتفع أول صوت ضد الشيوعية، وكانت أول من رفع شعار (الشيوعية كفر وضلال فيا أيها البصريون اتحدوا ضدها) ولم يكن يومذاك، والشيوعية في أوج خطرها وقوتها، لم يكن أحد يومذاك يحسر أن يرفع صوتاً ضدها أو يتحداها، فقد كان

المؤمنون والمخلصون يتهامون بهذا في الخفاء خوفاً من الشيوعيين وقد رأوا بأعينهم كيف قُتِلَ وسُجِّلَ وعذب من جرؤ بالوقوف ضدهم، فجاءت الجمعية وقالت للشيوعيين : (أنتم كفرة ملاعين) قالتها علناً في احتفال عام أمام سمع وبصر الجميع في قاعتها الكبيرة التي خطب فيها الخطباء وأنشد الشعراء في هذا المعنى وشعارهم في ذلك رائعة وليد الأعظمي التي يقول فيها :

يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي أنا بغير محمد لا نقندي
فكانت تلك أول شرارة أشعلت نار التحدي والغضب في وجه الشيوعيين.

هذه عجالة مختصرة عن تاريخ وعطاء ومنجزات جمعية المكتبة الإسلامية في البصرة لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن، ولقد لقي أعضاؤها الكبار الأذى والاعتقال والتشريد والتهديد في سبيل ذلك .. وأخيراً صدرت الأوامر بإغلاق الجمعية فصدرت أملاكها وضاعت مكتبتها العامة^(١).

فرع الزبير :

كانت مدينة الزبير القريبة من البصرة، مدينة علمية، ظهر فيها علماء، وزارها علماء أفاضل نشروا العلم وأنشأوا فيها المدارس، من أهمها مدرسة النجاة.
في هذه البيئة العلمية، نشأت الحركة الإسلامية الحديثة ومرت بمراحل عدة والتحق بها الكثيرون، ولا سيما الشباب، وكان لها دور بارز في تاريخ البلدة وحققَت إنجازات علمية ودعوية في شتى المجالات.
بدأ النشاط الإسلامي في الحديث في بداية الخمسينيات من القرن الهجري الماضي بفتح فرع لجمعية الشبان المسلمين في البصرة.

(١) جرى الله الأخ الأستاذ الفاضل خليل عقرب الذي طلبت منه كتابة تاريخ الدعوة الإسلامية في البصرة، فاستجاب مشكوراً لذلك والحمد لله.

أما جماعة الإخوان المسلمين فأول من عرف بها في المنطقة هو الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد، الذي قدم للتدريس في متوسطة البصرة.

وكان في المتوسطة المذكورة عدد من الطلبة الزيريين الذين تأثروا بهذا المدرس ونقلوا أفكار الإخوان إلى بلدتهم، مع نسخ من مجلة الإخوان المسلمين.

وكان التأثير في بداية الأمر عاماً، ثم تبلور على يد بعض الفاهمين لدعوة الإخوان ففتحوا مكتبة باسم (الإخوان المسلمين) التي كان يلتقي فيها الإخوان ويتناقشون فيها كان ينشر في مجلة الإخوان المسلمين التي كانت تصل إليهم بانتظام، ثم لما كثر عددهم أرادوا أن يتميزوا في عملهم الإسلامي، فانتقلوا إلى مدرسة الدويجس، لتكون ملتقى لنشاطهم. وبعد تعيين أحد علماء الزبير الشيخ عبدالله محمد الرابع، بذل جهداً طيباً في موازنة نشاط الجماعة.

وقد استفادت الجماعة من هذه المدرسة، حيث كانت مركزاً لهم يلتقون فيه ويزاولون فيه أنشطتهم الدعوية والعبادية.

ومن الذكريات التي لا تنسى في هذه المدرسة أنه في إحدى الليالي سمع الإخوان بخبر استشهاد الإمام حسن البنا - رحمه الله تعالى - ، فتأثروا كثيراً، وقد صلى عليه الإخوان وعلماء الزبير الذي كان معروفاً عندهم صلاة الغائب بعد صلاة الجماعة في مسجد البخاري، والقي الشيخ محمد السند - رحمه الله - كلمة بالمناسبة وأم المصلين.

وأنشأ الإخوان في هذه الفترة مكتبة باسم (مكتبة المنار) التي نجحت في أداء رسالتها الإسلامية، حيث أقبل عليها الكثيرون الذين اشترك بعضهم بالمجلات واشتروا الكتب الدينية.

وكانت مدرسة (النجاة) التي أسسها الشيخ محمد أمين الشنقيطي ١٣٣٩ هـ منطلقاً آخر للإخوان في توسيع نشاطهم حيث ساهموا بإنهاضها وإحياء رسالتها

الدينية التي كانت قد ضعفت، وكان لمدرسي الإخوان المصريين والعراقيين تأثير كبير في توجيه الطلبة، وكان لمديرها الشيخ ناصر - رحمه الله - الأثر الكبير في فسح المجال للدعاة لأداء واجبهم الديني، وكان يعرف الإمام حسن البنا وحقيقة دعوته الإسلامية، ولذلك أيد نشاط الجماعة، وكان للإخوان في المدرسة مئة طالب بذلوا جهودهم لتنشيطهم النشأة الإسلامية.

وبعد رجوع الأستاذ الصواف من مصر، وأنشاء جمعية الأخوة الإسلامية، أسس الإخوان فرعاً لها في الزبير عام ١٣٧٠ هـ ترأسه الشيخ عبدالمحسن الباطين، وكان الأستاذ الصواف يزور الزبير كلما جاء إلى البصرة.

وفي هذه الفترة قام الإخوان بنشاط عام جيد، مثل المحاضرات والحفلات التي كانوا يقيمونها بالمناسبات الدينية والمرحيات الإسلامية الجيدة.

وعندما أصدرت الجمعية في بغداد مجلة (الأخوة الإسلامية)، سعى الأخوة في الزبير لحث الناس على الاشتراك فيها، وقام عدد منهم بجولة على المدارس وعرضوا على المدرسين فيها، فاستجاب عدد منهم، واستمر النشاط في هذا الفرع إلى أن صدر القرار بحل الجمعية في بغداد وفروعها في المحافظات كافة، فتحول نشاطهم إلى (جمعية مكتبة الزبير الأهلية) التي كانت قد تأسست منذ عام ١٩٥٩ م.

ومجمل القول أن إخوان الزبير كانوا متغلغلين في المجتمع وكانوا مركز ثقل في أمور عدة وساهموا في مجالات شتى روحية وثقافية وصحية وتربوية واجتماعية ورياضية، مما ترك أثراً محموداً ومستمر في المجتمع الزبيري، وكانوا يتعاونون مع إخوان البصرة في جميع النشاطات، وكانوا يشتركون في النشاط الأخواني في بغداد^(١).

(١) اختصرت هذه المعلومات من كتاب صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في الزبير، للأخ الأستاذ عمر الدايل وهو مكتوب بيده.

فرع الرمادي :

أسس فرع الإخوان المسلمين في الرمادي تحت اسم (جمعية الإخوة الإسلامية) في أوائل الخمسينيات، وكان من المؤسسين كل من عواد سمير الدراجي ومصطفى جميل ومحمد اللآفي وواعظ العشائر المرحوم السيد فاضل محمود السيد رحيم، والمرحوم عبد النبي شبيب حمزة من بيت الكحلي الهيتي السكن، والمرحوم يوسف الدوري (موظف)، والمرحوم عبدالعزيز عواد الكبيسي، والمرحوم حسن علي العبدالناصر السطوري، والمرحوم المعلم خلف عبيد الفراجي، والمرحوم مخلف جواس الذيابي (مدير المدرسة)، والشهيد محمد محمود البنا العسافي وعدنان محمد سلمان. وكان له مجهود كبير وزيارات لكل مناطق اللواء وجماعة آخرين.

وكانت هذه الجمعية تقوم بالنشاطات الآتية :

١ - السفرات الإرشادية إلى نواحي وأرياف الرمادي، فقد وثقوا علاقتهم بشيوخ العشائر ووجهائها، فاستجاب لهم الكثير، وعلى سبيل المثال لا الحصر الحاج نوار (البو عساف) والحاج عيادة رثيع (البو جليب) وجميل المهنا (البو علوان) والحاج فيصل (البونمر) ومن الوجهاء المرحوم الأستاذ المحامي يوسف، والمرحوم الحاج هوبى حمادي، والحاج طه الحمادي، والحاج سالم الكبيسي، والحاج هميم، والحاج أحمد لافي ومحمد لافي، والمرحوم الحاج جاسم (هيت)، والمرحوم الحاج عبدالرزاق (حديثه)، والمرحوم الحاج محمد الشبلي (عنه) وغيرهم كثير.

أما العلماء فكان للشيخ عبدالجليل الهيتي - رحمه الله - والمرحوم الشيخ عبدالستار الكبيسي دور كبير.

٢ - إلقاء المحاضرات في مقر الجمعية وعقد الندوات والاحتفالات في المساجد في

المناسبات الدينية كالهجرة النبوية والمولد النبوي الشريف وأيام شهر رمضان.

٣ - مساعدة بعض العوائل الفقيرة والمتعففة في الرمادي.

٤ - تفهيم الناس أمور الدين والدعوة إلى الفضيلة والأخلاق والعودة إلى الإسلام والبعد عن الرذيلة.

٥ - وعندما غرقت بعض أقسام الرمادي في أواسط الخمسينيات شكل المتصرف آنذاك السيد شاعر السامرائي عدة لجان للإغاثة أو كل معظم مسؤولياتها إلى الإخوان مثل المرحوم عبدالنبي شبيب، والمرحوم الحاج خلف عبيد.

٦ - ولم يغفل الإخوان الجانب الرياضي تطبيقاً لقوله ﷺ «إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً» فقد أسسوا نادي التربية الرياضي وقاموا بمباريات رياضية داخل المحافظة وخارجها.

٧ - وعندما توجه الجيش إلى فلسطين قدموا للمجنود الغذاء والشراب والفاكهة والثلج، وكانوا يستقبلونه بالأهازيج.

٨ - وكانوا يستقبلون الوفود من الداخل ومن الخارج أمثال الشيخ علي الطنطاوي، والمرحوم محي الدين القليبي (تونس)، والمرحوم العلامة محمد البشير الإبراهيمي (الجزائر)، والشيخ محمد نمر الخطيب (فلسطين).

وبما أن جمعية الإخوة الإسلامية في الرمادي كانت فرعاً للجمعية في بغداد، فقد شملها الأمر الصادر من رئيس الوزراء نوري السعيد بخلق الجمعية ومصادرة أموالها^(١).

في منطقة السليمانية :

ذكرنا أن حركة الإخوان المسلمين دخلت أربيل منذ عام ١٩٤٥ م وكركوك منذ عام ١٩٤٧ م وفي الأقضية الكردية التابعة لمحافظة الموصل منذ نهاية الأربعينيات. أما في مدينة السليمانية، فأول احتكاك بدعوة الإخوان المسلمين كان في عام

(١) هذه المعلومات زودنيها الأخ الأستاذ حاتم عبدالله العاتي.

١٩٤٦م عندما عين الأستاذ نظام الدين عبد الحميد مأموراً للإحصاء في السليمانية. وقد اقتصر هذا الاحتكاك بتعريف دعوة الإخوان إلى بعض العلماء في السليمانية. وأتذكر أنه كان يصحبني إلى مجالس العلماء فيها، وتجرى فيها المناقشات الإسلامية، وكان كلما ظهر كتاب إسلامي جديد، يحاول أن يعرف هؤلاء به ليقرأوه، ككتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب - رحمه الله تعالى - ، الذي كان كتاب العصر في حينه. ولا شك أن عدداً من هؤلاء قرأوا رسائل الإمام حسن البنا - رحمه الله تعالى - ولا سيما الشيخ محمد الخال قاضي السليمانية يومئذ. وبجانب ذلك فقد كان الأستاذ نظام الدين يلقي دروس الدين في ثانوية السليمانية، ولا شك أن أسلوبه المعاصر في التدريس قد أثر في بعض الطلبة.

هذه النشاطات المتواضعة، نبهت إليه الحركة الشيوعية في السليمانية فبدأوا يحذرون الناس منه، ويسمعونه في الطرقات أحياناً كلمات من قاموسهم الإرهابي المليء بالكلمات القبيحة. لا أدعي أن أثر الأخ نظام الدين كان كبيراً في بيئة السليمانية المغلقة على الشيوعية والقومية اللادينية يومئذ، ولكنه كان احتكاكاً أولياً لتنيه الأذهان إلى بعض حقائق الإسلام وتعريفها بدعوة الإخوان المسلمين.

وعندما نقل إلى كركوك عام ١٩٥٣م تكفل إخوان كركوك بمحاولة نشر الدعوة في السليمانية، فحاولوا فتح مكتبة إسلامية فيها مرتين عن طريق الملا جلال الساعاتي، ولكن الشيوعيين قضوا على المحاولتين بإحراق المكتبتين، ولم تمض على أية واحدة منهما ليلة واحدة. ولكن الإخوان لم يأسوا وبدأوا بالاتصال بمنطقة السليمانية وحلبجة، وكان من نتيجة تلك الاتصالات التأثير المباشر على عالم فاضل في منطقة حلبجة، هو الشيخ عثمان بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - ^(١).

(١) سمعت هذا من الشيخ عثمان بن عبدالعزيز نفسه أكثر من مرة، لاسيما عند زيارتنا له عند خروجه من المعتقل عام ١٩٧٨م، وعند زيارته لي ببغداد عقب عودتي من المغرب عام ١٩٨٥م.

وقام هو بدوره التأثير على أخوته الشيخ عمر، والشيخ علي وأخيه الأصغر الملا صديق، وعمه الملا صالح، وقام هؤلاء بنشر دعوة الإخوان بين أبنائهم وأقاربهم وطلابهم في المعهد الإسلامي في حلبجة.

فغدت منذ ذلك الوقت منطقة حلبجة، مركز إشعاع في نشر الدعوة، وتجاوزتها إلى مركز مدينة السليمانية ومناطق أخرى في المحافظة في حدود ضيقه جداً. حتى إذا قامت ثورة ١٤ تموز، وحدث الصراع بين الشيوعيين وغيرهم في أنحاء العراق كافة، وتأسس الحزب الإسلامي، دخل هؤلاء جميعاً مع عدد كبير من علماء المنطقة فيه. ومنذ ذلك الوقت بدأ نشاطهم في المنطقة لمقاومة الفكر الشيوعي فيها، عن طريق إصدار الفتوى المشهورة بتكفير الشيوعيين.

ومن خلال ذلك النشاط، انتشرت دعوة الإخوان المسلمين وتركزت في مناطق متعددة من المحافظة المذكورة.

ومن الجدير بالذكر أن الإخوان في بغداد أيضاً في مجال الكليات، كانوا يتصلون بكثير من الطلبة من محافظة السليمانية وغيرها، وكان هؤلاء على قلتهم يحملون الدعوة الإسلامية معهم إلى أماكن سكنهم.

ومن الجدير بالذكر أن فروع الإخوان كانت ممتدة إلى الأقضية والنواحي الكبيرة والصغيرة كسامراء وتكريت والفلوجة وعنه وراوه وحديثة وهيت وأبي الخصيب وزاخو ودهوك وأماكن غيرها. وكانت نشاطاتها مرتبطة بالمراكز أحياناً ومستقلة أحياناً أخرى.



الفصل الرابع

النشاط الدعوى للإخوان في العراق

الفصل الرابع

النشاط الدعوي للإخوان في العراق

النشاط الداخلي :

كان همُّ الإخوان في العراق، كما هو رأيهم في كل قطر، تقوية الأخوة الإسلامية بينهم، حتى مرحلة الاندماج الإيماني، لأنهم يعتقدون أنه لا يمكنهم إصلاح المجتمع الإسلامي، إلا إذا كانوا هم أنفسهم نماذج وقدوات حسنة للناس في الإيمان والإخلاص والأخلاق وتطبيق شريعة الله على النفس والأسرة والمجتمع.

وفي سبيل الوصول إلى ذلك اهتموا أولاً :

* بتثقيف أنفسهم عن طريق فهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرته وسيرة الصحابة الكرام. وقد حاولوا أن يكون منهجهم في فهم الإسلام منهجاً شمولياً، عقيدة وشريعة وسلوكاً، وأن تكون دعوتهم دعوة متبعة لا مبتدعة.

* فدعوتهم دعوة سلفية، لا بالمعنى الاصطلاحي الضيق في إتباع فلان في العصور المتقدمة أو المتأخرة، وإنما بمعنى إتباع خير القرون من الصحابة وتابعيهم وتابع التابعين، في عقيدتهم الصافية الواضحة، وفقهم الواسع الأصيل الذي يأخذ بالأسر وليس بالأحوط، ووعبهم العميق بالإسلام قولاً وعملاً، وجهادهم في سبيل الله سواء في البناء الداخلي أم في دفع طغيان العدو الخارجي :

* وهم يؤمنون بحقيقة التصوف، لا بمظاهره الطرقية المبتدعة، أي بمعنى تصفية القلب وتطهيره من الفساد وتوجيهه إلى العبودية الخالصة لرب العالمين، من أجل

الوصول إلى التقوى ثم الاستقامة، والانتقال من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة إلى النفس المطمئنة، حتى ترجع إلى الله تعالى راضية مرضية.

* وهم أيضاً عقلانيون في إطار ضوابط الإسلام وأصوله، ينظرون إلى حركة عصرهم، وتطور العلوم والمعارف من حولهم، والمؤامرات التي يحوكمها أعداؤهم ضد دينهم وحضارتهم.

* ودعوة الإخوان دعوة إسلامية عامة، وليست دعوة إلى مذهب معين أو موجهة إلى طائفة معينة، وإنما هو خطاب للمسلمين جميعاً في إطار الكتاب والسنة، كي يستيقظوا من سباتهم ويصونوا حياتهم بموجب شرع الله سبحانه وتعالى، ثم يحاولوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطرق الشرعية، تمهيداً لصياغة الأمة الإسلامية صياغة جديدة من أجل إعادتها إلى حظيرة الإسلام والإيمان، وتهيئة صفوف الأمة لجهاد أعدائها الحاقدين الغاصبين.

* فهم كانوا حريصين - على سبيل المثال - :

في التفسير : على قراءة تفسير ابن كثير، وفي ظلال القرآن.
في الحديث : كانوا يدرسون كتاب (رياض الصالحين للنووي)، ويحفظون شرح الأربعين النووية.

في السيرة النبوية : كانوا يقرأون كتاب الشيخ الخضري، وفقه السيرة للشيخ الغزالي، وتهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون وغيرها.
في العقيدة : كانوا يدرسون كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، وعقيدة المسلم للشيخ الغزالي.

في الفقه : كانوا يتحركون داخل مذاهب أهل السنة والجماعة، كل فرد حسب مذهبه دون تعصب، ومع ذلك فهم كانوا يعتمدون كثيراً على كتاب (فقه السنة) للشيخ سيد سابق - رحمه الله تعالى - .

في الفكر الإسلامي الحديث : كانت مصادر ثقافتهم رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، وكتب الأستاذ سيد قطب ومحمد قطب ومحمد الغزالي، والشهيد عبدالقادر عودة والبهي الخولي ومصطفى السباعي وأبي الأعلى الموردي وأبي الحسن الندوي وسليمان الندوي ومالك بن نبي وغيرهم.

وكان جمع منهم يدرسون بعمق تراث المدرسة الإسلامية الحديثة كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والسيد رضا رشيد، وكانوا يطلعون مجلة الأزهر ولواء الإسلام والدعوة والمسلمون والشهاب وحضارة الإسلام، والجرائد الإسلامية المتنوعة، زيادة على مجلاتهم الإسلامية، ومنشوراتهم الثقافية التي كانت تصدر في العراق، والتي سنذكر عنها تفاصيل فيما بعد - إن شاء الله تعالى - .

* ولم يكن مسؤولو الإخوان يمنعون من قراءة كتب الأفكار المادية والفكرية والأدبية المعاصرة، لأنهم كانوا يعتقدون أن الداعية المسلم بعد تعمقه في فهم الإسلام لابد أن يكون على إطلاع جيد بحركة العصر وفكر العصر الذي انتشر في المجتمع الإسلامي. إذ كيف يستطيع الدعاة أن يقوموا بإصلاح المجتمع الإسلامي المعاصر، وهم لا يعرفون التيارات الفكرية والسياسية والأدبية التي تغزوه، والتي تتجسد أحياناً بجماعات وأحزاب سياسية تنتشر هنا وهناك في الساحة الإسلامية.

ولذلك خرج الإخوان في كل مكان جيلاً مثقفاً استطاع أن يلعب دوراً تاريخياً مشهوداً في الوقوف أمام الانحرافات الفكرية في المجتمع الإسلامي.

وكان الإخوان في العراق حريصين في الخمسينيات وما بعدها، على الإطلاع على الحركات المعاصرة في العالم الإسلامي، كي يطلعوا على ما يفعله إخوانهم في مجال الإصلاح الإسلامي في تلك البلاد ويستفيدوا من تجاربهم. زيادة على المحاضرات التي كانت تلقى عليهم سواء في مقراتهم أم في المساجد التي كانوا يجتمعون فيها. وقد مر بنا نهاية الأربعينيات كيف كان الأستاذ الصواف والدكتور تقي الدين

الهلالي بلقيان الدروس والمحاضرات على الإخوان في مسجد الإمام أبي حنيفة وجامع خطاب وجامع الدهان في الأعظمية، وكانوا يحضرون بعد ذلك خطب العلامة الهلالي أيام الجمعة في جامع الدهان في الأعظمية.

وكان الشيخ أمجد الزهاوي، يجلس بين المغرب والعشاء فيه، ليجيب على أسئلة الإخوان الدعوية والفقهية.

ولم يترك كثير من الإخوان الدراسة على العلماء في كتب العلم، كالعلامة الزهاوي والعلامة محمد القزنجي والشيخ عبدالقادر الخطيب والعلامة المحدث عبدالكريم الصاعقة والشيخ الحاتوني والدكتور الهلالي^(١) وغيرهم.

أما المحاضرات التي كان الأستاذ الصواف والأستاذ عبدالكريم زيدان وغيرهما يلقونها في جامع الأزبك، فكان كثير من الإخوان في شعب مناطق بغداد يحضرونها باستمرار.

يقول الأستاذ محمد سالم زيدان: (أول مرة رأيت فيها عبدالكريم زيدان، عندما ألقى درساً في تفسير سورة العصر في جامع الأزبك قبل شراء دار الإخوان في باب المعظم)^(٢).

وأما الجانب الآخر الروحي :

• فقد كان الإخوان يهتمون بالجانب الروحي، عن طريق أداء الفرائض والسنن المؤكدة والنوافل العامة، كصلاة التهجد، وحضور صلاة الجماعة.

• وكانت الكتائب الليلية مظهراً من مظاهر تقوية الروح والوصول بها إلى

(١) كان يدرسننا علوم التفسير والحديث في دار المعلمين العالية، وبعد استقلال المغرب رجع إلى بلده، وقد قدر الله لي أن أزوره في المغرب عام ١٩٨٣ م، في بيته في الدار البيضاء، وتوفي عام ١٩٨٦ م، عن مائة عام - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -.

(٢) مقابلتي له في داره ببغداد.

الاستقامة، وكانوا يتدارسون في تلك الكتائب القرآن الكريم والسنة النبوية ويصلون صلاة التهجد جماعة. وكانوا يقرأون فصولاً من إحياء علوم الدين كحقوق الأخوة في الإسلام وأمراض القلوب وأهوال عذاب القبر والجحيم وكانت تلك الكتائب مدرسة روحية تهذيبية، صاغت سلوك الإخوان صياغة إيمانية عالية.

• وكان الإخوان يقرأون بعد صلاة الصبح (الوظيفة الكبرى) من المأثورات التي جمعها الإمام المرشد البنا من القرآن الكريم وأصح الأحاديث النبوية في الدعاء.

• وبعد صلاة المغرب كانوا يقرأون بعد الأذكار النبوية المشروعة ورد الرابطة، وهو: - قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب.

- اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك فأغفر لي.

- اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فوثق اللهم رابطتها، وأدم ودها وأهدمها سبلها، وأملأها بنورك الذي لا يخبو، وأشرح صدورها بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك، وأمتها على الشهادة في سبيلك، إنك نعم المولى ونعم النصير، اللهم آمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان منهج الإخوان أن يقوموا بسفريات قريبة من المدن التي يوجدون فيها. يعرض علينا الأستاذ عبدالقادر الجنابي سفرة من تلك السفريات الإيمانية، فيقول: (اتفقنا أن نذهب في سفرة إلى "سلمان باك" في الربيع، في نهاية الأربعينيات، وكان الأستاذ الصواف وأعضاء اللجنة المركزية معنا، وكنا حوالي ثلاثين أخاً، وقسمنا

الأستاذ الصواف إلى كردوسين، ومشينا بصورة منتظمة من داخل المدينة إلى المسجد، والناس ينظرون إلينا، وقد فوجئوا بهذا المنظر البديع لأول مرة، ونحن ننشد بصوت جماعي واحد نشيد :

يا رسول الله هل يرضيك أنا إخوة في الله للإسلام قمنا
ونشيد : هو الحق يحشد أجناده.

قال : ودخلنا المسجد وصلينا صلاة الظهر، ثم خرجنا منظمين إلى رؤية (طاق كسرى) والناس ينظرون إلينا والأستاذ الصواف بعلمته وجبته يمشي أمامنا قال : ثم تغدينا بانتظام، ثم صلينا صلاة العصر أمام الناس، وكان الوقع شديداً عليهم، وقمنا بسفرة أخرى إلى الفلوجة والرمادي بالنسق نفسه.

وهنا يعلق الجنابي : كان الشيوعيون يقولون لا خطر علينا إلا الصواف، ثم يقول : وهذه التربية الروحانية العالية، هي التي بذرت فينا حب العدل والقسط المستقيم وخدمة المجتمع باخلاص.

قال : فلما عينت حاكماً في مديرية الأمة العامة في بغداد، عدلت مع كل الفئات السياسية، حتى الذين كانوا يخاصموننا، كل ذلك بتأثير تلك التربية العالية التي تربينا عليها داخل أسر الإخوان^(١).

ويستمر الأستاذ الجنابي، فيقول : هذه التربية الروحية العالية ركزت خوف الله في نفوس الإخوان، ولذا لم تحصل إساءة مالية قط في الجماعة، ولم يهتم أي شخص بمثل هذه الإساءات، في حين أنني لما كنت حاكماً في الأمن العامة، حققت في مثل القضايا المالية فوجدت خيانات بالغة قد حصلت في مالية التنظيمات والجماعات الأخرى، بسبب بعدهم عن مخافة الله تعالى وعدم تربيتهم على الأخلاق الإسلامية وعدم

(١) مقابلي معه، مصدر سابق.

شعورهم بالمسؤولية الملقة على عاتقهم. وعندما أراد الإخوان بدءاً من الخمسينيات أن يعمقوا التربية الروحية في الجماعة، فكروا في إيجاد نظام المخيمات التي تدوم أياماً. اشتركت بنفسي في مخيم (جومان) في محافظة أربيل قرب الحدود الإيرانية عام ١٩٥٦ م. وكنت يومئذ طالباً في دار المعلمين العالية في بغداد.

لقد اشترك في هذا المخيم أكثر من مائة أخ على ما أتذكر، وكان مدير المخيم يومئذ الأخ المهندس الشهيد عبدالغني شندالة^(١). فعسكرنا هناك بين الجبال على شاطئ نهر جومان البارد صيفاً، ونصبت خيمة القيادة، ثم الخيم الأخرى حولها. وحملنا أرزاقنا معنا، وكنا كلما وصلنا إلى بلدة بعدد من السيارات الكبيرة، وحضرت الصلاة، صلينا جماعة والناس مندهشون ينظرون إلينا، وسبب الاندهاش أن الأكراد في المنطقة على الرغم من وجود مسجد في كل قرية ووجود عالم ديني وتلامذته فيها، لم يكونوا يرون شباب المدارس في المساجد إلا نادراً. فقد استطاع الشيوعيون والقوميون اللادينيون عبر سنوات طويلة أن يشككوا الجيل الجديد في إسلامه، وأبعدوهم عن المساجد، مستغلين عدم وجود حركة إسلامية مستنيرة في كردستان العراق، ونتيجة لذلك، فالجيل المثقف كان يرى الإسلام في أنصاف العلماء الجامدين، ومشايخ الطرق الدجالين من طلبة الدنيا.

كان منهجنا اليومي في المخيم يبدأ بأذان الفجر، حيث يستيقظ الجميع لأداء الصلاة، فيتقدمنا مدير المخيم فيؤمنا بقراءته الجيدة في هذا الجو الصافي الروحي، ثم يقرأ كل منا أوراده الموافقة للسنة، ثم يختتمها بقراءة الوظيفة الكبرى، ويطلب المسؤول من كل واحد قراءة آية أو حديث من حفظه، ثم يقوم بعض الأخوة حسب الجدول اليومي بإعداد وجبة الحليب، ثم الرياضة الصباحية وفيها تسلق الجبال القريبة المحيطة

(١) أعدمه البعثيون مع ثلة من الإخوان وغيرهم عام ١٩٧٠ م.

بالمخيم، ثم العودة لأخذ طعام الإفطار المعد من لدن أخوة آخرين، ثم الاجتماع الكامل لسماع محاضرة الصباح في قضية من قضايا الإسلام، ثم تبدأ بعد ذلك الجولة الحرة بين الأكام والأشجار والجبال، ثم يرجع الجميع عند سماع أذان الظهر، لأداء الصلاة جماعة فالأوراد فالأدعية. ثم طعام الغداء المكلف بإعداده أخوة آخرون، ثم غسل الأطباق والقدر المكلف بغسلها آخرون، ثم فترة النوم ثم الاستيقاظ على صوت مؤذن العصر ثم الصلاة، ثم الاستماع إلى قراءة من كتاب إسلامي أو محاضرة علمية، ثم الجولة الحرة المسائية، ثم التجمع لصلاة المغرب وقراءة الأوراد وورد الرابطة، ثم تقديم العشاء، ثم غسل الأطباق وتحضير مواد طعام اليوم الثاني، ثم الجلسة الهادئة والأحاديث الشيقة إلى أذان العشاء، ثم الصلاة الجماعية، ثم الأذكار والأوراد، ثم الختام بقراءة القرآن الكريم، ثم التجمع لجلسة سمر جماعي برئ، تذكر فيها الأحاديث الجماعية والطرائف التاريخية والنكت المضحكة البريئة، لترويح النفس قبل النوم، ثم يخيم الهدوء، ويذهب كل منا إلى خيمته للنوم، وبعد منتصف الليل، يقوم من يقوم للتهجد والوتر، ثم الاستيقاظ لصلاة الفجر وهكذا...

لقد ذاق الجميع في تلك الأيام العشرة من الأخوة الإيمانية التي شدت على القلوب، وتزودوا بكثير من معاني الخشوع والتقوى، وعاهدوا ربهم على أن يرجع كل منهم جندياً من جنود الإسلام يهدي الله به الضالين، وينشر الإسلام الصحيح بين أبناء قومه، ويتحول إلى عنصر خير في عمله أو مزرعته أو دائرته أو كليته.

لقد أقيمت مخيمات وسفرات عدة مثل المخيم مبركة دريش قرب سواره توكه في منطقة دهوك والمسيرة إلى بامربي سنة ١٩٥٤، وكانت مستمرة خلال الخمسينيات في أماكن عدة، وجهت شباب الإخوان توجيهاً ثقافياً رياضياً اجتماعياً وروحياً حتى يكونوا مهيبين لأحداث التغير التربوي المنشود في حياة المسلمين في الداخل ثم التهيئة التامة لجهاد الأعداء في الخارج.

النظام الداخلي للإخوان في العراق :

الإخوان المسلمون في العراق كإخوانهم في سائر الأقطار العربية، كانوا يخضعون إلى نظام داخلي ولو لم يكن مدوناً في المراحل الأولى.

فالمراقب العام وهو الأستاذ محمد محمود الصواف، انتخبه الإخوان بعد رجوعه إلى العراق، بعد أن تأكدوا أنه تتلمذ ثلاث سنوات على الإمام الشهيد حسن البنا في مصر، وعين عضواً في الهيئة التأسيسية للإخوان في مصر.

وبعد أن علموا أنه بايع الإمام الشهيد على العمل للإسلام في العراق، ولم يأت انتخاب الصواف لذلك فحسب، وإنما لقدراته الشخصية في الدعوة للإسلام، ونظامته الإيمانية، وصحة عقيدته الإسلامية، وفهمه لمقاصد الشريعة، وإدراك أمراض المسلمين وكيفية معالجتها.

سألت عدداً من الأخوة الذين رافقوه من المرحلة الأولى : هل انتخب الصواف مراقباً عاماً للإخوان، أم فرض نفسه فرضاً من الخارج ؟

يقول الأستاذ الوهاب : (نعم انتخب انتخاباً شرعياً، ولم يفرض الرجل نفسه)^(١).

ويقول الأستاذ الواعظ : (تم تعيين الأستاذ الصواف مراقباً عاماً للإخوان في العراق بالانتخاب)^(٢).

وأيد هذا كل من عبدالوهاب الحاج حسن، وعبدالقادر الجنابي، وإبراهيم المدرس، ووليد الأعظمي، ودواود العيثاوي، وعبدالمالك محمد أمين^(٣).

وكانت للإخوان هيئة تأسيسية عامة، تتكون من مسؤولي وأعضاء مكاتب الفروع

(١) مقابلي معه، مصدر سابق.

(٢) مقابلي معه، مصدر سابق.

(٣) مقابلاتي السابقة معهم.

الإخوان المسلمون في العراق

والشعب في العراق كافة، وهم الذين ينتخبون أعضاء اللجنة المركزية التي كانت أعلى هيئة في تنظيم الإخوان، وهم الذين كانوا يخططون سياسة الجماعة ويأمرون بتنفيذها.

والآن لنحقق علاقة الأستاذ الصواف بانتخاب اللجنة المركزية :

• يقول الأستاذ إبراهيم منير المدرس : (الانتخابات كانت حقيقية وحرّة ونزيهة، ولم يكن للأستاذ الصواف أي تأثير والكل عنده سواء)^(١).

• ويقول الأستاذ محمد سالم زيدان : (كان انتخاب اللجنة المركزية صحيحاً)^(٢).

• ويقول الأستاذ داود العشاوي : (لم يكن يتدخل في انتخابات اللجنة المركزية)^(٣).

أما علاقته الداخلية باللجنة المركزية، فالجميع يقولون أنه كان يسمع آراء الإخوان ومناقشاتهم ويأخذ برأي الأكثرية حتى لو خالف رأيه الخاص.

يقول الأستاذ العشاوي : (وكانت عندنا في اللجنة المركزية ضوابط مكتوبة إنه لا يجوز الاتصال برجال الحكم إلا إذا اقتضت مصلحة الدعوة، وكان الأستاذ الصواف يلتزم بذلك)^(٤). وأما مراتب الدخول في تنظيم الإخوان والتقدم فيها، فكان على الوجه الآتي : (مؤيد ثم أخ ثم عامل ثم نقيب، ثم رقيب، ثم عضو اللجنة المركزية)، وبيعة الإخوان للقيادة، كانت في الطاعة بالمعروف فيما لا يخالف الكتاب والسنة، في النشاط والمكره، وفي نصرّة الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله في مناحي الحياة كافة. ولم يكن الإخوان لا في العراق ولا في غيره يعتقدون أنهم وحدهم يمثلون الإسلام ولا كانوا يقدمون أنفسهم أنهم هم الجماعة الإسلامية.

(١) مقابلة سابقة.

(٢) مقابلة سابقة.

(٣) مقابلة سابقة.

(٤) مقابلي السابقة معه.

وإنما كانوا بكل تواضع يقولون إنهم جماعة من المسلمين يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعملون في خدمة الإسلام والمسلمين لحين قيام المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية. وتاريخ الإخوان في البلاد العربية يشهد أنه لم يكن هدفهم تسلم الحكم، وإنما كانوا يصرحون دائماً إن هدفنا هو صياغة الأمة صياغة إسلامية، فمن يعمل لذلك من الحكام فنحن مؤيدوه وجنوده في هذه السبيل.

وكانوا يقولون أيضاً إن ساحة الإسلام واسعة، تتسع لكل من يعمل في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي وإعلاء شأن الإسلام والمسلمين.

وهذه كتبهم ورسائلهم معروضة منشورة، يستطيع كل باحث عن الحقيقة أن يرجع إليها ويتأكد منها، وهذا لا يعني أنهم كانوا يرفضون الحكم لتنفيذ شريعة الله، وإعادة كيان الأمة الإسلامية، وإنما هم لا يسلكون مسلك الأحزاب السياسية التي لا تعترف بحكم إلا إذا حققته هي بنفسها، بينما الإخوان المسلمون هم أصحاب مبادئ وليسوا طلاب كراسي، فأية جماعة تحقق مبادئهم، فهم أنصارها وجنودها، المهم عندهم أن يحكم بشريعة الله سبحانه وتعالى.

مصادر تمويل جماعة الإخوان المسلمين في العراق :

لا بد لكل جماعة من مال تستعين به في إمداد نشاطاتها وتمويل أجهزتها. فالمال عصب الحياة، ولذلك فإن الإخوان فكروا في تأسيس القسم المالي الذي تجتمع عنده الموارد المتنوعة التي تأتي لجمعية الأخوة الإسلامية من المصادر الآتية :

١ - اشتراكات الأعضاء : حيث كان كل عضو يدفع بحسب طاقته، ومستواه المالي، بدءاً من (خمين) فلساً في الشهر وصعوداً إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير.

٢ - تبرعات المحسنين من الأغنياء المسلمين : الذين كانوا يتحمسون لمأساة الإسلام في هذا العصر، ويعرفون جهود الإخوان في مجال توعية وتوثيق وإيقاظ

المسلمين، وكان الإخوان ينشرون قوائم بأسماء المتبرعين ومقادير المبالغ التي تبرعوا بها، رداً على الشبهات التي كان يثيرها أعداؤهم من الشيوعيين بالدرجة الأولى.

٣ - شركة طباعية باسم (الشركة الإسلامية) : لقد أسس الإخوان شركة للطباعة والنشر، كانت تنشر الكتب الإسلامية والعلمية والتاريخية المتنوعة، ومن أرباحها كانوا يتفقون على مجالات الدعوة الإسلامية.

٤ - المكتبات الإسلامية : التي أنشأوها في بغداد والمحافظات، والتي كانت تباع الكتب والجرائد الإسلامية، والتي كانت تشكل مصدراً من مصادر تمويل الجماعة.

٥ - جمعية الإخوان التعاونية : أسسها شباب الإخوان في فرع الأعظمية، كانت تجهز المشتركين فيها بكافة الحاجيات من مواد غذائية وقرطاسية وملابس جاهزة وغيرها، وكانت الجماعة تستفيد من الأرباح في أنشطتها.

٦ - مديرية الأوقاف العامة : التي كانت تقدم مساعدات رمزية للجمعيات الإسلامية والخيرية، ومن ضمنها جمعية الأخوة الإسلامية، وكانت الإعانة في حدود (٢٠٠) ديناراً سنوياً، وهذا المبلغ في ذلك الوقت كان له بعض قيمة.

• النشاطات السياسية للإخوان في العراق :

١ - المواقف الداخلية :

الإخوان المسلمون، لا يؤمنون بالسياسة بمعناها الميكافيلي وهو الغاية تبرر الوسيلة، وإنما يفهمون السياسة بمعنى الاهتمام بشؤون الأمة الإسلامية في مناحي الحياة كافة. وهذه السياسة تسمى في الشريعة الإسلامية بالسياسة الشرعية، التي يجب على كل مسلم أن يهتم بها، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بقدر ما يستطيع وفي إطار ما تسمح به الظروف، من أجل درء المفسدة عن الأمة وجلب المصلحة لها.

الإخوان المسلمون في العراق

وعلماء الإسلام في الزمن الأخير عزاوا أنفسهم عن الحياة، ولم يتدخلوا في شؤون الأمة، مكتفين بتدريس كتب العلوم اللغوية والنقلية والعقائدية حاصرين أنفسهم في المساجد، مما أحدث شروخاً كبيراً في حياة الأمة. وكان ذلك تمهيداً لما سمي فيما بعد (فصل الدين عن الدولة) أو (فصل الدين عن السياسة) نقلياً لأوروبا النصرانية. ولما أراد الإمام الشهيد إعادة التوازن إلى الحياة الإسلامية قال: في الأصول العشرين:

الأصل الأول: (الإسلام نظام شامل لمظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عبادة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء)^(١).

ومن هذا المنطلق نجد الأستاذ الصواف ينزل إلى الميدان بجبته وعباءته ويتقود مظاهرة ضخمة للاحتجاج على معاهدة (بورتسموث) البريطانية الظالمة ويدعو إلى إلغائها، لأنها كانت تقيد العراق وتربطه بعجلة الاستعمار الإنجليزي مرة أخرى. وفي عام ١٩٤٨ م، أخرج الصواف طلبته من كلية الشريعة وقادهم مع مدارس الأعظمية ودار المعلمين الابتدائية، فتوجهوا جميعاً إلى البلاط الملكي، فخرج الوصي عبدالإله بنفسه، فسمع الجماهير تنادي الصواف يمثلنا، فتأدى عليه، فبين له الصواف أن مطالب الشعب المسلم تتركز في الجهاد في فلسطين.

فقال عبدالإله: سيكون ذلك. ثم خرجت الجماهير إلى مقر مجلس الوزراء في السراي، فلم يخرج إليهم صالح جبر رئيس الوزراء، وطلب من الشرطة تفريقهم بمسيلات الدموع، فبدأت الجماهير تنادي بإلغاء المعاهدة، والجهاد في سبيل إنقاذ

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، طبعة دار الدعوة الشرعية، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ص: ٣١٩.

فلسطين من اليهود، ثم فرقت المظاهرة بالهراوات ثم الرصاص^(١)، وعندما تجمعت الجماهير على جسر الشهداء، نزل عليها وابل من الرصاص من مثذنة جامع الأصفية، فأدى ذلك إلى قتل وجرح عدد من المتظاهرين، وسمي الجسر منذ ذلك اليوم (بجسر الشهداء) لهذا الإعتداء على الجماهير عليه.

وكان الإخوان يقيمون أحياناً دعوة لنواب المجلس النيابي، لاسيما المعارضين منهم، يشجعونهم على الاهتمام بقضايا الأمة السياسية في ظل المعالجات الإسلامية، ويدعونهم للوقوف أمام مؤامرات الأعداء للسيطرة على مقدرات العراق.

وكان في كل مرة، يلقي العلامة الزهاوي كلمته ويخطب الصواف^(٢). وكان الشيخ الزهاوي والأستاذ الصواف يذهبان إلى البلاط الملكي لمقابلة الملك أو مجلس الوزراء لمقابلة رئيس الوزراء، كلما حزب الأمة أمر خطير، أو نزلت بها كارثة، سواء في العراق، أم في خارج العراق، ولم تكن في تلك المقابلات مداراة أو مجاملة، بل يصل أحياناً إلى درجة التأنيب. وكان الجميع يحترمون الشيخ الزهاوي احتراماً كبيراً، ويستمعون إليه، لما رأوا فيه من العلم الغزير، والإيمان العميق الخاشع والزهد المنقطع النظير^(٣)، ويهابون الصواف لما وجدوا فيه من الصراحة والشجاعة والقدرة على قيادة الجماهير.

ولقد سألت الذين قابلتهم من الإخوان القدماء عن هذه المقابلات فذكروا أن كل من كان يعيش قريباً من ذلك الوقت من الشيخ الزهاوي والأستاذ الصواف، ويذهب معها إلى هذه المقابلات، كان يعلم بمدى الصراحة التي كان يمتلكها الشيخان الفاضلان الداعيان إلى دين الله سبحانه وتعالى.

(١) مقابلي مع إبراهيم منير المدرس الذي كان حاضراً في هذه المظاهرة.

(٢) مجلة (الأخوة الإسلامية)، عدد ١٠، ١٧ رجب ١٣٧٢ هـ الموافق ٣ نيسان ١٩٥٣ م.

(٣) راجع كتاب (عالم العراقيين)، للأستاذ كاظم المشايخي.

ففي يوم تتويج الملك فيصل الثاني عام ١٩٥٣ م، دعي الشيخ الصواف وضييفه العلامة الجزائري المجاهد محمد البشير الإبراهيمي إلى حضور الاحتفال في حدائق قصر الرحاب، وعندما بدأوا بتقديم كؤوس الخمر على الحاضرين دون أدنى مراعاة لوجود علماء الإسلام، قام الأستاذ الصواف والشيخ الإبراهيمي أمام الناس، محتجين، وتركوا الاحتفال.

وفي صباح اليوم التالي، قصد الصواف البلاط الملكي وواجه (تحسين قدري) رئيس التشريفات الملكية، ورفع احتجاجه على ما جرى بالأمس، وذكره أن ملكة بريطانيا قد توجت قبل ذلك بأيام في الكنيسة ووضع التاج على رأسها رئيس أساقفة كتربري. وقال لهم: (فهلا فعلتم مثل هذا أو أقل منه وأنتم مسلمون، وتتوجون ملكاً هاشمياً من سلالة النبي ﷺ، فلماذا لا تذهبون به ليصلي الجمعة مع المسلمين في جامع والناس تراه وتقتدي به وتبهج بمرآه) (١).

وأراد الصواف أن يقوم بواجب توجيه هذا الملك الشاب الذي كان بحبه العراقيون باعتبار أنه نشأ يتيماً وباعتبار أن أياه الشاب الملك غازي قتله الإنجليز كما هو شائع عند العراقيين في مؤامرة دنيئة معروفة عندهم جميعاً، فكان يزوره ويحدثه عن مستقبل العراق، ويحذره من الطغمة السياسية الفاسدة، ويشرح له رسالة الإسلام ويبين له أن الشيوعيين من أساتذة الجامعة يطعنون في رسول الله ﷺ ويقوم آخرون الدعوة المباشرة والعلنية إلى الإلحاد، وكان الصواف يلاحظ التأثير بهذه النصائح، ولكنه يقول: (ما كان بوسعهم أن يفعل شيئاً على الرغم من المذكرات الكثيرة التي قدمناها له لأن خاله عبداً للإله من ورائه لا يسمح له بأية حركة) (٢).

وأما نوري السعيد، السياسي العراقي الأول، فقد صارحه الصواف، ونصحه،

(١) من سجل ذكرياتي، ص: ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢١٠-٢١٣.

ورفع له المذكرات، واجتمع معه اجتماعات طويلة، تارة وحده، وتارة مع الشيخ الزهاوي، وتارة مع مجموعات من العلماء، وكانوا يحملونه ما وصل إليه العراق من التردّي في أوضاعه^(١).

وعندما عقد نوري السعيد اجتماعاً خطيراً في قاعة الملك فيصل الثاني (الشعب الآن)، دعا إليه رجال الدولة من مدنيين وعسكريين ومجلس النواب والأعيان والوزراء والكبراء، وكان الأستاذ مدعوا في هذا الاجتماع باعتباره يمثل التيار الإسلامي في العراق، فلما انتهى نوري السعيد من محاضرتة، استأذن الأستاذ الصواف ليناقشه فأذن له. فناقشه في أحوال العراق، وخطر الشيوعية، ومما قاله له: (يا فخامة الرئيس: إن روسيا لوححت بالرغيف، فتسارع إليها المتسارعون وغررت بشبابنا ورجالنا، فماذا صنعتكم أنتم ونحن لسنا في حاجة إلى مشروع يأتينا من خارج بلادنا، فما نحن ومشروع مارشال، إتنا بحاجة إلى حركة إصلاحية جذرية تقوم على العدل والمساواة بين الناس والتي أمر بها الإسلام، كما أمر الإسلام بالتكافل الاجتماعي، فهل صنعنا شيئاً من هذا لتبعد الشيوعية ونطردها من محيطنا).

إن الذي يهزم الشيوعية إنما هو الإسلام الذي يقوم على العدل والقسطاس المستقيم، فهل رجعنا إلى الإسلام أم أن الإسلام مازال غريباً في بلادنا المسلمة؟^(٢). وأراد نوري السعيد أن يستغل الصواف وعلاقته الإسلامية بالدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سوريا يومئذ)، لكي يدعو إلى اتحاد سوريا مع العراق تحت التاج الهاشمي، وقابل الصواف أكثر من ساعة، غير أن الصواف رفض العرض المغربي الذي عرض عليه^(٣).

(١) المصدر السابق، ص: ٢١٣ و ٢١٤.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢١٦.

(٣) المصدر السابق، ص: ٢١٨ و ٢١٩.

وأما مجلات الإخوان وجرائدهم، فقد كانت تنشر فيها مقالات سياسية قوية، تبين مواقف الإخوان يومئذ من سياسات حكومات العهد المالكى تنقل هنا فقرات وردت في مقال افتتاحي في جريدة (الحساب) التي كان رئيس تحريرها المحامي ثابت السعودي ومدير التحرير والإدارة فيها الأستاذ المحامي محمد سالم زيدان، وكان يومئذ عضواً في اللجنة المركزية، وهو الذي كتب ما يأتي: (لم يتذوق العراق طيلة الحكم الوطني طعم الحياة الدستورية الصحيحة، ولا عجب في ذلك يدرك الاستعمار ورجال الحكم الذين تربوا في أحضانه أن استقرار الحياة الدستورية وسيرها على قواعد ثابتة مستقرة مما يهدد مصالحهم الشخصية، ويتزع سيطرة الحكم من أيديهم ليضعها في أيد أمينة مخلصه حائزة لثقة الشعب، تسير بالأمة قدماً نحو الحرية والاستقلال والحكم الدستوري الصالح الذي يوزع الثروة القومية بالقسطاس المستقيم، فيقضي على الفوارق الطبقية ويبين الضمان والتكافل الاجتماعي، حتى تأخذ الأمة المكان اللائق بين المجموعة الدولية، فتشارك في بناء السلم العالي وتعمل على تخفيف آلام الإنسانية المعذبة، وتشارك في بناء الحضارة. وقد قدر للعراق أن تصبح مقدراته بأيدي طغمة لم يعرفوا معنى الدستور، ولا الحياة البرلمانية الصحيحة.

وكيف يفهمون هذه المعاني السامية من الحياة، إن لم يكونوا قد تربوا في أحضانها في صباهم وشبابهم، فيؤمنوا بها كعقيدة تختلط في دمائهم وتستقر في قلوبهم، ولكن أنى هؤلاء أن يفقهوا ذلك.

وقد تخرجوا من المدرسة العسكرية الرشدية ثم لحقوا بالنبي ولورنس، فأعمى عيونهم الذهب الوهاج، ثم جاء بهم الإنجليز ليحكموا العراق بهذه العقلية الاستعمارية الجامدة ليقال لهم سادة وحكام^(١).

(١) مجلة (الأخوة الإسلامية)، عدد ٤، السنة الأولى، ٢٠ شعبان ١٣٧٣ هـ الموافق ٢٤ نيسان

ومن منطلق محاربة الإخوان للأحلاف الاستعمارية، أفتى الشيخ العلامة الزهاوي والشيخ الصواف ببطلان الأحلاف الاستعمارية، لأنها نوع من الاستعمار السياسي الاقتصادي والاجتماعي^(١)، وقاوم الإخوان فكرة حلف بغداد منذ إنشائه والذي ضم (تركيا - العراق - باكستان - إيران - بريطانيا) وفضحوا أغراضه الاستعمارية وخطره على وحدة العرب والمسلمين.

وقد دعت قيادة الإخوان في العراق إلى اجتماع لرجال السياسة في العراق، ورفعوا ثلاث عرائض إلى الملك فيصل الثاني، وقعها قادة الجماعة مع زعماء الأحزاب القومية والوطنية. وعندما وصل الرئيس الباكستاني غلام اسكندر ميرزا إلى بغداد، زاره الشيخ الزهاوي والأستاذ الصواف وعاتباه على دخول باكستان في حلف بغداد الاستعماري، فأجاب (نحن دخلنا في حلف بغداد بسبب ضعفنا)^(٢).

٢ - المواقف الخارجية :

لم يشغل قضية من القضايا جماعة الإخوان المسلمين، بعد الدعوة إلى تحكيم شريعة الله كقضية فلسطين. فقد عدوها قضية القضايا، ينافحون عنها، ويناضلون في سبيلها ويجاهدون بدمائهم من أجلها^(٣).

ولذلك فقد اهتم الإخوان في العراق بهذه القضية اهتماماً كبيراً. فهم قادوا أول مظاهرة في تاريخ أرييل في سبيلها، ودعوا الحكومة إلى فتح باب التطوع، فتطوع الكثير كما مرّ بنا. وهم قادوا مظاهرات ضخمة بقيادة الأستاذ الصواف استغرقت سبعة أيام كان يتحدث فيها بمعدل خمس ساعات في اليوم، يستنهض هم الناس من

(١) مجلة (الحساب)، عدد ٢، ص : ٤ و ٥.

(٢) مذكرات الأستاذ غانم حمودات، ص : ١٨.

(٣) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، كامل الشريف.

أجل الجهاد في سبيل إنقاذ فلسطين^(١).

ولم يكتف الإخوان بمجرد الكلام وإنما خططوا لتكوين جمعية باسم (جمعية إنقاذ فلسطين) بعد أن اجتمع الشيخ الزهاوي والشيخ الصواف والأستاذ طه الفياض صاحب جريدة السجل في دار الأستاذ عبدالرحمن خضر المحامي، فقرروا توجيه دعوة لرجال المجتمع والسياسة والعسكر، فاجتمعوا وقدموا طلباً إلى الدولة لتشكيل تلك الجمعية، وبعد الموافقة اجتمعت الهيئة التأسيسية مرة أخرى، فانتخب العلامة الزهاوي رئيساً للجمعية والفريق الركن حسين فوزي باشا نائباً للرئيس والمحامي عبدالرحمن خضر محاسباً للجمعية والأستاذ محمد محمود الصواف أميناً عاماً. ثم شكلت اللجنة العسكرية برئاسة اللواء الركن إبراهيم باشا الراوي.

وبسرعة قررت اللجنة إرسال المتطوعين إلى الجهاد في فلسطين وأقبل الشعب العراقي إقبالاً منقطع النظير وتدفق الشباب وتسابقت الوفود إلى مقر الجمعية في باب المعظم يريد الانخراط في سلك الجهاد الأكبر^(٢).

وبدأ الصواف يخطب في المساجد خطابات نارية حماسية، يدعو المسلمين إلى التبرع بالغالي والنفيس من أجل فلسطين والمسجد الأقصى.

وبدأت الأموال تنهال على اللجنة من الرجال والنساء، حتى شكلوا ثلاثة أفواج (فوج القادسية) و (فوج اليرموك) و (فوج الحسين) جهزت بالمستلزمات الواجبة للمجاهدين، كل ذلك في أقل من شهر، وأرسلت الأفواج تبعاً إلى معسكر قطنة في دمشق، بين حماس الجماهير الحاشدة المباركة، وتهليلات المؤمنين والمؤمنات بالنصر المبين. ثم قررت الجمعية إرسال الصواف إلى ميادين المعارك، مسافراً أولاً إلى جنوب لبنان ثم نابلس وطولكرم وقلقيلية للالتحاق بالجيش العراقي والتنسيق مع قادته،

(١) من سجل ذكرياتي، ص: ١١٢.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٧٤.

فخطب خطاباً حماسياً في الفوج الذي كان يقوده الرجل المؤمن عمر علي ودعاهم إلى الثأر والجهاد. وبعد الخيانات المكشوفة التي حصلت من عدد من الحكومات العربية يومئذ، وعدم السماح للمجاهدين الفلسطينيين والعراقيين والسوريين والمصريين من الإخوان وغيرهم بالقتال، انكشفت الجريمة، وتمكنت العصابات اليهودية بالبقاء ليشكلوا دولة مغتصبة ظالمة من خلال فرقة العرب ومناصرة الدول الاستعمارية^(١). ويروي الشيخ الصواف في سجل ذكرياته ما رأى من خيانات وإهمال مقصود للمجاهدين، وعدم وجود إرادة القتال عند قادة معظم الجيوش العربية خلا الجيش العراقي الذي كان يقود قطعاته قادة مؤمنون من أمثال اللواء الركن مصطفى راغب والعقيد الركن (يومئذ) عمر علي بطل معركة جنين^(٢).

وبعد سنوات الهدنة المزعومة مع اليهود من سنوات الخمسينيات، لم يهدأ الصواف وإخوانه، فكان يتصل في كل سنة قبل موسم الشتاء بأغنياء بغداد الكبار ويحرك فيهم النخوة لنجدة إخوانهم اللاجئين الفلسطينيين، فكان يجمع المواد الغذائية والتمور والبطانيات، فيذهب بها هو ويوزعها على مخيمات اللاجئين^(٣).

وكم مرة رأيت بأم عيني السيارات الكبيرة تقف أمام جمعية إنقاذ فلسطين، وهي تنهياً محملة بتلك المواد للتوجه إلى مدن الضفة الغربية ومخيمات اللاجئين. وكان الشيخ الصواف حركة دائبة لا تفر من أجل قضية فلسطين. فعندما عقد مؤتمر القدس الأول في عام ١٩٥٤م، كان هو لولب المؤتمر، حيث حضر فيه كبار رجالات فلسطين والعالم الإسلامي كله.

وهذا المؤتمر دعت إلى عقده جمعية إنقاذ فلسطين ووقع بطاقات الدعوة العلامة

(١) من سجل ذكرياتي، ص: ١٧٧-٢٠٠.

(٢) من سجل ذكرياتي، ص: ١٩٨-٢٠٠.

(٣) المصدر السابق، ص: ٣١٣.

المجاهد أجد الزهاوي - طيب الله ثراه - ولم يهمل الإخوان مناطق النعاه الإسلامي، فعند قيام باكستان عام ١٩٤٩ م، شكلوا وفداً من العلامة الزهاوي والشيخ الصواف والمحامي عبدالرحمن خضر والأستاذ طه الفياض للتوجه إلى باكستان وحضور المؤتمر الإسلامي الأول هناك، وتقوية معنويات الشعب المسلم الباكستاني في إسلامه والتمسك بشريعته^(١).

وأما موقف الإخوان من ثورة الجزائر، فكان موقف التأيد المطلق والعمل الدؤوب، وكان الإخوان يخطبون في المساجد والحفلات العامة في الجامعات ويعرفون الناس بقضية الجزائر ويجمعون الأموال فيحولونها إلى صك فيقدمونه في كل مرة إلى مثل الثورة الجزائرية في بغداد.

وعندما تعرضت أرض مصر للعدوان الثلاثي اليهودي الفرنسي الإنجليزي، هب الشيخ الزهاوي والأستاذ الصواف لتلبية الدعوة التي تلقاها من السيد سليمان النابلسي والدكتور معروف الدواليبي لحضور المؤتمر العربي الكبير الذي عقد في دمشق، حضره زعماء الأحزاب السياسية والإسلامية، وكانت مظاهرة سياسية كبيرة وقفت إلى جانب مصر بكل الوسائل التي تملكها.

يقول الصواف : (لقد حضرنا هذا المؤتمر وتناسينا كل ما بيننا وبين عبدالناصر من خلاف، فالقضية ليست قضية شخص أو حاكم، وإنما هي قضية شعب عزيز وأمة كريمة رائدة هي مصر)^(٢).

وقبل السفر وقف الصواف في مسجد الإمام الأعظم وألقى خطاباً حماسياً هيج الجماهير لمناصرة شعب مصر^(٣).

(١) المصدر السابق، ص: ٣٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٢٥.

(٣) المصدر السابق، ص: ٢٢٦.

الإخوان المسلمون في العراق

ولم يكتف الصواف بذلك بل أجرى مقابلات مع رجال السياسة والعاملين في الحقل العام، وقدم الإخوان ومعهم آخرون المرائض الاحتجاجية والبرقيات إلى الملك فيصل الثاني تستنكر موقف الحكومة العراقية يومئذ من العدوان الثلاثي الخطير^(١).

يقول الصواف: (لقد دعانا بعض رجال الأحزاب للاجتماع صبح يوم الجمعة المبكر بدار أحد الإخوة من قادة حزب الاستقلال الكائنة في رأس الخواش في الأعظمية. وحضر بالفعل مندوبون كبار من المسؤولين في حزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي وبعض المستقلين من القوميين وكنت أنا ممثلاً للحركة الإسلامية. كما أحاط بالدار التي تجمع بها لا أقول العشرات بل ربما المئات من الشباب المتحمس ينتظرون قراراً للقادة بالتنفيذ، ولقد طالت المناقشة بيننا واختلفنا في أمرهم.

لقد اقترحوا أن نصدر قراراً بالإجماع للقيام بمظاهرة كبرى يقوم بها الشعب العراقي في هذا اليوم، بعد صلاة الجمعة، أما أنا فقد طالبتهم بكل صراحة أن نتقدم نحن جميعاً في صفوف المظاهرة لتكون أقوى وأجدي، وعرضت عليهم وقلت لهم: أنني بنفسني أتولى الخطبة من منبر مسجدنا الكبير مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه الله - ، بعد صلاة الجمعة مباشرة، وهو أكبر مساجدنا في بغداد، ورجال الأعظمية رجال وطنية وإيمان، ولكي نخرج بعد الخطبة الحماسية، فقد وجهنا الدعوة الصريحة للمظاهرة أنا وشباب الدعوة الإسلامية وسيخرج معنا القادة ورجال الأحزاب والحركات الوطنية يتقدمون الصفوف بمظاهرة سلمية كبيرة، سوف يتبعنا الشعب إذا رأوا إقدامنا وقيادتنا لهذه المظاهرة، ولا يجوز لنا أن نتركهم وحدهم ونحن نجلس في بيوتنا وإذا رأت الحكومة هذا الاجتماع، لا بد أن تحترمه وتحسب له حسابه ولا يمكن أن تستعمل القوة أمام هذا

(١) المصدر السابق، ص: ٢٢٥.

الاجتماع الشعبي من جميع الأحزاب والهيئات.

أما لو تركنا الشباب وحدهم فربما تنعكس الآية ويصبح شبابنا فريسة لنيران الشرطة، أو طمعاً سائغاً للسجون والمعتقلات، ويؤسفني أن أقول بعد جدل طويل رفض الأخوة فكرتي واقتراحي، وأبوا أن يخرجوا في المظاهرة ويتقدموها، وخرجنا على غير اتفاق وكانت هذه النتيجة المؤسسة صدمة عنيفة للشباب الذين كانوا ينتظرون على أحر من الجمر، وألغيت المظاهرة، ولكن العمل بالطرق الأخرى لمناصرة مصر استمر ولم ينقطع والحمد لله^(١).

ولما قامت الوحدة بين مصر وسوريا، فرح الإخوان في العراق بذلك، وأرسل الأستاذ الصواف تعليقات إلى إخوان العراق كافة بالدعوة إلى دخول العراق الوحدة مع مصر وسورية، من أجل تقوية وحدة العرب وإنقاذ العراق من الوقوع في قبضة الشيوعيين ثم الإتحاد السوفيتي^(٢).

موقف الحكومات الملكية من الإخوان :

لقد كانت الحكومات المتعاقبة في العهد الملكي تتوجس من النشاط الإخواني وتضع العراقيل المتنوعة أمامه. ومنها أنه في عام ١٩٤٩ م، شددت الحكومة الرقابة على الإخوان بسبب احتدام الصراع بين النظام الملكي في مصر وبين الإخوان المسلمين بعد قتل أحد أفرادهم (من دون علم القيادة) لرئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي^(٣)، أثر قيامه بعقد معاهدة مع الإنجليز عدها الإخوان مذلة وغير متكافئة، ثم قيام المخابرات المصرية بتوجيه مباشر من الملك الفاروق ورئيس وزرائه إبراهيم

(١) المصدر السابق، ص : ٢٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص : ٢٢٦.

(٣) الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ، ج ٢، ص : ٣٢ و ٦٥ وما بعدها.

الإخوان المسلمون في العراق

عبد الهادي بقتل المرحوم الإمام حسن البنا، وقد فتحت السجون في مصر أبوابها لاستقبال مئات من الشباب المسلم المجاهد في فلسطين، وبقى من بقي منهم خارج مصر، وكان من بينهم المرحوم سعيد رمضان صهر الإمام البنا، وهو من الشخصيات المعروفة بين الإخوان.

يقول الأستاذ عبد الكريم الوهاب : (وقد قمنا له بالواجب كأخ عزيز حل بين ظهرائنا على الرحب والسعة، وكان يحمل في جعبته صورة منشورة يشرح فيه واقع ما كان يجري في مصر من ظلم وتعسف ضد الإخوان من لدن السلطة المصرية. وقد طلب طبعه وتوزيعه في العراق، لغرض وقوف العراقيين على واقع الحال، وتطوعت مع بعض الإخوان على توزيعه، ولما كان النظام الملكي في العراق على وفاق مع النظام الملكي في مصر، فقد استشاط المسؤولون في العراق غضباً على ما جاء بهذا المنشور، وأوعزوا بجمعه وإتلافه، وتوقيف من قام بطبعه وتوزيعه فوراً، وكنت ممن ألقى القبض عليه في شارع الرشيد قرب سينما الحمراء)^(١).

ولقد مر أنه بعد رجوع الأستاذ الصواف إلى العراق انطلق بالدعوة الإسلامية إلى الإمام وقاد مظاهرات صاخبة في الشوارع لأيام عدة وألقى خطابات حماسية مستمرة، هابه الحكام، وهابوا الإخوان وأخذوا الحذر منهم، حتى أن رئيس التشريفات الملكية تحسين قدرى قال للصواف : لماذا يخافك الحكام؟

فأجاب الصواف : ما لهم ومادهاهم فأنا لا أملك سلاحاً ولا أريد أن أحارب أحداً، أنا أريد لكم الخير وأدعوكم إلى الله، وهل أنتم بعيدون عن الله حتى تحاربوا الفكر الإسلامي؟ أنتم مخطئون سيروا على هذا المنهاج والله يرفعكم ويحفظكم ونحن سنكون لكم جنوداً مخلصين، لا ننازعكم في الحكم بل نريد حكم الله وتحكيم شرعه

(١) مقابلي السابقة معه.

العظيم وهو لكم ضمان وأمان^(١).

ولقد اعتقل الصواف بسبب قيادته لهذه المظاهرات، إذ ادخله نوري السعيد السجن ولم يخرج إلا بعد أن حصلت ضجة من بعض النواب بعد خمسة أشهر من السجن. وكان أن اعتقل مرة أخرى بسبب ذهابه إلى البصرة وأبي الخصيب وإلقائه الخطاب الحماسية لإيقاظ المسلمين للدفاع عن فلسطين، وكان من خلال خطابه يتعرض بحكام النظام الملكي وتهاونهم وبعض حكام العرب يومئذ لقضية فلسطين. ولذلك صدر أمر وزير الداخلية في وزارة صالح جبر بإلقاء القبض عليه وتسفيره إلى بغداد، وفي الليلة نفسها سقطت وزارة صالح جبر، وألغى أمر الاعتقال، وبدل أن يذهب الصواف إلى السجن أتى إليه الجمهور، وأخذوه ليلقي خطاباً مؤثراً في أثناء المظاهرات التي طالبت بسقوط صالح جبر^(٢).

وأخيراً وبعد أن منعت وزارة نوري السعيد المرشد العام للإخوان المسلمين من دخول العراق من سوريا، غضب الإخوان ونشر شاعرهم الأستاذ وليد عبد الكريم الأعظمي العبيدي قصيدته النارية ضد نوري السعيد وحكام العراق يومئذ (قالوا زيارة شيخ) افتتحها بقوله :

همزيتي يا أبا الإخوان عصماء ما خانني ألف فيها ولا ياء
ومنها :

يا مرشدي هذه بغداد قد عصفت قوى الفساد بها واستفحل الداء
هبت عليها أعاصير معدة لم ينجُ منهن أموات وأحياء
تلاطمت لجج الفوضى بها ففدت كأنها عن معاني العز جرداء
وكيف تنمو معاني العز في بلد إن كان يحكمه قوم أذلاء

(١) من سجل ذكرياتي، ص : ١١٥.

(٢) المصدر السابق، ص : ١٨٤.

ومنها :

قالوا زيارة شيخ لا تقدمنا وليس فيها لنا نفع وارضاء

ثم يقول :

يا قائد الدعوة الكبرى ولولبها القلب أنت وباقى الناس أعضاء
ضاقت عليك بلاد أنت تخدمها يا مرشدي هي للأعداء فيحاء
قد أعلنوا متعكم جهراً بلا خجل وكيف نخجل بالإفساد مشاء
لو أم كلثوم زارتهم لكنت نرى لها تقام احتفالات وضوضاء
ظنوا بمنعك تمزيقاً لوحدتنا خابوا ففي منعكم للشوق إبقاء
ونحن في كل يوم نلتقي معكم في ورد رابطة ما مرّ إمساء
فصدر الأمر بتعطيل مجلة (الأخوة الإسلامية) وحل الجماعة ونقل أملاكها المنقولة
وغير المنقولة إلى جمعية التربية بقرار صادر بتوقيع نوري السعيد رئيس الوزراء في
١٩٥٤/٨/٩ م.

وفي سنة ١٩٥٨ م حلت الحكومة العراقية مجلس النواب لكثرة نواب المعارضة فيه
من المتتمين للأحزاب السياسية، ودعت إلى انتخابات جديدة في آخر العهد الملكي،
وعينت لها يوم ١٩٥٨/٥/٥ م موعداً لأجلها.

وقررت اللجنة المركزية لجماعة الإخوان المسلمين ترشيح المراقب العام الأستاذ
الصواف لهذه الانتخابات عن بلدته الموصل، بعد أن رشحته رابطة العلماء في العراق
ووجهت نداء إلى جمهور الموصل تدعوه فيه إلى مساندة الصواف الذي سيكون صوتاً
للإسلام في داخل البرلمان يعارض التشريعات المخالفة للإسلام، وينبه المسؤولين
إلى بيان حكم الإسلام في كل أمر من الأمور ويدعو إلى إصلاح الأوضاع الفاسدة
في البلاد. ووقع البيان عن الرابطة ثلاثة من أكابر العلماء المخلصين المعروفين لدى
الناس وهم العلامة الفقيه الزاهد الشيخ أجد الزهاوي والعلامة الكبير الشيخ محمد

القرنجي والعلامة الجليل الشيخ محمد فؤاد الألوسي، حفيد أبي الثناء الألوسي صاحب تفسير روح المعاني.

وفي يوم الانتخاب اندفع أهل الموصل الأشارس لتأييد شيخهم الصواف غير أنه رأوا العجب العجيب، لقد صدتهم الشرطة عن الصناديق وأدخلوا مؤيدي مرشح الحكومة، وعبأوا الصناديق بالأوراق المزورة، فسقط الصواف، ونجح ممثل الحكومة^(١). وعلى أثر ذلك نشر الصواف بياناً حاسماً قوياً، ووزعه الإخوان على الشعب، يكشف فيه التزييف الذي حدث في الانتخابات، ويهاجم الحكومة ويتهمها بالخيانة ومخالفة الأجني الكافر، فاستدعاه وزير الداخلية سعيد قزاز يومئذ، وعاتبه على هجومه العنيف على الحكومة، ثم قال له : لا بد من تقديم هذا البيان إلى المحاكم. وقدمت هذه الأوراق إلى المحكمة، فتأخرت المحاكمة إلى أن قامت ثورة ١٤ تموز، ومن المضحك أن أعداء الصواف أرادوا أن يواصلوا المحاكمة في الموصل حتى بعد الثورة، ولكن جاءهم من ينصحهم ويقول : عيب .. عيب، لا تفضحوا أنفسكم فكفوا وأغلقوا الدعوى^(٢).

وأذكر هنا أنني كنت طالباً يومئذ في الصف الرابع من دار المعلمين العالية، وكان الطلبة الشيوعيون يهاجمون الصواف ويقولون هو عميل نوري السعيد، فسينجح في الانتخابات، ولكن نتيجة الانتخاب جاءت لطمه قوية لأحقادهم وأكاذيبهم في هذا الرجل النظيف.

وأذكر أيضاً أن هذه الحادثة قد أثرت على عدد من الإخوان، بحيث تأثروا بالدعايات الشيوعية واللا دينية ضد ترشيح الصواف، واحتجوا على اشتراك المراقب العام في هذه الانتخابات في الوقت الذي قاطعته الأحزاب السياسية، وأدى ذلك إلى

(١) من سجل ذكرياتي، ص : ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص : ٢٣٧.

فصلهم من الجماعة، لخروجهم على إجماع إخوانهم، وسلوكهم غير الموافق لفقه العمل الجماعي، ولعدم اكتفائهم بالمعارضة البناءة وعرض آرائهم فحسب.

أسلوب عمل الإخوان في فترة الحكم الملكي :

الخبر بحركة الإخوان في العهد الملكي، من الذين تتبعوا الأحداث السياسية والاجتماعية أو من الذين احتكوا بهم، أنهم عندما نزلوا إلى الميدان، لم يكن قصدهم التخطيط لتسلم، الحكم كباقي الأحزاب السياسية، وإنما كان غرضهم الأول تربية المجتمع تربية إسلامية صحيحة، وتثقيف أبنائه بثقافة إسلامية رصينة واعية، كي تحول بينهم وبين الوقوع في الانحراف العقيدي والتغريب الثقافي والاستسلام للجوانب الخرافية من ثقافات القرون المتأخرة الدخيلة. ولذلك كانت مواجهة الإخوان للشيوعية التي سبقتهم في العمل في المجتمع العراقي بأكثر من عقد من الزمن^(١)، مواجهة حاسمة لا هوادة فيها، لأن صراعهم مع الشيوعية كان صراعاً عقدياً، فالفكر الشيوعي المادي يصطدم مع الإسلام عقيدة وشرعية وسلوكاً، اصطداماً أساسياً وجوهرياً.

ولذلك فالشيوعيون من أول يوم من ظهور الإخوان حاربوهم محاربة شديدة، بمختلف الأساليب اللا أخلاقية المعروفة عندهم، تارة باتهامهم بالرجعية، وأخرى بالعمالة للأجنبي، وثالثة بالهجوم على الإسلام مباشرة عبر صحفهم السرية ومن ثم صحفهم العلنية فيما بعد.

وقد عشت في اتون هذا الصراع المرير مع الشيوعية مع إخواني أربع سنوات في دار المعلمين العالية، وسمعتنا من التزوير والافتراء وعداوة الإسلام والمسلمين ما تقشعر له الأبدان.

(١) راجع كتاب (العراق - الحزب الشيوعي)، لحنا بطاطو، ج ٢، ص : ٩٣ وما بعدها.

يقول الأستاذ الصواف : (فالحركة الشيوعية نمت في العراق وترعرعت بتوجيه دولي في الوقت الذي كنا نعيش فيه على تبرعات الأطفال وعلى فتات التبرعات من بعض الأغنياء الذين لم يقصروا في تأييد دعوتنا والحمد لله. أما هم فكان يأتيهم الدعم من كل مكان خاصة من اليهود المجرمين المفسدين، وإن كان نوري السعيد - رحمه الله - قد ضربهم أخيراً وشنق رؤساء الحزب الشيوعي، ولكن هذا لا يكفي فالشيوعية لا تحارب بشتى الأفراد، إنها لا تحارب إلا بالفكر الإسلامي، وقد عرفوا هذه الحقيقة فحاربونا بكل ما أوتوا من قوة، بالشائعات والدسائس وتفريق الصفوف)^(١).

أما الفساد الأخلاقي والاجتماعي، فالإخوان حاولوا أن يذكروا المسلمين بجذور ذلك الفساد من نواحيه، ودعوا الحكام للقضاء عليه، بما كانوا يقترحون من حلول نابعة من الشريعة الإسلامية، وكان هذا الاتجاه بارزاً في خطاباتهم وكتبهم ورسائلهم وصحفهم، لاسيما التي كانت تصل من خارج العراق. وكانوا حريصين على أن يتابعوا ما يحصل في المجتمع : فمثلاً عندما أقام الشيوعيون واللادينيون أسبوع المرأة في عام ١٩٥٤ م، دعوا فيها المرأة إلى الاندماج مع الحياة الحضارية الغربية المعاصرة كالسفور والاختلاط وحرية السلوك والتمتع بمتع الحياة، ردة عليهم الإخوان بإقامة (أسبوع الفضيلة) عرضت فيها الأخوات المسلمات التشريعات الإسلامية حول المرأة التي أراد الله بها حفظ كرامة المرأة وعفافها وانضباطها بضوابط الأخلاق الإسلامية السليمة التي تحفظها من تقاليد المرأة الغربية في سلوكها الإباحي ونشر الفجور في الحياة الاجتماعية.

وقد قامت الإذاعة العراقية في حينه بنقل ما جرى في الأسبوعين، وكانت تلك الكلمات حديث الناس في المجتمعات العراقية يومئذ.

(١) من سجل ذكرياتي، ص : ١٤٨.

أما أسلوب الإخوان فكان في النصيح والإرشاد، وتذكير هؤلاء بأنهم مسلمون، غير أنهم لا يفهمون حقائق الإسلام، فلا بد من مراجعة مواقفهم. ولذلك نجد أن علاقة الأستاذ الصواف بالسياسيين القوميين والوطنيين كانت علاقة طيبة، وكانت تربط بينه وبين كثير من هؤلاء علاقة صداقة ومودة، كما ذكرها هو في سجل ذكرياته^(١).

فالإخوان رأوا أن هؤلاء يمكن التفاهم معهم طالما لا ينكرون أنهم مسلمون علماً أن جمعاً من هؤلاء كانوا شديدي الهجوم على الإخوان في مجالسهم ومنشوراتهم، لاسيما بعد الصدام الذي وقع بين جمال عبدالناصر عام ١٩٥٤م، وبين الإخوان في مصر، عندما أقدم على إعدام عدد من قادة الإخوان عبر محاكمات عسكرية صورية، عدت يومئذ في الأوساط العالمية والإسلامية القضائية، مهزلة من مهازل حكم العسكر في مصر. وعلى الرغم من موقف بعض العلماء من الأستاذ الصواف، عندما نزل إلى الميدان ودعا إلى إعادة الحياة الإسلامية واتصل بالشباب، فإنه كان متعاوناً وإيجابياً معهم إلى أقصى الحدود.

يقول الصواف: (ولا أريد أن استرسل في تعاوني مع جميع العاملين للإسلام، ولا أخص الإخوان المسلمين وحدهم.. بل أؤكد لكم أنني تعاونت مع كل عالم وعامل للإسلام وأحببت كل من ينطق بالحق، ويعمل للإسلام وودت أن أتعاون معه يداً بيد، وكنت لا أهتم سواء كنت في الصدر أو في المؤخرة ما دام العمل للإسلام، وقلت هذا لعلماؤنا وبعضهم كانوا يتأثرون.. أقول لهم تقدموا وأنا وراءكم جندي لا يخالفكم، واعملوا.. ودعونا نعمل للإسلام، إذا اتحدنا انتصرنا وقويتنا.. والبلد إسلامي، والإسلام عريق في القلوب والنفوس في العراق)^(٢).

وأما أسلوب الإخوان في توحيد المجتمع العراقي بقسميه؛ السنة والشيعة، فقد

(١) المصدر السابق، ص: ١٤٧.

(٢) من سجل ذكرياتي، ص: ١٣٧.

الإخوان المسلمون في العراق

كان أسلوب الدعوة إلى الأخوة الإسلامية، وتوحيد صفوف أهل القبلة، تجاه المخاطر التي كانت تحيط بالمجتمع الإسلامي عامة، والعراقي خاصة.

ولذلك رضي مجتهدو الشيعة بهذا الاتجاه وكتبوا رسائل إلى العلامة الشيخ أمجد الزهاوي والأستاذ الصواف يعرضون تعاونهم وتشجيعهم، ولم يتأثر الإخوان قط في منهجهم ودعوتهم بالقضايا الطائفية التي شجعها الاستعمار الإنجليزي منذ احتلاله أرض العراق عام ١٩١٧م^(١).

يقول الصواف : (وكنّا نتعاون مع علماء النجف الأشرف الكبار، وذهبت إلى النجف مع الشيخ أمجد عدة مرات للتعاون على نصرّة الإسلام، وخصوصاً عندما انطلقت الشيوعية وقاومت الثورة، وكانت صلاتنا أكبر، وكان الشيخ المجتهد الأكبر محسن الحكيم - رحمه الله -، وهو الإمام الكبير المقلد والمسؤول الكبير أصدر فتوى كبيرة في تكفير من اعتنق الشيوعية. وكنا كلّما اجتمعنا لأمر إسلامي كانوا معنا، وكذلك الشيخ محمد آل كاشف الغطاء - رحمه الله - من علماء النجف الكبار كانوا يؤيدوننا وارسلوا لي رسائل بعد أن أصدرت مجلة (الأخوة الإسلامية) يهتوني ويشكرون المجلة على اتجاهها الإسلامي الشامل الكامل الذي ارتضوه وارتضته جميع الفئات في العراق...) (٢).

ولاشك أن وجود الشيخ أمجد رأس علماء العراق مع الأستاذ الصواف، كان تزكية له ولجماعة الإخوان المسلمين، علماً أن الصواف نفسه كان شخصية نظيفة عاملة محبوبة. أما أسلوب الإخوان مع القوميات الأخرى، فكان أسلوب الدعوة إلى الأخوة الإسلامية الخالصة، وعدم إثارة النعرات القومية.

فالإخوان لا يؤمنون إلا بالإسلام طريقاً للحياة والارتباط بين القوميات

(١) المصدر السابق، ص : ١٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص : ١٣٤.

الإسلامية، ولذلك نجد أن حركة الإخوان انتشرت بين الأكراد والتركيات كما انتشرت بين العرب دون تمييز وفرقة، وقد يسأل القارئ اللبيب أخيراً، ماذا كان موقف الإخوان من أهل الأديان؟

نقول : كان موقفهم موقف الإسلام الذي يقول كتابه المبين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١).

نقول : هذه كتبهم ومجلاتهم وصحفهم، لم يتعرضوا بهم ، ولم يهاجموا أديانهم، وإنما اشغلوا أنفسهم بحل معضلات مأساة الإسلام والمسلمين في هذا العصر، في بلدتهم والعالم الإسلامي، فالإخوان ملتزمون في تصرفاتهم ومواقفهم بالكتاب والسنة، ولا تدفعهم الأحقاد النفسية وردود الفعل إلى اتخاذ مواقف متشنجة تجاه أهل الأديان الأخرى.

وكانت علاقة الإخوان بالأقباط في مصر وما زالت علاقة ودية، أما حملات التبشير الاستعمارية في العراق وفي بلاد الإسلام، فالإخوان قاوموها وفضحوا أهدافها في كتبهم ومجلاتهم وصحفهم. ولذلك نقرأ في أحد أعداد مجلة (الأخوة الإسلامية) في صيف عام ١٩٥٤ م، مقالاً بعنوان (رأس الأفعى في الأعظمية). فقد تحدث هذا المقال عن كلية الملك فيصل التبشيرية الأمريكية خلف بيت رشيد العالي الكيلاني في الأعظمية، ونبه عليه القوم من الوزراء والأغنياء والوجهاء بكون تلك الكلية التبشيرية، تربي أولادهم تربية أمريكية استعمارية، وتشككهم في دينهم والإخلاص لبلدتهم. وقد سمي فيما بعد بكلية بغداد ثم جامعة الحكمة، ثم عرقت والحمد لله، في بداية السبعينيات، ثم تحولت إلى معهد التكنولوجيا في الزعفرانية جنوبي بغداد.

وأما اعتراض الأستاذ الصواف على إذاعة قداس نصراني من التلفزيون، فكان

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٦.

بسبب أن الإذاعة لم تذع يومئذ خطبة جمعة للمسلمين وهم يمثلون ٩٧٪ في المائة من السكان، فهل يجوز إذاعة قداس نصراني لطائفة تشكل ٢٪ بالمائة من السكان، فالحقيقة كان الاعتراض بالدرجة الأولى على الدولة أكثر من الاعتراض على القداس، لأن الصواف قال لعبد الوهاب مرجان، رئيس الوزراء، لو نقلتم خطبة جمعة واحدة لكان لنا موقف آخر^(١)، علمًا أن ليس الصواف وحده استنكر النقل وإنما الاستنكار جاء من علماء آخرين في بغداد والنجف؛ للسبب نفسه.

الأخوات المسلمات في العراق :

ظلت المرأة المسلمة مهملة لقرون يفتك بها الجهل والأمية والعقلية الخرافية، ولذلك فإن نصف المجتمع كاد أن يخفق بسبب هذا الوضع المزري، زيادة على تخلف الرجال وأمية العوام منهم وعقليتهم المتخلفة مع العنجهية الفارغة في شؤون الأسرة والأولاد. فلما نزل الإخوان إلى الساحة أرادوا أن يعيدوا التوازن إلى المجتمع فثقفوا الرجال والنساء معاً على قدم المساواة، والمشكلة في العصر الأخير أن العقل العام في المجتمع قد أصابه التأخر والوهن والسقوط، والبعد عن مفاهيم الإسلام والتربية الإسلامية الصحيحة. وهنا فهم فكروا في فتح فرع لجمعية الأخوة الإسلامية باسم جمعية (الأخت المسلمة) في عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

جاء في أغراضها في المادة الثانية من نظام الجمعية :

- العمل على بث العقيدة الإسلامية الصحيحة في الأوساط النسائية.
- نشر التعاليم الإسلامية والدعوة إلى التمسك بها.
- تربية المرأة تربية إسلامية وتكوين البيت المسلم على أساس إسلامي متين.
- مكافحة التفرنج والتحلل الخلقي.

(١) من سجل ذكرياتي، ص: ١١٦.

وجاء في المادة الثانية ما يأتي : (تتوسل الجمعية لتحقيق أغراضها بما يأتي) :

١ - عقد الاجتماعات النسائية وإلقاء الدروس والمحاضرات الدينية والعلمية والتهدئية.

٢ - طبع الكتب والرسائل الدينية ونشرها بين الناس.

٣ - فتح الدورات الصيفية للتعليم والتهديب.

ولقد أجزت هذه الجمعية برئاسة الأستاذة الفاضلة نهال أمجد الزهاوي - رحمها الله تعالى - والتي تعلمت وتفقهت على والدها العلامة الزهاوي، وتربت في هذا البيت الطاهر، عاونتها نخبة من المؤمنات الفاضلات من أمثال الأخوات : فاطمة الباجه جي، وبهيرة الخوجة، وعدوية الشواف، وخيرية الزهاوي، وصفية الأطرقجي، وزهرة خضر، ونجية خضر، وأمنة شيخ العرب، وغيرهن، وكان عدد من هؤلاء يكتبن في صحف الإخوان.

وعندما بدأ بالعمل والاتصال من خلال نشاطات الجمعية، أثّر في كثير من المثقفات من طالبات الجامعة وغيرهن، وغدت الجمعية مقراً لاجتماع النساء في بغداد، وقد بنت الجماعة هن مقراً ثابتاً، ألحقت به قاعة المحاضرات، من مبالغ التبرعات من الرجال والنساء^(١). ولا شك أن محاضرات الأستاذ الصواف في بعض الثانويات ودار المعلميات كان لها دور كبير في إسناد عمل الجمعية.

وبعد مرور سنوات على العمل النسوي الإسلامي، وقع خلاف بين الأخوات في أسلوب العمل الإسلامي بين النساء، فانسحبت جماعة منهن وأسسن (متدى المرأة المسلمة) وبنين لها مقراً في أول شارع المغرب بقرب جمعية (الأخت المسلمة) ولكن دون مقاطعة أو تنازع بالألقاب وفجور في الخصومة.

(١) من سجل ذكرياتي، ص : ١٢٠.

إذ هناك متسع في العمل للجميع وبأساليب متنوعة، وأجر الكل على الله تعالى،
إذا خلصت النيات له وحده سبحانه وتعالى^(١).

• صحافة الإخوان في العراق في عهد الصواف :

لا شك أن الصحافة نافذة كبيرة وطريق خطير لنشر الدعوات والأفكار، ولم يكن
هنالك مجال لفتح تلك النافذة في العراق في الخمسينيات إلا المجلات والصحف
والنشر العام.

ومن هنا فقد فكر الإخوان في إنشاء شركة طباعة في بناية ملحقة بالمركز العام في
باب المعظم، سميت (الشركة الإسلامية للطباعة والنشر) واشترت لها المطبعة من
التبرعات، والتي شكلت فيما بعد مصدراً مالياً للجماعة.

• أما المجلات التي أسستها الجماعة فهي :

الأخوة الإسلامية :

* كان صاحبها ومنشؤها الأستاذ محمد محمود الصواف، ومديرها المسؤول كان
الأستاذ المحامي محمد سالم زيدان.

* صدر العدد الأول بقلم الأستاذ الصواف وفيه ما يأتي : فهذه مجلة الأخوة
الإسلامية، أقدمها للقراء الأعزاء، إسلامية المنهج، تدعو إلى الله، وتكشف عن
محاسن الإسلام ومزاياه، وترفع صوت الإسلام في العراق وتحميه وتذود عنه وتبشر
به وتدعو إليه، وتعرض أحكام الإسلام العظيم على المسلمين أنفسهم عرضاً فطرياً
بسيطاً، سهلاً مجرداً من الشوائب والبدع والخرافات مقتفية في العرض أثر رسول

(١) مازالت الجمعيتان قائمتين إلى كتابة هذا الموضوع في ليلة ١٥ محرم الحرام ١٤٢٠هـ الموافق

الله ﷻ وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان، قبل تبليل الأفكار وتفكك الوحدة الإسلامية وغلبة الدنيا واستبداد الأهواء والمطامع على الناس.

- والإخوة الإسلامية، مجلة الإسلام في يسره وسماحته وصدقه وصفاته وعفوه وإحسانه ونقاوته وسلامته ووضوحه وبيانه وطهره وعفافه وعدله ومساواته، تسير في خدمة دعوة القرآن وتحلي فضائل الإسلام وترفع عنه مغالاة الغالين وزيف المبطلين ومغالطة الجاهلين المغتصبين والملحددين المعاندين. والمسلمون عندها كأسنان المشط، فهم في الإسلام سواء، لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى، وقد ربط الله بين قلوبهم بحبله المتين وعقد بينهم بعقد الأخوة الإسلامية، وما عقده الله بيده لا تفصمه يد الشر مهما أوتيت من قوة في هدم وتخريب.

- وستعمل هذه المجلة - إن شاء الله - لتنمية هذا العقد وتقويته وتوثيقه لنبعث الأخوة الحقيقية بين أبناء الأمة الواحدة، ذات الرسائل الخالدة والمجد الأثيل.

- أما النعرات الفكرية والاجتماعية والعصبيات والجنسيات والإقليميات والطائفيات في حدودها الضيقة، فستلوى هذه المجلة عنقها عنها وتصد عنها وتحاربها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وستعالج قضاياها في كثير من الجرأة والوضوح والإقدام على ضوء الإسلام ووفقاً لمبادئه العلية وأحكامه القويمة.

- ومن الأغراض التي ستعمل لها هذه المجلة وتجاهد في سبيلها ما حيت هي :

١ - العمل على تثبيت العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص في النفوس وتقوية

روح التدين في الأمة الإسلامية.

٢ - عرض الإسلام للعالم على أنه نظام عالمي شامل يعالج الحياة في مختلف

شؤونها.

٣ - بعث الأخوة الحقيقية بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ^(١)، والتمهيد للوحدة الإسلامية الكبرى.

٤ - مكافحة روح التفرنج والانحلال في النساء والرجال.

٥ - دعوة المسلمين إلى القوة وأسبابها ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ

رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ^(٢)﴾.

* وكان في هذه المجلة أبواب متنوعة، منها باب الفتاوى وباب أخبار العالم

الإسلامي، وباب أخبار الإخوان.

* وكانت المجلة نصف شهرية، وآخر عدد صدر من تلك المجلة هو العدد الرابع

عشر، السنة الثانية في عشرة ذي الحجة ١٣٧٣ هـ الموافق لآب ١٩٥٤ م، وقد صدر

الأمر - كما سبق - بإغلاقها لنشرها قصيدة وليد الأعظمي في استنكار منع دخول

الإمام الهضيبي إلى العراق.

* وإذا استعرضنا أعداد المجلة، وجدنا أن من كتب فيها هم : (العلامة الزهاوي،

والأستاذ الصواف، والعلامة البشير الإبراهيمي، والأستاذ سيد قطب، والشيخ

محمد نمر الخطيب، والعلامة الدكتور تقي الدين الهلالي، والدكتور علي حسن ذنوب،

والدكتور معروف الدواليبي، والعلامة محمد بهجت البيطار، والأستاذ محمود الملاح،

والشيخ محمد الغزالي، والأستاذ عبدالوهاب حموده، والدكتور عبدالكريم زيدان،

والأستاذ محمد سالم زيدان، والأستاذ عبدالرحمن خضر، والأستاذ نور الدين الواعظ،

ومن الشعراء عمر بهاء الدين الأميري، ومحمد بهجت الأثري، ومحمد محمود الزبيري،

ووليد الأعظمي.

* وعند صدور المجلة، رحب مجتهدو الشيعة بها بالموضوعات التي كانت تنشر

فيها، ومن هؤلاء المجتهد الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء. حيث كتب

(١) سورة الأنفال، الآية : ٦٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٩٢.

رسالة إلى الأستاذ الصواف يبارك فيها اتجاه المجلة في تجديد الأخوة الإسلامية بين المسلمين^(١).

• وقد شملت مقالاتها أهم الموضوعات الفكرية والسياسية في معالجة قضايا العالم الإسلامي ورد كيد أعداء الإسلام، بنهج صادق ومعالجة واقعية، كانت تهدف إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية ومحاربة الفساد الذي استشرى أمره وزاد خطره.

لواء الإخوان :

• ملحق شهري لمجلة (الأخوة الإسلامية) كان يحرقه جمع من إخوان الكرخ، صدر العدد الأول بتاريخ ١ رجب.

• والمقالة الافتتاحية بقلم الأستاذ عبد الكريم زيدان، يتكلم فيها عن دعوة الإخوان التي هي دعوة الإسلام الصحيح، والتي هي نظام شامل من متهاج كامل لجميع شؤون الحياة ولجميع البشر في كل زمان ومكان.

• وفيها مقالات متنوعة سياسية ودعوية وتاريخية وطبية، وفيها قصيدة روحية جميلة لفاضل صالح السامرائي، ومن الذين كانوا يكتبون فيها، فاضل دولان، وصالح عبدالله سريه، وعلى السعدون، وطارق الدوري، وطالب إسماعيل، ومحمد عبدالرحمن، وجاسم العاني، وعبدالرحمن محمد سعيد.

• ونقرأ في كل عدد مقتطفات من رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، وفي العدد (٩) نقرأ خبر زيارة جماعية من علماء ندوة العلماء في الهند، زاروا بغداد ونزلوا ضيوفاً على الجماعة، وخطب أحدهم في الاجتماع الأسبوعي في جامع الأزبك باللغة العربية، نال إعجاب الحاضرين.

(١) السنة الأولى، العدد : ٢، ص : ٥٠٤.

الطريق المستقيم :

- * مجلة صغيرة، كان محررها طلبة الإخوان في كلية الحقوق.
- * فيها مقالات إسلامية وثقافية متنوعة صدر منها عددان عام ١٩٥٣م و ١٩٥٤م.

* كان محررها الأول فوزي محمد سامي، من كركوك.

• وأما الجرائد التي أصدرها الإخوان فهي :

الحساب :

- * صاحبها ورئيس تحريرها المحامي ثابت السعودي ومدير التحرير والإدارة محمد سالم زيدان.
- * صدرت من هذه الجريدة ثمانية أعداد، والعدد الأول منها صدر في شهر نيسان عام ١٩٥٤م.
- * وكانت جريدة قوية وصریحة جداً في فضح حكام ذلك العهد، وكانت شديدة على الاستعمار وسياساته الغاشمة في العراق والعالم الإسلامي.
- * وكانت تعالج قضية فلسطين وتتحدث عن الاعتداءات الصهيونية، وتدعو إلى وحدة العرب، وتنشر مقالات قوية في قضايا التحرير في المغرب والجزائر وتونس والعالم الإسلامي.
- * ومن أشهر مقالات هذه الجريدة مقالات متسلسلة بعنوان: (أعمدة الاستعمار الأمريكي في العالم) للأستاذ المحامي محمد سالم زيدان.
- * وشدة مقالات هذه الجريدة على حكام العهد الملكي، دفعت محمد فاضل الجمالي رئيس الوزراء أن يذهب إلى الأستاذ المحامي عبدالرحمن خضر، خال أولاد محمد سالم

زيدان، ليقول له : فليشتمني سالم ولكن لماذا يتعرض للعائلة المالكة .
* استمرت الجريدة أربعة أشهر، ثم أغلقت بأمر وزير الداخلية.

صوت الإخوان :

* جريدة كانت تصدرها شعبة الأعظمية.
* كانت افتتاحية العدد الأول بقلم المهندس عدنان رانية، عرض فيها دعوة الإخوان المسلمين.

* وفيها مقالات سياسية تاريخية دعوية.
* وفيها اهتمام كبير بقضية فلسطين، وأخبار مذابح اليهود في حيفا (امرأة مبقورة ذبحوا بجانبها أولادها الأربعة).
* ومعظم المقالات فيها بأسماء مستعارة.



الباب الثاني

الإخوان المسلمون بعد ثورة تموز

• الفصل الأول:

- قيادة الدكتور عبدالكريم زيدان وتأسيس الحزب
الإسلامي العراقي.

• الفصل الثاني :

- عمل الإخوان في هذه الفترة.

• الفصل الثالث :

- الإخوان المسلمون بعد انقلاب البعثيين عام ١٩٦٨م.

تمهيد

صاحبت العهد الملكي في العراق سلبات كثيرة في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والعسكرية وغيرها .

• أما السياسية :

- الخارجية : فالارتباط بسياسة الإنجليز في المنطقة العربية، والدخول في الأحلاف الاستعمارية، والخيانة المفضوحة في حرب فلسطين (١٩٤٨ م) بعدم إعطاء المجال للضباط المؤمنين المخلصين بالقتال الحقيقي حتى النهاية، والتخطيط المنسق لتضامن فعال مع الدول العربية. هذا بالنسبة للسياسة الخارجية.

- الداخلية : فالتدخل في الانتخابات والسيطرة المزورة على المجلسين النيابي والأعيان، وعدم إعطاء التيارات السياسية الحرية الكافية التي تعطى في دولة دستورية ديمقراطية.

• وأما الاجتماعية : فالسماح بفتح دور البغاء العلني في المدن الكبرى، وتشجيع الفساد الاجتماعي في أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وترك المجتمع يفتك به الجهل والجوع والمرض.

• وأما الاقتصادية : فإهمال ضبط الحياة الاقتصادية المتوازنة وعدم وجود خطط للتنمية الشاملة إلا في حدود ضيقة، وعدم التدخل في الأوضاع المزرية للفلاحين التي كان المسؤول عنها الطفافة الظلمة من الملاك، مما أدى إلى وجود أقلية مرفهة وأكثرية تسحقها عجلة الفقر المدقع.

• وأما الدينية : فإهمال الإسلام في شؤون الحياة وعدم الحرص على تثقيف أبناء الشعب تثقيفاً إسلامياً سليماً وواضحاً وعدم تربية الأجيال تربية أخلاقية إسلامية

سديدة، ووضع العقبات أمام الدعاة المخلصين الإسلاميين.

* وأما العسكرية : فسيطرة الإنجليز على مقدرات الجيش العراقي وعدم تسليحه التسليح الجيد ، واقتصار شراء السلاح على بريطانيا.
كل تلك السليات أدت في النهاية إلى قيام منظومة (الضباط الأحرار) بثورة تموز التي لعب الشيوعيون بعدها دوراً عنيفاً في قتل الأبرياء من العائلة المالكة وغيرهم وسحل الكثيرين في الشوارع مخالفين بذلك الشرائع السماوية والقوانين الأرضية، والأسس الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية.

ومع كل ذلك فقد استبشر الناس خيراً، وهللوا للثورة وأشادوا بالقائمين بها. حتى أن الأستاذ الصواف أصدر بياناً يؤيد الثورة التي حذر منها رجالات العهد الملكي، ويدعو الشعب العراقي للالتفاف حول الضباط القائمين بها، ممن كان يعرفهم أو لا يعرفهم، والوقوف ضد مؤامرات الأعداء من الاستعماريين المجرمين^(١).

نعم لقد حذر الصواف^(٢) "حكام العهد الملكي من مثل هذا اليوم ونصحهم ورفع إليهم هو وشيخه المجاهد أحمّد الزهاوي، المذكرات تلو المذكرات، وقالوا لهم : إن الإسلام هو الضمان الوحيد لإصلاح المجتمع وتربية الأمة، ولكنهم صموا آذانهم عن سماع الحق حتى قامت الثورة التي أكلت رجالها، وسلطت الشيوعية قرابة عام كامل على رقاب الشعب العراقي بكل تياراته الدينية والسياسية والقومية والوطنية، فملأت بهم المقابر والسجون والنفي والطرّد من الوظائف.

وهنا ظن المنافقون والانتهازيون أن الدولة الشيوعية وشبكة الوقوع، فأنجرفوا مع الشيوعيين، وكثروا سوادهم ورفعوا الأعلام الحمراء والحبال الطويلة في مظاهرات صاخبة في شوارع بغداد ومدن العراق يهتفون (حزب الشيوعي بالحكم

(١) الإضبارة المحفوظة في مكتبة كاظم المشايخي، حي العدل، بغداد .

(٢) من سجل ذكرياتي، ص : ١٥٧ .

مطلب عظيم) و(إعدام إعدام جيش وشعب يحميك من كل خائن) و (الموت لأعداء الشعب). وهم عدّوا كل من لم يمش في ركابهم من القوميين والبعثيين والإخوان وحتى المستقلين خائناً يستحق الموت.

وقد اشتدت وطأتهم على أبناء الشعب العراقي دون تفريق لاسيما بعد إخفاق العقيد الركن عبدالوهاب الشواف في ثورته السريعة غير المخططة ضد نظام عبدالكريم قاسم عام ١٩٥٩م، في الموصل فأقاموا المحاكم الشعبية ولجان الدفاع عن الجمهورية (أي الشيوعية) وارتكبوا مجازر الموصل وكركوك المشهورة، فذهب ضحيتها الرجال والنساء من الإسلاميين والبعثيين والقوميين والوطنيين، وحتى الأبرياء المستقلين، ونشروا الرعب في كل مكان. وكانت جرائدهم كاتحاد الشعب، تنشر القصائد التي تمجد الحبال وتدعو إلى مزيد من استعمال العنف ضد الشعب في زعمهم. وانتقلت اعتداءاتهم على طلبة الجامعات، ضرباً وسباً وشتماً، فقتل من قتل، وهرب من هرب وفصل من فصل. هاجموا دور النشر والمطابع ومكاتب الجرائد المعارضة، فأحرقوها ودمروها. ومنها المطبعة الإسلامية التي كان مقرها في مركز جمعية إنقاذ فلسطين، الواقع في باب المعظم، فأتلفوا مطبوعاتها ومسودات الكتب التي كانت معدة للطبع وإشعال النار في قسم منها. وقد رأيت بأم عيني هذه الحادثة المؤلمة وأنا واقف في الرصيف المقابل أمام قاعة الشعب، ولاحظت أنهم لم يفرقوا بين الكتب والمصاحف الممزقة المتشرة تحت أقدامهم.

ودخلت محكمة المهداوي في الحلبة، فلقد أسسها ضباط الثورة لمحاكمة المقصرين من رجالات العهد الملكي بحق الشعب العراقي، فحولتها الشيوعية الذين سيطروا عليها وعلى أجهزة الدولة، إلى ساحة لمحاكمة الضباط المخلصين لبلدهم ودينهم، بطريقة السخرية والاستهزاء والتصفيق والسب والشتم وإدخال الشهود في قفص الاتهام، فحكموا على كوكبة من المع ضباط الجيش العراقي وأخلصهم إلى ساحات

الإعدام، وعلى رأسهم الزعيم الركن الشهم ناظم الطبقجلي، والعقيد رفعت الحاج سري، والمقدم الركن عزيز أحمد شهاب، والمقدم علي توفيق. بدأت فصائل الشعب تتحرك وتتحد اتحاداً قوياً رافعةً أمام هذه الهجمة الشرسة، محاولة إنقاذ الشعب العراقي من سيطرة الحزب الشيوعي وتبعيته للاتحاد السوفيتي يومئذ.

والحق أن الشعب العراقي بمختلف طبقاته واتجاهاته السياسية قد قاوم الكارثة الحمراء بعرق أبنائه، وجاهد ضد أعداء الدين والقوم والوطن جهاد الأبطال. وكان للإخوان المسلمين نصيب كبير في ذلك الجهاد المقدس نجمله على الوجه الآتي :

أ. لقد حاول الإخوان إثارة الحمية الدينية في كل مكان، عن طريق المنشورات السرية وتحذير الشعب من مغبة سيطرة الحزب الشيوعي على مقدرات العباد والبلاد، وشرحوا للناس كون الشيوعية تصطدم مع الإسلام في أصوله وفروعه. وكانت هذه المنشورات تصل إلى المؤسسات والدوائر ومخادع طلبة الجامعات في الأقسام الداخلية والمدارس الثانوية وفي المساجد.

ب. وأوعزوا إلى خطباء المساجد منهم ومن الصادقين الشجعان أن يشرحوا للناس خطورة الوضع، ويبينوا للناس حكم الله تعالى في هؤلاء المفسدين المزدنيين وما ارتكبوه بحق الشعب من المظالم والتجاوزات، وكان الناس يتسمعون ويكونون يخرجون من المساجد أقوياء بدينهم أوفياء لأمتهم، يوجهون كل من يعرفون من أسرهم ومن غيرهم إلى المقاومة، ورفض الإنخراط في الحزب الشيوعي أو تأييده أو النزول مع الشيوعيين في مظاهراتهم وتبريجهم في الشوارع والطرقات.

ج. لم يكتف الإخوان بالهجوم على الشيوعيين، وإنما فضحوا حكم عبد الكريم قاسم ومن يوالونه من النفعيين الذين تولوا مناصب الدولة العليا، وما كانوا يركضون إلا وراء مصالحهم الشخصية، وكان مهمهم التمجيد بشخصية عبد الكريم قاسم وكبل المدح له، وإضفاء الثناء عليه، كما هو الشأن في كل حكم فاسد.

الإخوان المسلمون في العراق

د. أصدر الإخوان بمعاونة أهل الخير من المسؤولين مجلتهم مرة أخرى باسم (لواء الأخوة الإسلامية) وصدر العدد الأول في بغداد في ١٢ رجب عام ١٣٧٨ هـ الموافق ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٥٩ م. وأقبل الناس عليه إقبالاً كبيراً. وبدأت بنشر مقالات قوبة تحذر من مغبة الاستمرار في الانحراف والفساد، بتشجيع من رئيس مجلس السيادة المؤمن الفريق الركن محمد نجيب الربيعي - رحمه الله تعالى -.

ثم بدأت المجلة شيئاً فشيئاً في مواجهة الطغمة الشيوعية الملحدة، وتنتشر بين أبناء الشعب أكثر فأكثر، حتى بيعت بأثمان مرتفعة في السوق السوداء. لأنها نفتت عن روح الشعب، وتكلمت بلسانه وعواطفه ودعت لإعلاء كلمة الله والدفاع عن بيضة الإسلام، حتى أصدر مدير الدعاية العام الشيوعي أمراً بإغلاقها وإلغاء امتيازها، ولم يصدر منها إلا سبعة أعداد.

هـ. ودعوا إلى تجمع إسلامي عام في مسجد أبي حنيفة الكبير في الأعظمية، وكان انطلاقاً كبيرة، اشترك فيه الألوف من العلماء، وأهل الفكر والشباب والرجال من مختلف أنحاء العراق، عرباً وأكراداً وتركماناً، وسنة وشيعة، فألقيت فيه الخطب الحماسية والدعوة الجماعية للوقوف أمام المد الشيوعي وانحراف حكم رجالات الثورة. وهذا الاجتماع دلّ يومئذ على قدرة الإخوان على توحيد فصائل الشعب في ظل دينهم الإسلامي الحنيف^(١).

و. ولم يقفوا عند هذا الحد، وإنما حاولوا أن يوجهوا جهود علماء العراق ضد الشيوعية، فذهب العلامة الزهاوي والأستاذ الصواف إلى النجف واتصلا بمجتهد الشيعة الأكبر يومئذ السيد محسن الحكيم - رحمه الله - وبينوا له خطورة الوضع إن سيطر الشيوعيون على البلاد، وطلبوا منه إصدار فتوى شرعية بكفر الشيوعية وكفر

(١) من سجل ذكرياتي، ص: ٢٤٨.

كل من يدخل في الحزب الشيوعي^(١).

وأصدر الحكيم فتواه بذلك، وكان له تأثير كبير، ولا سيما في أوساط الشيعة. وتوجه الزهاوي والصواف بعد ذلك إلى علماء كردستان العراق في الشمال، وكانت نتيجة جهودهما أن أصدر علماء حلبجة في محافظة السليمانية فتوى شرعية بتكفير الشيوعية والشيوعيين، ووقع الفتوى كل من الشيخ الملا صالح والشيخ الملا عمر والشيخ الملا عثمان والشيخ الملا علي. وكان لهذه الفتوى (كالفتوى السابقة) مدى كبير في أوساط الأكراد خاصة، والشعب العراقي عامة.

وقد نشرت هذه الفتوى بجانب فتوى الشيخ محمد الخالصي في الكاظمية، والشيخ عبدالعزيز البدر في صحف ومجلات الإخوان وبعض الصحف القومية كجريدة الحرية للأستاذ قاسم حمودي، التي تعرضت هي أيضاً مع الصحافة الإسلامية إلى التدمير والحرق فيما بعد، بسبب مواقفها القومية الإسلامية ضد الشيوعية.

وبعد أن أيقن الشيوعيون وحكومة عبدالكريم قاسم أن الإخوان المسلمين أصبحوا خطراً عليهم، لا سيما بعد قتل العقيد الشواف واستئثار الشيوعيين بالساحة، صدر أمر الحاكم العسكري العام أحمد صالح العبدى باعتقال الأستاذ الصواف، وجمع كبير من الإخوان في المحافظات، ونفي الإخوان من محافظاتهم إلى محافظات أخرى. ومن الإنصاف هنا أن نسجل أن ما جرى للإخوان جرى للبعثيين والقوميين والوطنيين جميعاً، بلا تفریق، لأنهم جميعاً وقفوا صفاً واحداً لدرء خطر الشيوعية والاستعمار السوفيتي عن العراق والأمة العربية المسلمة. وكانت دماؤهم جميعاً قد احتلقت، عندما كدس الشيوعيون أجساد الإخوان والبعثيين والقوميين والوطنيين في منطقة (الدملماجة) قرب مدينة الموصل العربية المسلمة.

(١) من سجل ذكر باني، ص: ١٣٥.

والآن لنذاع الأستاذ الصواف يروي لنا قصة اعتقاله وتعذيبه حيث يقول^(١): (لقد كان قرارهم هو إنهاء حياتي في اليوم الثاني من رمضان... وشاء الله وقدر أن في مساء اليوم الأول من رمضان وبعد أن أذن المؤذن وأخذت ثمرة لأفطر عليها، وإذا بالباب يطرق، فخرجت وإذا بفريق من الشرطة وعلى رأسهم ضابط مؤدب طلب خروجي معهم، فاستمهلتهم حتى أصلي المغرب فسمحوا لي وبعد صلاة المغرب أخذوني وسط أهلي وأولادي إلى السجن... فبت ليلتي في السجن... وذهبنا بعد ذلك إلى سجن أبي غريب، وجمعونا بدار ضيقة فيها الضباط الكبار ووزراء ورجال إدارة وأساتذة، وقل ما شاء من خيار الطيين وويل للأخيار إن حكم وتسلط عليهم الأشرار... وقد بدأوا بتعذيب الضباط أقسى وأخس أنواع التعذيب... وفي العشر الأواخر من رمضان بدأوا بي... كان يأتي إلى المعتقل في المجمع الأخير من الليل أكثر من عشرة جنود وفي أيديهم الرشاشات وهم يصيحون.. صواف.. صواف.. فاستقبلتهم بشدة وأصرخ في وجوههم ولا أبالي بحمد الله. وبدأ الضباط الأشاوس بتعذبي وضربي وهم زمرة من الشيوعيين الحاقدين ولولا لطف الله لقضوا علي^(٢)).

وبعد مضي ما يزيد على خمسة أشهر من بقاءه في السجن، جاءه مدير السجن وطلب منه التهيء لمقابلة عبدالكريم قاسم في مقر وزارة الدفاع فاستقبله استقبالا حسنا، ثم استغل الصواف فرصة الكلام، فكلّمه عن خطر الشيوعية وما فعلوه بالشعب من الاعتداء والظلم، ثم أصدر أوامره بإطلاق سراحه هو ومن كان معه من الإخوان^(٣).

خرج الصواف من السجن، ولكن الشيوعيين لم ينسوه أبداً، فهم يراقبونه في بيته وفي كل مكان يذهب إليه، ويقدم رجالهم تقارير كاذبة عن تحركات الصواف، حتى

(١) كانت أخبار تعذيب الصواف تصل أولاً بأول إلى أبناء الشعب العراقي في كل مكان.

(٢) من سجل ذكرياتي، ص: ١٥٩.

(٣) من سجل ذكرياتي، ص: ٢٧٢ و ٢٧٣.

أن الحاكم العسكري يستدعيه ويواجهه بخطورة تحركاته^(١). ولم يكن الوضع مريحاً بالنسبة إليه وإخوانه، ولذلك قررت قيادة الإخوان بالإجماع ضرورة خروجه من العراق، خوفاً عليه من الاغتيال أو الاعتقال مرة أخرى، فخرج نزولاً عند رغبة إخوانه، لأنه كان يرفض الخروج بشدة^(٢). فخرج في نهاية عام ١٩٥٩ م متوجهاً عبر الحدود إلى سوريا، ثم إلى مصر ثم مكة المكرمة، حيث قضى حياته في خدمة الإسلام والمسلمين في العالم الإسلامي كله، وانقطعت صلته التنظيمية بإخوان العراق.



(١) من سجل ذكرياتي، ص: ٢٧٨.

(٢) من سجل ذكرياتي، ص: ٢٠٠.

الفصل الأول

قيادة الدكتور عبدالكريم زيدان
وتأسيس الحزب الإسلامي العراقي

الفصل الأول

قيادة الدكتور عبد الكريم زيدان وتأسيس الحزب الإسلامي العراقي

تمهيد

خرج الأستاذ الصواف من العراق وأصاب عنه الأخ كمال القيسى نائبه في قيادة الجماعة، ثم سلمت قيادة الحركة إلى مجموعة الكرخ بقيادة الأخ علي صالح السعدون، فجمع حوله مجموعة من إخوان الكرخ تنسجم مع توجهه في العمل السري والخوف من المستقبل، فبدأت الحركة تضعف ولا سيما بعد أن قام الشيوعيون باستهداف الإخوان والاعتداء عليهم ومراقبتهم فانحسر دور الحركة في الساحة العراقية وتقطعت الأوصال، وبدأت كل شعبة أو قاطع من الإخوان يتصرف كما يريد.

يقول الأخ فليح حسن السامرائي (في عام ١٩٥٩ م) اجتمع في بيتي حوالي عشرة أشخاص من القدماء لتدارك الأمر واختيار قيادة تستطيع جمع الأطراف التي تباينت وجهة نظرها في الأحداث السياسية توحد فيها بينها وتساهم مع الحركات السياسية الأخرى بالتأثير في الشارع العراقي والوقوف أمام المد الشيوعي.

وبعد المداولات الطويلة اتفق الجميع على ضرورة اختيار مسؤول ذي شخصية قيادية وذو علم شرعي يؤهله لقيادة الجماعة في هذه المرحلة المهمة والاستفادة من جميع الإخوان وخاصة القدماء، وأتذكر بعد حوالي خمسين عاماً من هذا اللقاء من هؤلاء الإخوان الأستاذ نور الدين الواعظ، والعميد محمد فرج، والأستاذ

نعمان السامرائي، والأستاذ وليد الأعظمي، والأستاذ عبدالحكيم المختار، والشيخ إبراهيم المدرس، والأستاذ علي صالح السعدون، والأستاذ داود العيثاوي، والأستاذ عبدالرحمن الداود، وبعد مداولة طويلة تم الاتفاق على اختيار الدكتور عبدالكريم زيدان مراقباً عاماً مؤقتاً، على أن تنهياً فرصة لاجتماع الهيئة التأسيسية بكامل أعضائها لاختيار مراقب ما دام الشيخ الصواف خارج العراق.

وكان المأمول أن يقوم الدكتور عبدالكريم برأب الصدع وجميع الأطراف، ويقودهم إلى تحسين الأداء السياسي والدعوي في الساحة العراقية، إلا أن الدكتور عبدالكريم انحاز إلى طرف مجموعة الكرخ وأهل الأطراف الأخرى وبدأ التصدع في الساحة الإخوانية مع اشتداد الضغط السياسي على عموم أبناء العراق من قبل الشيوعيين وفي مقدمتهم الإخوان المسلمون، واستمر انكماش الجماعة وتأثيرها في الساحة العراقية وأخذ نجم التيار القومي وخاصة حزب البعث بالتصاعد لقيادة الجماهير ضد الشيوعيين^(١).

حياته وشخصيته :

أصله من مدينة (عنه) العراقية في محافظة الأنبار. وهو من مواليد ١٩١٧م، دخل في بغداد دار المعلمين الابتدائية، فعمل بعد التخرج معلماً للابتدائية خارج بغداد، ثم دخل كلية الحقوق في بغداد، ثم عين مديراً للثانوية الدينية النجبية ثم رحل إلى كلية الحقوق في القاهرة فحصل على الماجستير في القانون (الشريعة الإسلامية) ثم الدكتوراه عن رسالته (أحكام الذميين والمستأمنين في الشريعة الإسلامية) وقد رأيت أستاذه المشرف الدكتور محمد سلام مذكور - رحمه الله - في مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض عام (١٩٧٦م) وسألته عنه، فكان معجباً بذكائه وعلميته وقوة رسالته،

(١) مقابلاتي له في الرياض بين عام ١٤٢٨هـ إلى ١٤٣٠هـ.

وذكره بكثير من الخير. وعند رجوعه إلى بغداد، عين مدرساً في كلية القانون، ثم معاوناً للعميد وظل في هذا المنصب إلى نهاية عام ١٩٦٥ م.

والآن لنعرض شخصيته، ونطلع على آراء عدد من الإخوان في تحليلها :

* يقول الأستاذ نور الدين الواعظ (هو رجل عالم ومخلص، لكنه كان قاسياً مع

المخالفين. كان يميل إلى جمع من الإخوان كعلي السعدون وعبدالرحمن داود)^(١).

* ويقول الأستاذ إبراهيم منير المدرس : (حاد الطبع، قليل الكلام، لا يحب

المظاهر، ويحب الكتمان في كثير من الأمور، حذر من السلطة دائماً، علميته جيدة وعميقة وكان يجد في نفسه على المعارضين، ولكنه لا يحاول أن يؤذي أحداً)^(٢).

* ويقول الأستاذ وليد الأعظمي عنه : (إنه حاد المزاج، لا يرتاح لمن يتقده،

القضايا الجاهلية لا يهتم بها)^(٣).

* يقول الأستاذ عبدالقادر الجنابي : (طبعه جاء من البيئة التي عاش فيها. كان

يستبد برأيه، عصبي لا يقبل النقاش)^(٤).

* وحملت أقوال هؤلاء إلى الأستاذ داود العشاوي الذي كان معروفاً بين الإخوان

بميله إليه، فقال :

- الأستاذ عبدالكريم انتخب بالإجماع، وكانت البيعة للقيادة القائمة على الجماعة،

ولم تكن لفرد معين.

- لم ألس منه أنه يتعصب لرأيه، وهو لا يستبد برأيه، ولكن يعتز بقناعته. وقناعته

تأتي بعد دراسة وتحيص دقيق.

(١) مقابلي السابقة له.

(٢) مقابلي السابقة له.

(٣) مقابلي السابقة له.

(٤) مقابلي السابقة له.

- رأي أنه كان رجلاً مؤهلاً كل التأهيل للقيادة الحركية، إلا أن المساهمة في جزئياتها ليست من مهامه أصلاً، هدوءه وعدم مجاملته خلق فيه، وليس من باب الاستعلاء والتكبر على إخوانه، وكان هو يقدر للإخوان منازلهم.

- لا يحرص على الحديث على المخالفين، وإذا ذكروا لا يذكرهم بسوء.

إذن تحمل عبدالكريم زيدان المسؤولية مع إخوانه في ذلك الظرف العصيب الذي كان يمر بالعراق، وكان الوضع مضطرباً وغير واضح المعالم للأسباب الآتية :

الأول : نتيجة للمجازر الوحشية التي ارتكبتها الشيوعيون في مدينة كركوك، بعد الموصل وقف رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم في احتفال ووصف الشيوعيين (ضمننا) بأنهم فوضويون ومخربون، وأعمالهم أفطع من عمل هولاء، يوم دخل بغداد. وهذا الخطاب أدى إلى التراجع الشيوعي، وبدأت الجرائد الإسلامية والقومية تهاجم الشيوعيين وتكشف عن جرائمهم التي ارتكبوها في أنحاء العراق كافة. وظهر أن عبدالكريم قاسم كان يلعب على الحبلين، فعندما كان يتقوى جانب الإسلاميين والقوميين، يميل الكفة بجانب الشيوعيين، والعكس صحيح أيضاً. وهذا أدى إلى عدم وضوح السياسة القائمة.

الثاني: قررت قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي يومئذ تصفية عبدالكريم قاسم، لما ارتكبه من جرائم، فنزل جمع من شباب الحزب، فضربوا عبدالكريم قاسم في شارع الرشيد، ولكنه جرح ولم يمت^(١)، فكان من نتيجة ذلك أن رفع الشيوعيون رؤوسهم وحاولوا دفع عبدالكريم إلى اتخاذ مواقف صارمة من أعداء الثورة (يقصدون أعداء الشيوعية).

الثالث: بدأ حزب الديمقراطي الكردستاني (البارتي) بقيادة الملا مصطفى البارزاني

(١) أنظر في شرح ملايسات هذه القضية (الحل الأوحده) ، لفؤاد الركابي.

بالحركة في شمالي العراق مطالباً في البداية ببعض الإصلاحات في المنطقة الكردية، ثم تحول إلى المطالبة بحقوق الأكراد القومية، مما أدى إلى الصدام العسكري في أنحاء مختلفة من المنطقة الكردية الأمر الذي أحدث اضطراباً كبيراً في الحياة السياسية. مع بداية هذه الأوضاع قرر عبدالكريم قاسم فتح المجال لتأسيس الأحزاب السياسية، فاستغل الإخوان هذه الفرصة، فأرادوا أن تكون لهم قناة علنية تستطيع أن تقود حركة الدعوة الإسلامية، وتدخل في صراع سياسي ومواجهة علنية رسمية مع حكومة عبدالكريم قاسم من جهة، ومع الفساد الاجتماعي وإصلاح الفرد العراقي من جهة أخرى. فناقشت قيادة الإخوان موضوع إنشاء حزب سياسي باسم (الحزب الإسلامي).

وعند المناقشة ظهر رأيان حول تشكيل الحزب :

- رأي يقول : لا بد لأعضاء التنظيم الإخواني أن يدخلوا جميعاً في الحزب، كي لا يقع الحزب في الإزدواجية.
- ورأي يذهب إلى أن يدخل في الحزب جمع من الإخوان، ثم يتوسع الحزب، فيدخل فيه من يشاء من مختلف المذاهب والطوائف الإسلامية. وتغلب هذا الرأي بعد المناقشات المستفيضة بالأكثرية^(١).

وقدم طلب لتأسيس الحزب الإسلامي المذكور. وجاء في مادة أساسية من النظام الداخلي للحزب : (للجنة الإدارية المركزية للحزب أن تقبل عضواً في الحزب):

- ١ - من كان عراقياً مسلماً.
- ٢ - لا يقل عمره عن ثمانية عشر عاماً.
- ٣ - حسن السمعة والسلوك، وغير محروم من الحقوق المدنية.
- ٤ - غير محكوم عليه بجريمة مخلة بالشرف.

(١) الإضبارة الحافظة لأوراق الحزب الإسلامي، في مكتبة الأستاذ كاظم المشايخي في بغداد.

٥ - أن يقر منهج الحزب ونظامه الداخلي كتابة مع التقيد بأحكام الشريعة الإسلامية، وتأدية كافة الشعائر الدينية ويساهم في مساعدة الحزب مالياً.

٦ - لا يكون منضماً إلى مؤسسة تخالف مبادئها مبادئ الإسلام^(١).

قدم الطلب إلى وزارة الداخلية ونشر في جريدة العراق بتاريخ ٨ شباط ١٩٦٠م، وجاء الجواب بالرفض بعدد ش/ح/ ٩١٤ المؤرخ في ٢٧/٣/١٩٦٠م.

قدمت الهيئة المؤسسة للحزب الإسلامي لائحة تميز قرار رفض الحزب المذكور في تاريخ ٩/٤/١٩٦٠م، فصدر القرار من رئاسة تميز محكمة العراق بالعدد ٥ بتاريخ ٢٦/٤/١٩٦٠م، بإجازة الحزب، ورد دعوى وزارة الداخلية، بأن مبادئ الحزب لا تتفق مع الحياة المعاصرة، بأن الشريعة الإسلامية شريعة مرنة، قابلة للتطبيق في كل مكان وزمان في إطار أصولها المعروفة المستنبطة من الكتاب والسنة.

فاضطرت وزارة الداخلية أن تشعر الهيئة المؤسسة بإجازة الحزب، بكتابها المرقم ٢٧ والمؤرخ في ٩/٧/١٩٦٠م^(٢).

ولو راجعنا أسماء الأعضاء الموقعين على طلب تأسيس الحزب لوجدناهم من العرب والأكراد والتركمان والسنة والشيعة معاً^(٣).

إفتتاح الحزب الإسلامي :

عقد الحزب الإسلامي مؤتمره الأول بدار جمعية الأخت المسلمة في الكسرة قرب شارع المغرب وذلك يوم الجمعة ٥ صفر ١٣٨٠هـ الموافق ٢٩ تموز ١٩٦٠م،

(١) نظام الحزب المطبوع.

(٢) بناء على هذا القرار الجري من محكمة التمييز العراق، وهي أعلى سلطة قضائية، امتنع عبدالكريم قاسم من تسليم البناية الجديدة التي بنيت للمحكمة إلى المحكمة في ساحة السراي، ثم هدمها.

(٣) إضبارة المشايخي، قائمة الهيئة المؤسسة.

فحضر هذا المؤتمر الإسلامي الموحد مسلمون من أنحاء العراق كافة، من الشمال (كردستان) والوسط والجنوب، وكنت ممن حضر هذا الاجتماع الحاشد، الذي افتتح تحت شعار الآية : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِّمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

وبعد قراءة القرآن، تقدم عريف الحقل الشيخ طه جابر العلواني بكلمة مؤثرة، ثم قدم الأستاذ نعمان عبدالرزاق السامرائي، عن الهيئة المؤسسة للحزب، فألقى تقرير الحزب ونصه ما يأتي :

أيها الأخوة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

سلام عليكم من عصابة مؤمنة اجتمعت على حب الله ورسوله

سلام الله عليكم من أخوة اجتمعوا على خدمة الإسلام.

سلام الله عليكم أحفاد المجاهدين الأطهار.

سلام الله عليكم أبناء سعد وخالد والمثنى وصلاح الدين.

أما بعد : إنه والله لشرف ما بعده شرف أن يكون المسلم خادماً لدينه ذائداً عنه ومدافعاً عن أهله. إنه شرف لا يدانيه شرف. ولا عجب فهذا عمل الأنبياء. وكفي به فخراً وشرفاً، لأجله قاتل رسول الله ﷺ أهله وذويه وهاجر مع من هاجر من أصحابه، ولأجله لا من أجل غيره روت بطاح العراق دماء أجدادنا واختلطت بشراه أجدات أبطالنا، وله نصب وسهر خلفاؤنا. فلا عجب أن يكون عملكم هذا أشرف عمل واجتماعكم أفضل اجتماع، فأنتم اليوم حملة هذا الدين، فيمن يحملونه وحماته فيمن يحمونه وإن الله ليرعاكم بعينه، والملائكة تغبطكم من فوق سماواته، فهنيئاً لكم من رسالة تحملونها وعمل تؤدونّه وجهاد تفعلونه.

(١) سورة فصلت، الآية : ٣٣.

لا شك أيها الأخوة، أن مؤتمر كم هذا جديد في بابه، غريب في طبيعته، إذ لم يألف المسلمون ذلك منذ أمد بعيد^(١)، فقد غزاهم الاستعمار في عقر دارهم واحتل أراضيهم وعقولهم وأرواحهم، وحاول أن يقيم في وسط عقولنا قواعد الاستعمار، لذلك لا عجب أن ابتعد البعض عن دينه بل وهجره، فتلك شجرة الاستعمار، وهذا نموها. لقد حاول الاستعمار جاهداً أن ينشئ في المسلمين جيلاً ممسوخاً لا هو بالشرقي في أفكاره ومعتقداته، ولا بالغربي في حضارته وتقدمه، ولكنه مسخ مشوه، لا يشبه أحداً ولا يفيد أحداً. وقد شدد الاستعمار على إقصاء الإسلام عن الحياة، فوضع لمستعمراته المناهج والقوانين والمقاييس التي تعادي الإسلام وتناقضه، وهدفه حصر هذا الإسلام العظيم في زواياه، كي ينصرف عنه أهله.

وبعد أن قام حزبنا ليحمل رسالة الإسلام ويبدد أسطورة عزل الإسلام عن الحياة، وإبعاده عن ميدان العمل السياسي ويثبت قدرة الإسلام على أن يكون منهجاً لحزب سياسي لا يخرج عنه، مع ضمان مصلحة الأمة، وقيادة الشعب قيادة ربانية نظيفة خالية من كل دجل أو تهريج.

أيها الأخوة.. لعل من لطف الله تعالى أن يظهر حزبنا بعد فترة عصيبة ساد فيها الكفر والإلحاد، فقتل من قتل، وسحل من سحل، وأوذي من أوذي على أيدي زمرة كافرة بكل القيم، بالله والناس والخلق، ورغم هذا الطاعون فقد تولت العناية الربانية حماية الإسلام. ومن قبل مرت على الإسلام زحوف التتر والمغول، فما هان ولا لان. إنه دين الله باق إلى يوم القيامة.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

(١) لعله يقصد العراق، وإلا فمؤتمرات كثيرة أقيمت في العالم الإسلامي من هذا النوع.

(٢) سورة التوبة، الآية : ٣٢.

قيام الحزب :

بعد قيام ثورة ١٤ تموز وإطلاق الحياة الحزبية في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٦٠م، فكر جماعة من المسلمين رضوخاً لمقتضيات عقيدتهم التي توجب عليهم العمل الدائم للإسلام، وعدم ترك هذا الأمر إطلاقاً. فكروا بتقديم طلب لحزب سياسي إسلامي يتولى العمل والكفاح والجهاد من أجل رسالة الإسلام، مع علمهم بأن الإسلام أوسع من النطاق الحزبي، ولكن طبيعة العمل القانوني، تلزم بالانخراط في السلك الحزبي لتيسير عملهم هذا، فقدموا الطلب، وبعد رفضه من قبل وزارة الداخلية، أجازته محكمة تمييز العراق الموقرة، وهي أعلى سلطة قضائية في البلاد، بحثثات جاءت دعماً قانونياً وتشريعياً منطقياً لما فيها من طاقات ومرونة.

وعمد بعض الناس يتساءلون عن أهم الأسباب والمبررات التي تدعوا إلى قيام حزب إسلامي في هذا البلد، في الوقت الذي لا يتساءلون عن قيام أحزاب أخرى تقوم على غير قاعدة وفكرة الإسلام، وهذا لاشك أمر يدعو إلى الاستغراب.

أما الأسباب والمبررات التي أدت إلى قيام هذا الحزب فهي :

- ١ - إن هذا العمل واجب ديني ووطني على حد سواء.
- ٢ - إن طبيعة الإسلام توجب العمل المنظم القائم على أسس تنظيمية سليمة.
- ٣ - إن قيام أحزاب غير إسلامية تعمل في الميدان وتجرف الشباب أمر في غاية الخطورة، مما يلزم معه وجود حزب سياسي يقي الشباب والأمة جميعاً ويوجهها إلى وجهة إسلامية فيها عزها وسؤدها، ويصونها من العبث والاعتداء.
- ٤ - إن الإسلام كعقيدة وفكرة في حاجة للدعوة لها والعمل لرفع لوائها عن طريق عمل منظم.

الأعمال التي قام بها الحزب الإسلامي :

حاول الحزب الاتصال بجميع العناصر المسلمة في البلد دون الاقتصار على عنصر واحد، فأجرى اتصالات في الشمال ومع النجف وكربلاء وغيرها من المدن مستهدفاً بعمله هذا ضم جميع القوميات والطوائف المسلمة إلى صفوفه، وذلك تطبيقاً لهدفه الرئيسي في جمع الصفوف ووحدة الكلمة، ثم تقدم بطلب لإصدار جريدة ولكن طلبه لم يجب بالرغم من مضي ثلاثة أشهر، لذلك سلك سبيل المذكرات ليعبر عن آرائه فتقدم بمذكرة حول المعارف وأخرى عن القوانين وثالثة عن الشيوعية، كما أصدر بيانات حول الجزائر وفلسطين، كما أبرق إلى المراجع الدينية والمسؤولين في إيران وباكستان حول اعتراف إيران بإسرائيل وطالب بالقيام بمظاهرة سلمية. وقد يستكثر البعض على الحزب تقديمه لكل هذه المذكرات، ولكن ما حيلة الحزب، وليست له جريدة تعبر عن أهدافه وفكرته ومبادئه، فيضطر إلى تقديم المذكرات ليعبر فيها عن مواقفه تجاه الظروف والأحداث الداخلية والخارجية.

فهم الحزب للإسلام :

إن فهم الحزب للإسلام فهم عام شامل، يتناول جميع مناحي الحياة، من اقتصادية وسياسية واجتماعية وقانونية وفردية.

ولعل بنود منهاج الحزب خير دليل على ذلك. فالحزب كما يفهم الإسلام عبادة، يفهمه تشريعاً وحكماً ونظماً وقوة، وأسلوباً ومنهاجاً وفلسفة لها أصولها وأهدافها الخاصة لا تشبه أية فكرة أو فلسفة، سواء أكانت ديمقراطية أم اشتراكية أم شيوعية، لأنها إسلامية، لذلك، نصت المادة الثانية من منهاج الحزب (على أن غاية الحزب تطبيق أحكام الإسلام تطبيقاً شاملاً كاملاً لجميع شؤون الحياة وأمور الأفراد والدولة...).

موقف الحزب من الوحدة الوطنية والعربية والإسلامية :

يؤمن الحزب الإسلامي العراقي .. بالوحدة الوطنية القائمة على أساس جنسية المواطنين العراقيين دون التفريق بينهم .. ولا سيما أن الإسلام يلزم المسلم العمل لوطنه ورفع مستواه والذود على حياضه، ويعتبر ذلك من متممات إيمانه.

أما موقفنا من الوحدة العربية، فالحزب يؤمن بأن العراق جزء من الأمة العربية التي يجب أن تتوحد في دولة قوية على أساس الإسلام، لتكون هذه الدولة العربية الواحدة نواة للوحدة الإسلامية الشاملة. وذلك على ضوء المادة (٣٥) من منهاج الحزب.

موقف الحزب من الشيوعية والاستعمار :

موقف الحزب الإسلامي العراقي من الشيوعية لا تحدده الأحداث والوقائع السياسية بقدر ما تحدده العقيدة التي يلتزمها الحزب .. فالحزب بحكم اتجاهه العقائدي المنصوص عليه في منهاجه (يحارب الحزب جميع الدعوات المفرقة للصنف كالطائفية وجميع الأفكار والمفاهيم الإلحادية التي لا تعترف بغير المادة ويرى في شيوعها هدماً للمجتمع لا يجوز السكوت عليه).

فعلى هذا الأساس فإن موقف الحزب من الشيوعية كعقيدة وفكرة هو موقف المناوئ المحارب .. ولا سيما بعد أن ارتكبت الشيوعية في وطننا العزيز من الجرائم ما يندى لها جبين الإنسانية. ولكن هذا الموقف لا يعني أن الحزب لا يرضى عن قيام العلاقات الدبلوماسية مع الدول الشرقية، وعلى رأسها روسيا، إذا كانت هذه العلاقات تقوم على أساس الاحترام المتبادل والمنافع المتبادلة.

أما موقف الحزب من الاستعمار، فهو واضح وصريح جداً، وهو موقف المحارب بصلافة وعناد. وقد نص دستور الحزب في مادته (٤٠) على ذلك :

(يؤمن الحزب بأن الاستقلال الصحيح لن يتحقق مفهومه الصحيح إلا بمحاربة الاستعمار والتبعية، على اختلاف أنواعها وضروبها، سواء أكان هذا الاستعمار أو التبعية سياسياً أم عسكرياً أم اقتصادياً أم ثقافياً، حتى تتحقق للأمة شخصيتها المستقلة حقاً وهي الشخصية الإسلامية).

موقف الحزب من القومية الكردية والتركمانية :

إن الحزب بحكم فكرته الإسلامية ينظر إلى جميع القوميات الموجودة في العراق نظرة احترام لحقوقها، ولا يفرق الحزب بين قومية وأخرى، وذلك على أساس قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١) فأساس التفاضل بين المواطنين على اختلاف قومياتهم هو تقواهم وصلاحتهم ومنفعتهم للجميع.

كما أن الحزب يستنكر كل وسيلة اعتدائية تستعين بها قومية ضد أخرى. إذ لا بد أن تتسم القوميات في الجمهورية العراقية بروح الإسلام التي توجب عليها الأخوة والوئام والعيش بأمن وسلام، كأنهم أعضاء جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ولا يمنع هذا من اعتزاز كل قومية بمحاسنها وخصالها الحميدة والمطالبة بحقوق أبنائها العادلة من دون امتياز، فالمسلمون سواسية كأسنان المشط.

موقف الحزب من المواطنين غير المسلمين :

نصت المادة السادسة من منهاج الحزب بصراحة لا تقبل النقاش أو الجدل على :
(المواطنون غير المسلمين متساوون في الحقوق، سواء أكانت حقوقاً سياسية أم عامة

(١) سورة الحجرات، الآية : ١٣.

أم خاصة. والواجبات مع المواطنين المسلمين إلا في الأمور التي تقوم على العقيدة الدينية. وعلى الدولة أن تؤمن للمواطنين التمتع بجميع هذه الحقوق).
كما نصت المادة السابعة (عقيدة المواطنين غير المسلمين من أهل الكتاب مصنونة ولا تمس بسوء ولهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية في حدود النظام العام).
كما نصت المادة الثامنة (يخضع المواطنون غير المسلمين لما يخضع له المسلمون من أحكام في جميع المجالات الجنائية والمدنية إلا فيما خصوا به من أحكام).
فهذه المواد والتي وردت في منهاج الحزب تدل على أن نظرة الحزب إلى المواطنين غير المسلمين إنما هي نظرة تقدير ومساواة مع المواطنين الآخرين.
فلا يمكن إزاء هذه الصراحة أن يستغل حاقداً، البسطاء أو السذج على أن الحزب يضم الحقد للمواطنين غير المسلمين. ولا سيما أن الحزب ألزم نفسه بمقتضى المادة التاسعة بالعمل على إقامة مجتمع فاضل خال من المفاسد والمنكرات.
فدعاة القتل والسحل والإرهاب لا يقدرّون على تشويه سمعة حزب جاء لإتمام مكارم الأخلاق في هذا البلد الأمين.

موقف الحزب من مجازر كركوك والموصل :

وقعت مجزرتا كركوك والموصل الداميتان، وذهبت ضحيتها أرواح بريئة وارتكبت فيهما من الجرائم والفضائح ما أصبحت وصمة عار في هذا القرن، لأنها مجازر لم يرتكبها هولاء ولا جينكيز خان ولا الصهاينة المجرمون في دير ياسين^(١).
وبالنظر لما لهذه المجازر البشرية من أثر بليغ في نفوس المواطنين يرى الحزب نفسه مدفوعاً بحكم رسالته نحو الوطن أن يحدد موقفه منها ويضع النقاط على الحروف إزاء المسؤولين عنها.

(١) هذا من باب المبالغة والتأثير، وإلا فإن هؤلاء ارتكبوا مثل ما ارتكبه الشيوعيون وأكثر.

إن الشيوعية هي المسؤولة عن هذه الجرائم. فالحزب يرى ضرورة إنزال العقاب الرادع في القتلة من سفاكي وجزاري مذبحتي كركوك والموصل وغيرهما، وإن أي تهاون في هذا الميدان، يؤدي إلى استمرار القلق والبلبلة وعدم الاطمئنان في صفوف الشعب، لأن هذه المجازر لن تنسى بسهولة.

موقف الحزب من فترة الانتقال والدستور والمجلس الوطني :

لذلك نرى بأن إنهاء فترة الانتقال ضرورة على أن يوضع دستور دائم من قبل لجنة ذات اختصاص في القضايا القانونية من رجال الفقه والقضاء والعلم المعروفين باستقامتهم ودينهم وورعهم، ومن البعيدين عن الاتجاهات المنحرفة عن عقيدة هذه الأمة وتراثها وحضارتها على أن يُتَّخَذَ الإسلام أساساً لهذا الدستور، لأن هذه الأمة أمة مسلمة بكافة قومياتها وطوائفها، فتشريع دستور بعيد عن الإسلام أو على أساس علماني أمر لا يمكن قبوله، ولا ينسجم بأي حال من الأحوال مع معتقدات الأمة. وأن هذا الدستور يجب أن يضمن لأبناء الأمة الحريات الأساسية المعترف بها في دساتير العالم حتى يشعر المواطنون بأن كرامتهم وأدميتهم مكفولة غير مهددة. كما يجب وضع تشريع يضمن حرية انتخاب أعضاء المجلس الوطني الذي سيقوم بمهمة خطيرة وهي رسم مستقبل أمتنا من الوجهة السياسية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية.

موقف الحزب من المعارف :

يؤمن الحزب الإسلامي بأن وزارة المعارف من أخطر الوزارات والمؤسسات ذات الأثر العميق في مستقبل هذه الأمة، لأنها الوزارة المسؤولة عن تنشئة الجيل وإعداد رجال المستقبل بشكل يضمن حفظ عقيدتهم الإسلامية وتمسكهم بالخلق الكريم.

فعلى ضوء فلسفة التربية والتعليم التي تتبعها وزارة المعارف، تتم تنشئة الجيل وتوجيه الناشئة، لأن المناهج والكتب والأساتذة هم الذين يرسمون خطة السير للأجيال القادمة.

الحزب الإسلامي وأسلوب الكفاح السياسي :

إن الحزب الإسلامي العراقي لا يؤمن بالعنف أو الاعتداء أو القتل في ميدان الكفاح السياسي، لذلك فهو يستنكر كل أسلوب اعتدائي في العمل ويعتقد أن عدم محاسبة المعتدين في المجازر المعروفة، سوف يؤدي إلى شيوع الأخذ بالثأر ورد الاعتداء بمثله^(١)، وأن الحزب الإسلامي يستعين بكافة الطرق المشروعة السليمة للتبشير بفكره ومبادئه.

وهي الطرق المقررة في منهاجه في المادة الرابعة منه وهي :

أ. قبول مسؤولية الحكم.

ب. الاشتراك في الانتخابات إذا رأى مصلحة راجحة في هذا الاشتراك.

ج. بعث الوعي الإسلامي بين الناس وتثقيفهم ونشر الكتب وسائر المطبوعات والنشرات وإصدار الجرائد والمجلات وبيان رأي الحزب في الأمور العارضة ومشاكل الناس الآنية على ضوء تعاليم الإسلام.

الحزب الإسلامي ومشاكل العمال والفلاحين ومشكلة الفقر بصورة عامة :

إن الحزب الإسلامي يعتبر مشكلة الفقر من أخطر القضايا التي يجب العناية بها من قبل الدولة، وضرورة رسم خطة حكيمة لحلها على ضوء الأسس التي جاء بها

(١) فعلاً حصل هذا فيما بعد في الموصل وكركوك وأماكن أخرى.

الإسلام. لذلك نصت المادتان (الثلاثون والحادية والثلاثون) من منهاج الحزب الإسلامي على الوسائل التي يستعين بها الحزب لحل هذه المشكلة. فنصت المادة الثلاثون : (الزكاة حق مالي للفقراء في أموال الأغنياء وعلى الدولة أن تجبها من الأغنياء وتحفظها عندها وتصرفها على مستحقيها من الفقراء وغيرهم من المنصوص عليهم في الشرع. ونصت المادة الحادية والثلاثون : (للدولة أن تفرض الضرائب العادلة فيما يعود على الجميع بالنفع العام).

وأن الحزب يؤمن بأن مشكلة الفقر من المشاكل التي يجب أن تعالج بصورة جذرية، لأن بقاءه يؤدي إلى حدوث مشاكل كبيرة. وكلنا يعلم أن الأفكار الوافدة قد استغلت سوء الأوضاع الاقتصادية لكي تنفذ منها إلى مجتمعنا.

أما مشكلة العمال والفلاحين فهي من القضايا التي أولاها الحزب العناية الكبيرة في منهاجه. فنصت المادة الخامسة والثلاثون : (يؤمن الحزب بضرورة العمل لتأمين مستوى لائق للعمال على أن تكون العلاقات بين العمال وأرباب العمل علاقات تعاون من أجل رفع مستوى الانتاج وحصول العمال على أجر مناسب مع جهده وتأمين حاجاته، والعمل على تنظيم العمال في نقابات مهنية تعمل من أجل المصالح العمالية في جو بعيد عن الحزبية).

فهذا النص المستمد من روح الإسلام إذا طبق فإنه يأتي باينع الثمار لحل المشكلة العمالية التي نعاني منها ما نعاني بسبب الجشع وغمط الحقوق وبسبب استغلال الظروف والمناسبات من أجل الأهداف والغايات الحزبية.

أما بالنسبة للفلاحين فنصت المادة السادسة والثلاثون، من منهاج الحزب بضرورة توزيع الأراضي على الفلاحين وتسليفهم المبالغ اللازمة بدون فائدة وشراء المنتجات الزراعية تشجيعاً لهم).

هذا بعض ما أراد الحزب، أن يعرضه على مسامعكم الكريمة في مؤتمركم الأول، وهناك مقررات وبرقيات سوف تتلى عليكم لأخذ موافقتكم عليها.

وختاماً فإن الهيئة المؤسسة تأمل أن تكون قد أدت بعض ما تستطيع بحكم الظروف التي أحاطت بالعمل خلال الثلاثة أشهر المنصرمة، وهي تعتقد أنها تشرفت بخدمة الإسلام بمعاونتكم، وترجو منكم انتخاب لجنة جديدة لتقدم الواجب.

وأملنا أن لا يحل موعد المؤتمر الثاني من العام القادم إلا وحزبنا قد أرسى بنيانه وكثرت منجزاته، وفاضت خيراته. ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١). والسلام عليكم.

وبعد تقرير الحزب تقدم إلى المنصة شاعر الإخوان الأول في العراق الأستاذ وليد الأعظمي فألقى القصيدة الآتية، التي حركت الكوامن وأبكت كثيراً من الحاضرين:

شمت بدور الدجى في حالك الظلم	تنير رغم دعاة السوء والتهمم
واسترسل النور يجلو كل حالكة	تطوى بأحشائها أسرار متقمم
وانهار صرح الهوى والطيش حيث غدت	أركانها بين مصدوع ومنهم
وغادر القلب آمال يتوق لها	كما يتوق إلى الرقراق كل ظمى
والشر والخير معلوم صراعهم	والناس تشهد هذي الحرب من قدم
كذلك للخير أقوام تهيم به	إلى نظام من الرحمن مستلم
هذا العمري ضلال ليس يقبله	إلا الجهول وإلا فاسد الهمم
أهلاً وفود الهدى جتتم لمؤتمـر	يستهدف الحق والإصلاح في النظم
يلوح فيكم شعور لا حدود له	يغلي ويقذف كالبركان بالحمم

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

تحدوكم نصرة الإسلام في زمن
تعددت فيه رايات الفساد ولم
بشراكم اليوم عز خالد وهدي
ذقنا النوى من ميول وانحراف خطى
كل يرى الحق في منهاج فكرته
قد ابتلينا بداء لا دواء لـه
صرنا نرى الكفر عنوان النهوض لنا
كيف النهوض وأخلاق الشباب غدت
لا تستقيم أمور الناس في فكر
مبادئ أثبت التاريخ باطلها
في كل يوم لهم دعوى وطننة
أعاهد الله في سر وفي علن
عقلي وقلبي وإخلاصي وتضحيتي
ما هزني ذكر (سلمي) للقريض ولا
هذا حتى الله ما جاوزته أبداً
أخاف يوماً به الأبصار شاخصة
يا أمة المصطفى يا صفوة الأمم
وجددي العزم للإصلاح عاملة به
وحققني حلياً عشنا بلذته
هوذي بنا حياة العز راكضة
ورددني صرخة القرآن عالية
يا مرحباً بجنود الحق ثابته

بالظلم مصطبغ بالكفر متسم
يرفع سواكم إلى الإصلاح من علم
عفو إليه قلوب العرب والعجم
كمن يسير بلا ساق ولا قدم
لكنه عن هدى القرآن في صمم
والكفر أدهى على الدنيا من السقم
والكفر عنوان موت العز والشمم
عكس الذي جاءنا في (نون والقلم)
على سوى الكذب والتهريج لم تقم
حتى غدونا من الأفكار في تخم
جوفاء كالطبل محسباً من النغم
إن لا أميل إلى يأس ولا سام
لله في أمل عندي وفي ألم
(ريم على القاع بين البان والعلم)
ولا رنعت حواليه ولم أحم
خوف الفضيحة عند العرض والندم
وأفأك سعدك بعد النحس فإغتم
وبجبل الله فاعتصمي
دهراً بجالد فيه سطوة الأزم
واستمسكي بعري الإسلام والتزمي
من أجل مجتمع راق ومحترم
منابع الخير والإصلاح والكرم

يا من جعلتم رسول الله قدوتكم
سوا الصفوف وصونوا سر نهضتكم
من كل أروع لا يدري الهوان ولا
يدور في فلك الإسلام خاطره
ولا يرى العز إلا في تدينه
فليس ينفع مظلوماً شكايته
هذا هو المجد فامتازوا عن الأمم
واستجمعوا الأمر قبل اللوم والندم
بنصاع يوماً لجبار ولا صنم
حيث الحياة بلا (إسلام) كالعدم
والعز والمجد في الإسلام من قدم
إن لم يجالد بسيف صارم خلد

ثم ألقى الشيخ عثمان بن عبدالعزيز كلمة حماسية قوية عن علماء الكرد، وبعد ذلك اتفق على صيغ برقيات تناولت شتى موضوعات الساعة، ثم جرى انتخاب الهيئة الإدارية^(١). وأتذكر وقد كنت مدعواً إلى المؤتمر ولم أكن عضواً فيه، إنه لما تليت البرقية المقترحة إلى شاه إيران بشأن جريمته بالاعتراف بإسرائيل، اعترضت على استعمال كلمة (جلالة) قلت: الجلالة لا تليق إلا لله تعالى، فحذفت الكلمة، وذهبت البرقية مصدرة بـ (شاه إيران) فقط.

وانتهى المؤتمر عند أذان المغرب، فخرج المؤتمر إلى الحديقة المجاورة لمقر جمعية الأخت المسلمة في مبدأ شارع المغرب، وأم المصلين يومئذ الشيخ الفاضل، عبد الجليل، إمام وخطيب ومدرس جامع الرمادي الكبير.

وعندما انتهت الصلاة وبدأ المصلون بالخروج من الحديقة، مرّ عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء بسيارته العسكرية أمام الجميع، ولكنني لم ألاحظ أن أحداً اهتم به أو صفق له. وكان مروره في ذلك الوقت كان توقيراً منه ليعرف هل يرحب به أعضاء الحزب أم لا.

(١) جريدة الجهاد، العدد: ٨٧.

دستور الحزب الإسلامي العراقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

في هذه المرحلة الدقيقة الحاسمة من تاريخنا وفي زحمة هذا الصراع المحتدم بين الاستعمار والأفكار والعقائد الوافدة من جهة وبين العقيدة الإسلامية والمصالح الحقيقية لشعبنا من جهة أخرى، شعرنا شعوراً عميقاً بالمسؤولية للقيام بالواجب الملقى على عاتق كل إنسان غيور على دينه ومصالح شعبه، وذلك بتقديم (دستور الحزب الإسلامي) ليكون مناراً لكل من يريد أن يخدم أمته ويلاذه خدمة حقيقية صحيحة عن طريق العمل الحزبي المنظم، الخالي من الحزبية المقيتة التي تقوم على أساس التناحر والتناز، والتي قد يستغلها البعض لجر المغانم الشخصية، ولو كان ذلك على حساب ومصلحة الشعب وعن طريق خداعه وتضليله. ونحن إذ نقدم هذا الدستور لا ندعي احتكار العمل لأنفسنا وإنما نقدمه على أساس أنه أسلوب صحيح من أساليب خدمة مخلصه ناجحة.

• الفصل الأول: مواد تمهيدية

المادة الأولى: اسم الحزب (الحزب الإسلامي العراقي) ويكون مقره في بغداد، وله الحق في فتح فروع له في أنحاء الوطن، كما يجوز تحويل مقره خارج العاصمة، إذا رأى ضرورة ذلك.

المادة الثانية: غاية الحزب تطبيق أحكام الإسلام تطبيقاً كاملاً شاملاً لجميع شؤون

الحياة وأمور الأفراد والدولة، ابتغاء مرضاة الله تعالى وإسعاداً للناس في دنياهم وآخرتهم.

المادة الثالثة: يحارب الحزب جميع الدعوات المفرقة للصنف كالطائفية والعنصرية وجميع الأفكار والمفاهيم الإلحادية التي لا تعترف بغير المادة، ويرى في شيوعها هدماً للمجتمع لا يجوز السكوت عنه.

المادة الرابعة: يأخذ الحزب بجميع الوسائل المشروعة لتحقيق غايته، ومن هذه الوسائل :

١- قبول مسؤولية الحكم.

٢- الاشتراك في الانتخابات إذا رأى الحزب مصلحة راجحة في هذا الاشتراك.

٣- بعث الوعي الإسلامي بين الناس وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية عن طريق عقد الاجتماعات العامة ونشر الكتب وسائر المطبوعات والنشرات، وإصدار الجرائد والمجلات وبيان رأي الحزب في الأمور العارضة ومشاكل الناس الآنية في ضوء تعاليم الإسلام.

المادة الخامسة: يتقيد الحزب في جميع تصرفاته وأعماله ووسائله وتأييده ونقده وسائر مواقفه بأحكام الشريعة الإسلامية وروحها ومقاصدها.

المادة السادسة: المواطنون غير المسلمين متساوون في الحقوق (سواء كانت حقوقاً سياسية أم عامة أم خاصة) والواجبات مع المواطنين المسلمين إلا في الأمور التي تقوم على العقيدة الدينية، وعلى الدولة أن تؤمن للمواطنين التمتع بجميع هذه الحقوق.

المادة السابعة: عقيدة المواطنين غير المسلمين من أهل الكتاب مصونة ولا تمس بسوء ولهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية في حدود النظام العام.

المادة الثامنة: يخضع المواطنون غير المسلمين لما يخضع له المسلمون من أحكام في جميع المجالات الجنائية والمدنية إلا فيما خصوا به من أحكام.

المادة التاسعة: يعمل الحزب على إقامة مجتمع خالي من المفاسد والمنكرات.

المادة العاشرة: يؤمن الحزب بأن الشريعة الإسلامية ومصادرها من الكتاب والسنة وغيرهما هي الأساس لحياة الدولة التشريعية.

المادة الحادية عشرة: يعمل الحزب على تهيئة حرية الانتخابات لأبناء الشعب وإشاعة الوعي السياسي النظيف لغرض إنتخاب مجلس شورى الدولة الذي يكون من بين أعضائه رئيس الحكومة.

المادة الثانية عشرة: تكون الحكومة شرعية ما دامت تعمل لمصلحة الشعب، وتحوز على ثقته، ولا تقوم بأي عمل من شأنه مناهضة الإسلام.

• الفصل الثاني: في السلطة التنفيذية

المادة الثالثة عشرة: تفوض مسؤولية إدارة الدولة الى رئيس ينتخبه مجلس الشورى من بين أعضائه ويكون هو رئيس الحكومة ويشترط فيه أن يكون رجلاً مسلماً عادلاً قادراً على القيام بمهام الدولة ومسؤولية الرئاسة.

المادة الرابعة عشرة: يختار رئيس الدولة من بين أعضاء (مجلس الشورى) أعضاء مجلس الوزراء ليعاونوه في تسير شؤون الدولة وله أن يقيلمهم ويعين غيرهم.

المادة الخامسة عشرة: رئيس الدولة هو المسؤول عن إدارة شؤون الدولة، إلا أنه يقوم بهذه المسؤولية بمشاورة مجلس الشورى، ويعتبر هو الرئيس الطبيعي للمجلس.

المادة السادسة عشرة: مهمة مجلس الشورى إبداء الرأي في القضايا الهامة التي تمس مصلحة الشعب او التي تتعلق بإدارة شؤون الدولة وميستها، ويراقب أعمال رئيس الدولة والوزراء، وله تقديم أي اقتراح يراه مفيداً للبلاد.

المادة السابعة عشرة: لا يسمح بتأناً بأي نوع من أنواع التحزب في مجلس الشورى، وإنما يكون كل عضو مستقلاً بشخصه، ويؤيد أو يعارض أو يقترح أو يبدي رأياً يراه حقاً وصواباً.

المادة الثامنة عشرة: اذا اختلف المجلس ورئيس الدولة في مسألة ما فعلى الرئيس أن يأخذ برأي أكثرية المجلس إلا إذا رأى الصواب في جانبه ولم يستطيع أن يقنع المجلس برأيه، فله في هذه الحالة أن يستفتي عامة الناخبين فيما اختلف فيه فأى جهة تحوز على أغلبية آراء الناخبين يكون رأيها هو المتبع.

المادة التاسعة عشرة: للمجلس أن يحجب الثقة عن أحد الوزراء وفي هذه الحالة يتعين على الوزير أن يستقيل، وعلى رئيس الدولة اختيار غيره، كما أن المجلس أو لأكثريته أن يحجب الثقة عن رئيس الدولة، وفي هذه الحالة يستفتي عامة الناخبين في أمر بقاء رئيس الدولة أو مجلس الشورى، فأيهما كان رأي الأكثرية من الناخبين في بقاءه يبقى ويستقيل الآخر.

المادة العشرون: يتكون مجلس الشورى من أعضاء ينتخبهم الشعب وفق نظام خاص بها فيه من له الحق في الانتخاب وشروط العضوية في مجلس الشورى ومدتها وعدد أعضاء المجلس وغير ذلك.

• الفصل الثالث: في السلطة التشريعية

المادة الحادية والعشرون: يؤلف في البلاط مجلس يسمى (المجلس التشريعي) يختار رئيس الدولة أعضائه من بين أعضاء مجلس الشورى أو غيرهم، ويشترط في عضو هذا المجلس أن يكون مسلماً ورعاً عالماً بالشريعة وقواعدها العامة ويكون رئيس الدولة الرئيس الطبيعي لهذا المجلس.

المادة الثانية والعشرون: مهمة المجلس التشريعي ما يأتي:

أ. بيان أحكام الشريعة القطعية وصوغها بشكل مواد لتسير عليها الدولة والأفراد.

ب. اختيار الرأي الراجح من بين الآراء الاجتهادية للفقهاء من المسائل المختلفة

فيها.

ج. سن القوانين والأنظمة للمسائل التي لم يرد فيها نص في الشريعة وذلك عن طريق استنباط الأحكام الشرعية بالأصول المقررة لها.

المادة الثالثة والعشرون: لا يجوز بتاتاً للمجلس التشريعي سن أي قانون يخالف أحكام الشريعة القطعية أو الواضحة الشائعة، ولا أن يتعسف في استنباط الأحكام باتباع غير الطرق المقررة في الاستنباط.

المادة الرابعة والعشرون: ما يقرره المجلس التشريعي من القوانين هو الواجب الاتباع ما دامت هذه القوانين والأنظمة شرعت بالكيفية المنصوص عليها في المادتين السابقتين.

المادة الخامسة والعشرون: للمجلس التشريعي أن يستعين بأهل الخبرة والمعرفة بالعلوم والقوانين ليستأنس بأرائهم عند سن القوانين التي تستلزم الوقوف على ما قرر بشأنها من أحكام من قبل الآخرين أو لمعرفة ما يتصل بالأمر الوارد سن القانون له.

• الفصل الرابع: في السلطة القضائية

المادة السادسة والعشرون: يقام في البلاد نظام قضائي للمحافظة على حقوق الأفراد والجماعات والحكم بينهم بالعدل.

المادة السابعة والعشرون: تتبع في القضاء القوانين التي أصدرها المجلس التشريعي، وما لم يصدر المجلس التشريعي قانوناً في أمر ما فعلت الجهة القضائية أن تطبق الأحكام الشرعية القطعية أو الاستنباطية، أي على القاضي أن يجتهد لمعرفة الحكم الواجب التطبيق.

المادة الثامنة والعشرون: ولاية القضاء على جميع المواطنين والمقيمين في البلاد من الأجانب ولا يخرج عن ولايتها أحد.

المادة التاسعة والعشرون: تكون أبواب المحاكم مفتوحة لكل شخص ولا تؤخذ أجره على إقامة العدل وأدائه (أي تلغى رسوم المحاكم).

المادة الثلاثون: لا يستثنى أحد من الحضور أمام المحاكم بسبب مكانته الاجتماعية أو منصبه الرسمي.

• الفصل الخامس: في النظام الاجتماعي

المادة الحادية والثلاثون: يؤمن الحزب بأن الأسرة هي حجر الزاوية في بناء المجتمع، والرجل والمرأة هما ركني الأسرة وعليهما تقوم أعباءها، وعلاقتها تقوم على أساس المساواة في الحقوق والواجبات إلا فيما خصت الشريعة به أحدهما، كالقوامة للرجل على المرأة.

المادة الثانية والثلاثون: واجب المرأة الأصلي رعاية البيت وتربية الأطفال تربية صحيحة سليمة، ولا مانع من اشتغالها خارج البيت مما يناسب طاقتها ولا يعرضها للمفاسد ولا يشغلها عن واجبها الأصلي.

المادة الثالثة والثلاثون: يؤمن الحزب بضرورة تطبيق التكافل الاجتماعي المقرر في الإسلام والقاضي بضرورة قيام الدولة (باعتبارها ممثلة للمجموع) بكفالة جميع المواطنين غير القادرين على العمل أو من لا يكفيهم دخلهم، وذلك بتأمين حاجاتهم الأساسية من خزينة الدولة وهذا سواء كانوا مسلمين أو غيرهم.

المادة الرابعة والثلاثون: يؤمن الحزب بأن الدولة مكلفة بإعداد الفرد للعمل والإنتاج وتيسير العمل له، ولكل عامل حق التمتع بشمرة جهوده وعمله.

المادة الخامسة والثلاثون: يؤمن الحزب بأن على الدولة أن تطهر المجتمع من جميع المنكرات والمفاسد وأن تقي الناس شرورها كما تقيهم من الأمراض وأسبابها، وعليها أن تشيع الفضيلة بين الناس وتقوي الوازع الديني في النفوس، حتى يكون المجتمع فاضلاً طاهراً.

• الفصل السادس: في التعليم

المادة السادسة والثلاثون: يرى الحزب ضرورة تعميم التعليم الإلزامي ومكافحة الأمية، ويعتبر التعليم حقاً للفرد على الدولة.

المادة السابعة والثلاثون: يجب أن تقوم سياسة التعليم ومناهجها على أساس

العقيدة الإسلامية وفلسفتها، حتى تحفظ للأمة شخصيتها الإسلامية ومقومات حياتها، وحتى تضمن لناشتها العقلية السليمة المدركة.

المادة الثامنة والثلاثون: يجب أن يوجه التعليم على نحو يفي بحاجات الأمة في جميع النواحي المعرفة والعلوم، وأن تأخذ الدولة بأساليب العلوم التجريبية المادية بكافة فروعها. على أن يكون ذلك منسجماً مع الأساس الأول لاتجاه التعليم العام كما ذكر في المادة السابقة.

المادة التاسعة والثلاثون: يعتبر الحزب الإذاعة والصحافة ونحوهما من وسائل التوجيه والتثقيف المهمة التي يجب أن تستغل لتربية الفرد والأمة وتوجيهها الوجهة السليمة نحو حياة رشيدة قوامها الإيمان بالله ودوام مراقبته والشعور بالمسؤولية تجاهه والالتزام بأوامره.

المادة الأربعون: لا يجوز بتاتاً الخروج عن السياسة العامة للتعليم بحجة حرية الرأي من أي شخص كان، فحرية الرأي تصير فساداً إذا كان فيها خروج على أساس الدولة ونظامها العام وعقيدتها التي تدين بها، والفساد يجب أن يزال تحت أي اسم كان.

المادة الحادية والأربعون: للمرأة الحق في أن تتعلم، ولكن يرى الحزب أن يكون تعليم المرأة بما يناسبها ويحقق فائدة المجتمع على نحو أفضل.

• الفصل السابع: في النظام الاقتصادي

المادة الثانية والأربعون: يؤمن الحزب بأن حقوق الملكية الخاصة مصونة.

المادة الثالثة والأربعون: حرية العمل مصونة لجميع الأفراد ولهم اكتساب الأموال

بكل طريق مشروع.

المادة الرابعة والأربعون: يحرم كل عمل يعود على المجتمع بالضرر أو يقوم على

الربا أو الاحتكار.

المادة الخامسة والأربعون: الزكاة حق مالي للفقراء في أموال الأغنياء وعلى الدولة أن نجيبها من الأغنياء وتحفظها عندها وتصرفها على مستحقيها من الفقراء وغيرهم المنصوص عليهم في الشريعة الإسلامية.

المادة السادسة والأربعون: للدولة أن تفرض الضرائب العادلة على المواطنين كلما دعت الحاجة إلى ذلك على أن تصرف هذه الضرائب فيما يعود على الجميع بالنفع العام.

المادة السابعة والأربعون: يؤمن الحزب بضرورة انتهاج سياسة الاكتفاء الذاتي كخطوة أولى لبناء كيان اقتصادي مستقل يؤمن حاجيات الشعب.

المادة الثامنة والأربعون: يؤمن الحزب بضرورة المبادرة إلى تطوير الحياة الاقتصادية في العراق.

المادة التاسعة والأربعون: يرى الحزب ضرورة تشجيع رؤوس الأموال الوطنية في إنشاء المشاريع الضرورية لسد الحاجات الملحة في البلاد.

المادة الخمسون: يؤمن الحزب بضرورة العمل لتأمين مستوى لائق للعمال على أن تكون العلاقات بين العمال وأرباب العمل علاقات تعاون من أجل رفع مستوى الإنتاج وحصول العامل على أجر عادل مناسب مع جهده وتأمين حاجته، والعمل على تنظيم العمال في نقابات مهنية تعمل من أجل رفع المصالح العمالية في جو بعيد عن الحزبية.

المادة الحادية والخمسون: يؤمن الحزب بضرورة توزيع الأراضي على الفلاحين وتسليفهم بالمبالغ اللازمة لهم بدون فائدة، وشرائها المنتجات الزراعية تشجيعاً لهم.

المادة الثانية والخمسون: يرى الحزب ضرورة قيام الدولة بالكشف عن منابع الثروات واستغلالها على أحسن وجه لتحقيق المنفعة العامة للبلاد.

المادة الثالثة والخمسون: يؤمن الحزب بضرورة قيام الدولة بمنع التعامل بالربا

سواء كان بين الأفراد أو عن طريق المصارف تخليصاً للناس من شرور الربا على أن يتم ذلك تدريجياً وعلى ضوء الدراسات الاقتصادية الدقيقة، وأن توجد المصارف التي تتعامل بدون ربا.

• الفصل الثامن: في السياسة الداخلية والخارجية

المادة الرابعة والخمسون: يؤمن الحزب بضرورة الوحدة العراقية بين جميع المواطنين على أساس الجنسية العراقية، ويعتبر العراق جزءاً من الأمة العربية التي يجب أن تتوحد في دولة قوية على أساس الإسلام لا على أساس آخر، لتكون هذه الدولة الواحدة نواة للوحدة الإسلامية الشاملة بين جميع الشعوب الإسلامية ولتقوم في العالم دولة إسلامية تضم جميع المسلمين.

المادة الخامسة والخمسون: يؤمن الحزب بأن الاستقلال الصحيح لن يحقق مفهومه الصحيح إلا بمحاربة الاستعمار والتبعية على اختلاف أنواعها وضروبها سواء كان هذا الاستعمار أو التبعية سياسياً أم عسكرياً أم اقتصادياً أم ثقافياً، حتى تتحقق للأمة شخصيتها المستقلة حقاً وهي (الشخصية الإسلامية).

المادة السادسة والخمسون: يؤمن الحزب بضرورة التضامن العربي ويعتبره ضرورة من ضرورات كفاح الشعب العربي لنيل استقلاله وتحرره.

المادة السابعة والخمسون: قضية فلسطين لا يمكن حلها إلا عن طريق القوة بإخراج المغتصبين لها وإرجاع أهلها، ولهذا فإن الحزب يؤمن بأن الطريق الوحيد هو استعمال القوة بعد أن فشلت جميع الوسائل السلمية لحلها، ويدعو الحزب الدول العربية أن تجند اخواننا الفلسطينيين اللاجئين في أرضها وتجعل منهم جيشاً حاضراً مع مواطنيها لتشعرهم حقيقة بين أهلهم واخوانهم.

المادة الثامنة والخمسون: يؤمن الحزب بضرورة نصرة الجزائر وعمان وسائر البلاد الإسلامية الأخرى المنكوبة بالاستعمار، نصراً مادياً ومعنوياً.

المادة التاسعة والخمسون: يؤمن الحزب بسياسة الحياد الحقيقي بين المعسكرين المتنازعين في العالم، ولذلك فالحزب يقاوم الأحلاف والتكتلات الموائيق العسكرية التي تعقدها الدول الاستعمارية لربط الشعوب بعجلة مثالها.

المادة الستون: يؤمن الحزب بالرابطة الإنسانية بين شعوب العالم قاطبة. وهذه الرابطة التي يجب أن تقوم على أساس مصلحة الإنسانية وتعاونها على الخير من أجل بناء عالم أفضل.

وقد عرض قادة الحزب دستور الحزب الإسلامي على علماء الشيعة :

• يقول الأستاذ إبراهيم المدرس : وفور تأسيس الحزب الإسلامي شكلنا وفداً مني، ومن الأستاذ وليد الأعظمي، والشيخ كاظم الساعدي، فذهبنا إلى النجف وقابلنا السيد محسن الحكيم، والسيد أبا القاسم الخوئي، والسيد محمد باقر الصدر، والشيخ عبدالكريم الجزائري - وكان قد تجاوز المائة - وكان أشدهم حماساً في تأييدنا ومباركة سعيينا في سبيل نصرته الإسلام والمسلمين، وقال : يا ليتني كنت جذعاً، ولكن لا أملك غير الدعاء لكم بالتوفيق وأبارك لكم سعيكم. والحق أننا وجدنا من الجميع التأييد الحار والاستعداد الكامل للتعاون معنا في كل ما يخص مصلحة الإسلام والمسلمين^(١).

• ويقول الأستاذ نور الدين الواعظ : في مقابلتنا للسيد محمد باقر الصدر، قرأنا عليه دستور الحزب الإسلامي، فأيده تأييداً كاملاً.

وقال : ذهبنا إلى السيد محسن الحكيم، وكان مريضاً ولم نستطع مقابلته فخرج إلينا ابنه السيد مهدي، وقال إن الوالد يقول : إن دستور الحزب الإسلامي دستور إسلامي صاف، وليست فيه أية نزعة طائفية وأنا موافق عليه^(٢).

(١) مقابلتي السابقة له.

(٢) مقابلتي السابقة له.

وبعد الحصول على إجازة الحزب، قدم الحزب طلباً إلى وزارة الإرشاد لإجازة جريدة الحزب (الجهاد) ولكن الجواب تأخر كثيراً، فاضطر الحزب نشر مذكراته وأخباره في جريدة (الفيحاء) لصاحبها كاظم الساعدي، وجريدة (الحياة) لصاحبها فاضل شاكر النعيمي، وجريدة (الحرية) لصاحبها قاسم حمودي. ومن هنا فقد أرسل الحزب مذكرة إلى وزارة الإرشاد بشأن إعاقه الوزارة لإصدار جريدة الحزب، وبيان أسباب محاربة الحزب^(١).

أما مذكرات الحزب، فقد كانت كثيرة ومتنوعة، فعلى سبيل المثال:

- * عندما صرح شاه إيران بتاريخ ٢٥ / ٧ / ١٩٦٠ م بالاعتراف بإسرائيل، قام الحزب الإسلامي بنشاط كبير في سبيل دحض هذا الاعتراف، فقابل رئيس الحزب الأستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائي وزير خارجية العراق، وشرح له خطورة الأمر، كما أبرق إلى كبار مجتهدي الشيعة في إيران، مستنكراً وطالبا التدخل وعدم قبول هذا الواقع، منهم السيد البروجردي والكاشاني والبهبهائي والخوانساري.
- ومن علماء العالم الإسلامي، شيخ الأزهر محمود شلتوت، وأبو الأعلى المودودي.
- وطلب الحزب من الحكومة القيام بمظاهرة سلمية في بغداد ضد هذا الاعتراف^(٢).
- * وقدم الحزب مذكرة صريحة حول الأوضاع الداخلية السيئة، وبين معالجات الإسلام لمشكلات المجتمع الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية^(٣).
- * وقدم الحزب مذكرة طويلة بشأن تطبيق الشريعة الإسلامية وترك العمل

(١) جريدة الحياة، العدد: ٥٧، السنة الأولى، ٢٧ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ الموافق ٢ حزيران ١٩٦٠ م.

(٢) إضبارة المشايخي، ص: ٦٧.

(٣) جريدة الحياة، العدد: ٣١، السنة الأولى، ١٥ آيار ١٩٦٠ م.

بالقوانين الوضعية^(١).

* وقدم الحزب مذكرة أخرى طويلة بشأن إعطاء الحكومة المجال للشيوعيين في إفساد النظام الوطني^(٢).

* وقدم مذكرة أخرى بمناسبة ذكرى نكبة فلسطين، تذكر فيها الحكومة بأداء واجبها تجاه هذه القضية^(٣).

* وقدم مذكرتين بشأن إطلاق سراح مجتهد الشيعة الكبير محمد مهدي الخالصي، والشيخ عبدالعزيز البدري^(٤).

والثانية بشأن إطلاق سراح رشيد عالي الكيلاني، وعبد السلام محمد عارف^(٥). ودعا الحزب إلى اجتماع لعلماء العراق في يوم الاثنين ١٥ / ٨ / ١٩٦٠ م، لدراسة الوضع الإسلامي في العراق والوقوف أمام موجة الحزب الشيوعي. وتقديم اقتراحات إلى عبدالكريم قاسم وطلب إطلاق سراح المعتقلين عامة وعلماء الإسلام خاصة^(٦). يقول عضو الهيئة الإدارية المركزية للحزب الأستاذ نظام الدين عبدالحميد : (الحكومة ما كانت تعير لمذكرات الحزب وتوجيهاته ومآخذه على سياستها الخاطئة آذاناً صاغية، وكان يزعمها ما كان يصدر منه من نقد، فكانت تحاول جاهدة الحد من نشاطه بمراقبة أعضائه حيناً وحجز بعضهم حيناً وإبعاد بعضهم حيناً آخر، وتعطيل جريدة الحيات، كلما ظهر فيها ما يزعمها من كلام ونقد).

(١) جريدة الحيات، السنة الأولى، ٣١ آيار ١٩٦٠ م.

(٢) جريدة الحيات، السنة الأولى، ٢٩ محرم ١٣٨٠ هـ.

(٣) جريدة الحيات، السنة الأولى، ١٥ آيار ١٩٦٠ م.

(٤) جريدة الحيات، السنة الأولى، ٣١ آيار ١٩٦٠ م.

(٥) جريدة الحيات، العدد : ٤٨، ٣ حزيران ١٩٦٠ م.

(٦) إضبارة المشايخي، ص : ١٤٠ - جريدة الحيات، العدد : ١٠٢، ٢١ آب ١٩٦٠ م.

مذكرة الحزب الشهيرة :

ولما وجد الحزب تمادي الحكومة في غيها، والإصرار على السير فيما انتهجته من سياسة دون الالتفات إلى نصيحة ناصح أو توجيه صائب لموجه، رأى الواجب يدعو إلى المواجهة الصريحة الصائبة بتوجيه بيان مسهب صريح إلى رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم بالذات، ليضع أمامه كل المساوي التي ارتكبت في عهده وما أصابت الأمة من المحنة والإيذاء تحت ظل حكمه. ولما كانت جريدة الحياذ موقوفة عن الصدور بأمر من الحاكم العسكري العام، تم توجيه هذا البيان في جريدة (الفيحاء) للشيخ كاظم الساعدي أحد علماء الشيعة، في يوم السبت الموافق ٢٤ من ربيع الثاني من سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ١٥ تشرين الأول من سنة ١٩٦٠ م. وتم طبع الجريدة في بغداد في جو من الكتمان خوفاً من اطلاع الرقابة على البيان ومصادرة أعداد الجريدة قبل توزيعها، كما تم توزيعها في يوم واحد بأعداد كثيرة في جميع محافظات العراق، ولم تتبهِ الحكومة إلى الأمر إلا بعد إتمام التوزيع واطلاع الجمهور على البيان الذي كان بمثابة قنبلة، هزت أركان الحكومة ومؤيديها من الشيوعيين والمتفعين^(١).

ولأهمية هذه المذكرة التاريخية الخطيرة ثبت نصها كما ورد في الجريدة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيادة رئيس الوزراء اللواء الركن عبدالكريم قاسم .. المحترم

قال رسولنا وزعيمنا محمد ﷺ «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، ومن أبسط لوازم الاهتمام إبداء الرأي في مشاكل الأمة وإرشادها إلى خير ومراقبة الحكام

(١) المذكرة، مصدر سابق، محفوظة في مكتبي، ص : ٤.

ونصحهم ونقدمهم، وبيان خطئهم.

وعلى هذا النهج سار المسلمون الأولون حكاماً ومحكومين فسعدوا في دنياهم وآخرتهم وحققوا في الأرض حكماً صالحاً وأقاموا مجتمعاً فاضلاً وأسسوا دولة مثالية ليس فيها مكان لمستبد ظالم، ولا لحاكم جائر، ولا لمواطن ينافق ذا السلطان ويتملقه بالباطل.

ويكفيها هنا أن نذكر أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب : {إتق الله يا عمر، فقال له أحد الحاضرين : أتقول هذا لأمر المؤمنين، فقال عمر بن الخطاب قوله التي صارت مثلاً : (لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها)}.

هكذا يكون الحاكم الصالح، وهكذا تكون الأمة الواعية الصالحة. فعمر بن الخطاب لا يكتفي بسماع ما قاله ذلك المواطن وإنما يدفع الأمة إلى استعمال حقها بل القيام بواجبها نحو الحكام فيقرر، أن لا خير في الأمة إن لم يقم أفرادها بمراقبة الحكام، ونصحهم وتقديمهم وإرشادهم وبيان أخطائهم وأسماهم قول الحق دون مداجاة أو رياء أو نفاق، كما يقرر ذلك الخليفة الصالح، أن لا خير في الحكام ومن بيده السلطان إن لم يسمعوا نقد الأمة ونصحها سماع رضى وقبول، لا سماع سخط وإنكار.

إن حزبنا الإسلامي قد أخذ على نفسه عهداً ليقتفي أثر سلفنا الصالح مهتدياً بهدي الإسلام في كل من يأخذ ويترك وفي كل ما يقول ويكتب وفي نقده ومدحه، سواء رضى عنه الناس والحكام أم سخطوا، فرضى الله هو مطمع العارفين، ومتتهى غاية المسلمين الصادقين. ونرجو أن تكون من هؤلاء _ إن شاء الله تعالى _ .

وبعد : فإن الحزب يقدم آراءه في بعض قضايا الساعة قياماً بواجبه نحو الأمة كما

فرضه الله تعالى :

أولاً : موقف الحكومة :

منذ أن قام الحزب الإسلامي أخذت الحكومة تضايقه وتعمل على عرقلة أعماله سرّاً وعلناً، كأن الإسلام الذي ندعو إليه أمر يخالفها ويزعجها ويرعبها. وكأننا في بلد غير إسلامي، ومن أبرز هذه المضايقات حجز عضو الهيئة الإدارية للحزب الأستاذ (الحاج طه جابر) دون تحقيق معه حتى الآن بالرغم من مضي أكثر من شهر على حجزه. ومنع الحزب من إصدار جريدته (الجهاد) من قبل الحكومة، والحكومة أنت يا سيادة رئيس الوزراء وما الوزراء الذين معك إلا منفذين لأمرك إن كل ما تعللت به الحكومة من منع الحزب من إصدار جريدته هو عدم رضاها عن رئيس تحريرها المسؤول. مع إنه أحد مؤسسي الحزب، وكان مسؤولاً عن جريدة سابقة. ثم أبدل الحزب هذا المسؤول بغيره، ولم تجب الحكومة حتى الآن وربما لا تجيب إلى الأبد، أو تجيب بعد حين، وتقول : إن هذا الشخص غير مرضي، وهكذا إن موقف الحكومة قبل الحزب وسوء استعمال سلطتها لا يمكن أن تخفى حقيقته على أحد ولا يمكن تبريره أبداً. إن بغداد - دار السلام - تعج بالصحف التي تفسد العقيدة وتدعو إلى العلمانية، وتمجد باطل الشيوعية ولكن الحكومة لا ترى في ذلك بأساً ولا خطراً. لأن الخطر - في رأيها - يكمن في إصدار جريدة إسلامية للحزب الإسلامي.

إن هذه المفارقات لا تقوى عقولنا على إدراك حكمتها، وكل ما تستطيع عقولنا إدراكه هو إن الحكومات الرشيدة الصالحة، هي التي تسهل للجماعات الصالحة سبل العمل لخدمة الأمة، وإن الحكومات القاصرة والظالمة هي التي تعسر سبل العمل على هذه الجماعات وتقل في طريقها الأشواك.

إن الحكومة تردد كثيراً على وجه المباهات والفخار أنها ترعى حرية الرأي وقيام الأحزاب، فكيف يتفق هذا القول مع موقف الحكومة من حزبنا الإسلامي.

الا نعتقد لنا أن نقول، إن قول الحكومة يصدق على الحزب الشيوعي بشقيه العلني

والسري وجرائده وأشياؤه ولا يصدق على الحزب الإسلامي.

ومهما يكن الحال فإننا عازمون على المضي في طريقنا الإسلامي متحملين كل أذى حاضراً ومستقبلاً، باذلين جهدنا في خدمة أمتنا بالوسائل الميسورة لدينا حسب المنهج الإسلامي الحق الذي لا حق غيره، حتى تستيقظ الروح الإسلامية في أمتنا العزيزة، ويكمل وعيها الإسلامي. وعند ذلك ستقوم هي بإصلاح ما فسد وتقويم ما اعوج وإرشاد من ضل، ولن يستطيع أحد كائناً من كان أن يخذعها ويغرر بها أو ينسبها عقيدتها أو يسير بها على غير سبيل الإسلام.

ثانياً : موقف الحكومة من الشيوعية :

فسحت الحكومة المجال للشيوعيين ورعتهم وأيدتهم سرّاً وعلناً، فانطلقوا يدعون الناس إلى باطلهم بالقول المزخرف وتحريف الكلام عن موضعه. ثم انقلبوا من مقام الدعوى إلى مقام التهديد على مسمع من الحكومة ويعلمها وتأييدها وصار الناس في نظر الشيوعيين أحد اثنين : شيوعي وغير شيوعي.

فالأول هو المخلص وحامي حمى الجمهورية، والثاني هو الخائن أو المتآمر أو المرتد أو الرجعي. ورتبوا على هذا المنطق المفلوج أن أباحوا لأنفسهم ملاحقة غير الشيوعي وإلحاق الأذى به، على مسمع من الحكومة ويعلمها وتأييدها. ثم بلغ الإجرام الشيوعي ذروته في مآسي الموصل وكركوك، ولم تفعل الحكومة أكثر من نعت مجرمي كركوك فقط بالفوضوية، كأن نعت المجرمين الشيوعيين بهذا الوصف يعيد للأمم الشكلى ابنها الوحيد، ويرد للزوجة المفجوعة زوجها الشاب الشهيد.

إن ما وقع في الموصل وكركوك لا يمكن أن ينسى أبداً، ولا يمكن أن تبرأ الحكومة من مسؤوليته. إن المآسي التي وقعت ما كانت لتقع لولا تأييد الحكومة للشيوعية ورعايتها للشيوعيين.

إن تأييد الشيوعية لا يقرها الإسلام، لأن الشيوعية فكرة باطلة مخالفة له مخالفة صريحة، ومن ثم لا يجوز لأحد أن يعتنقها أو يساعد على نشرها. فرعاية الحكومة للشيوعية عمل مخالف للإسلام وباطل لا يجوز للحكومة أن تقدم عليه، ولا تملك حق رعاية الباطل المفسد لعقيدة المسلمين، ولم تخولها الأمة مثل هذا الأمر.

والآن وقد تبين للحكومة خطأها العظيم في رعاية الشيوعية والشيوعيين، أما أن لها أن تثوب إلى رشدها وترجع عن خطئها إن الإنسان إذا لم يكن مطالباً بالعصمة عن الخطأ، فإنه مطالب على وجه التأكيد أن لا يصير على الخطأ بعد أن تبين له، وهل بعد مآسي الموصل وكركوك من حاجة إلى مزيد من البيان؟.

والرجوع عن الخطأ وتصحيح ما فسد، يكون بما يأتي:

١ - الإعلان الصريح للأمة بأن الشيوعية محرمة شرعاً، وأن الحكومة تلتزم بهذا

التحريم.

٢ - سحب إجازة الحزب الشيوعي العلني الميت، ومنع نشاط الحزب الشيوعي

الحبي.

٣ - منع الصحف من الترويج للشيوعية حفظاً لعقيدة الأمة ودون الالتفات إلى

ضجيج المبطلين وقولهم إن هذا مصادم لحرية الرأي.

فإن الحرية تقف أو توقف حيث تكون أداة لإفساد عقيدة الأمة والإضرار بها

والإخلال بوحدتها. وأن الحكومة إذا أحببت ضلال الشيوعية، فليس من حقها أن

تحجب هذا الضلال إلى أبناء المسلمين.

٤ - أن تكف الحكومة من رعاية الشيوعيين ومؤتمراتهم الداخلية والعالمية، فإن

واجبها هداية الضال لا تشجيع الضال. وإن من واجبها إنفاق أموال الأمة على

مصالح الأمة لا على وفود المؤتمرات الشيوعية كمؤتمر الطلاب العالمي.

٥ - أن تنزل العقاب بمرتكبي جرائم الموصل وكركوك المباشرين منهم والمحرضين،

فإن ذوي القتل لا تهدأ نفوسهم إلا إذا رأوا القصاص العادل ينزل بالمجرمين ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ولا يحق للحكومة أن تعفو عن المجرمين القتلة، ولا أن توقف الأحكام في حقهم، لأنها لا تملك مثل هذا الحق، وصحة التصرف مرهونة بتصرف الإنسان بما يملك، وإذا كانت الحكومة تحس بعطف على ذوي القتل الأبرياء وتريد القصاص الذي أمر به رب العباد.

٦ - إن كل تباطىء في الاقتصاص من مجرمي الموصل وكركوك يجعل الناس يصدقون يقيناً ما كان قد قيل إن جرائم الموصل وكركوك كانت بعلم من الحكومة وتأييد منها للفاعلين.

٧ - الكف عن رعاية الحكومة للشيوعيين لاسيما رؤوسهم وتنفيذ الأحكام الصادرة بحقهم، لأن هذا من مقتضى سيادة القانون، التي يجب أن تطبق على الجميع. أما صدور الأحكام ثم إلغاؤها كما حصل للمدعو عبدالقادر إسماعيل أحد رؤوس الشيوعية قبل أن تمر ليلة واحدة على صدور الحكم. فإن هذا يعطينا دليلاً ملموساً على مدى عطف المسؤولين على جميع الرعية بالسوية، فليس من العدل والإنصاف أن يلغى حكم المجلس العرفي العسكري على صاحب جريدة (اتحاد الشعب) في الوقت الذي يبعد صاحب جريدة (الحياة) إلى نقرة السلیمان، فهل وصلنا إلى درجة عدم مساواة رجل مسلم يدعو إلى الإسلام بشيوعي يدعو للكفر والإلحاد في بلد الإسلام. ومما يؤيد استمرار الحكومة على رعاية الشيوعيين ومحاربة غيرهم ما جرى لجريدة (الحرية) من حيث أسلوب غلقها. ذلك الأسلوب الذي لم نعهده من حكومة ما، فقد كان البيان الرسمي يتضمن سباً وطعنات في شخص صاحب الجريدة وهو الأعزل عن إمكانية الرد. كما أنه لم يتغير نهج جريدته عما كان عليه سابقاً يوم صرح

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

رئيس الوزراء في المستشفى من أن صاحب جريدة الحرية مندمج في خط الثورة ولا يؤخذ بجريرة ابنه.

أما البيان العسكري فقد أقحم قضية ابنه ونحميل أبيه مسؤولية الابن، ونحن بغض النظر عن إدانته، لأن لنا رأينا الخاص في المحكمة العسكرية العليا الخت وأحكامها ونؤمن بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١)، وهذا مبدأ إسلامي مسلم به.

ثالثاً: الاعتقالات والحجز :

سلكت الحكومة سبيل الاعتقالات وحجز الناس في المواقع أو حجزهم في بيوتهم وتعطيلهم عن أعمالهم من أهليهم. وقد أخذت الحكومة بهذا المسلك منذ سنة. وحتى الآن لم يسلم من هذا الأسلوب حتى علماء الإسلام، ولا يزال بعضهم بين محجوز في بيته وبين موقف في الموقف دون أن توجه لهم تهمة أو يجري معهم تحقيق. إن الحكومة لا ينبغي لها أن تترك هذا المركب الصعب، وتأخذ البريء بجريرة المذنب. فالأصل في الإنسان براءة الذمة. فإذا ارتابت الحكومة بأن إنساناً ارتكب جريمة ما، فعليها أن تحقق معه سريعاً وترسله إلى القضاء إن ترجحت إدانته وظهرت علائمها، وإلا فتطلق سراحه حالاً. أما أن تلقي الأبرياء في غيابة المواقع والسجون أو تحجزهم في البيوت، دون تهمة معينة وتبقيهم هكذا الشهور الطوال، فهذا أمر لا يقره شرع ولا قانون ولا إنصاف.

وعليه فنحن نرى لزوم تشكيل الهيئات التحقيقية التزيمية العادلة لتقوم بمهمة التحقيق مع كل معتقل أو محجوز أو مبعّد، وتبت في أمره، فإما بريء فتأمر بإطلاق سراحه، وإما ترجح إدانته فيقدم إلى المحاكم المختصة للبت في قضيتة على وجه السرعة دون إبطاء.

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٦٤.

رابعاً: تصدع وحدة الأمة :

لم يشهد العراق انقساماً بين صفوف الأمة كالانقسام المشاهد الآن ولا شك أن الحكومة مسؤولة عن وحدة الأمة والمحافظة عليها ومنع ما يصدعها وإن أعظم ما فرق الأمة في نظرنا إفساح المجال للأفكار والمبادئ الباطلة كالشيوعية التي ساهمت الحكومة مساهمة فعالة في نشرها وتأييدها. كما أن العنصرية قد ظهرت في عراقنا المسلم. ولا تنجو الحكومة من مسؤولية ذلك. إن الطريق الوحيد لوحدة الأمة هو الإسلام، فالإسلام هو الذي يوحد وغيره هو الذي يفرق. وسبيل الوحدة بالإسلام. تبني الحكومة له، فتحمله عقيدة ونظاماً، فتطبق أحكامه جميعاً بالداخل وتحمله في الخارج، وتلغي كل تشريع باطل يخالف للإسلام سواء شرع في العهد المبادي أم في هذا العهد كقانون الموارث الذي سته الحكومة الحاضرة، وهو مصادم لتصوص القرآن ومخالف لها. وبدون هذا الذي نقول لا يمكن أن تكون هناك وحدة حقيقية بين صفوف الأمة. أما ما يقال إن هذا أمر لا يمكن تحقيقه في البلاد. لأن فيها طوائف غير إسلامية، فالجواب إن تأسيس الدولة على أساس الإسلام وتطبيق أحكامه أسهل من تأسيسها على نظام الشيوعية أو على أساس أي مبدأ باطل.

فأهل البلاد بأكثرية مسلمون، وغير المسلمين يرحبون بتطبيق أحكام الإسلام، لأنها إذا لم تطبق أحكامه طبقت أحكام غيره من الشرائع، لا أحكام دينهم. فأبي ضرر يلحقهم في ذلك، فضلاً عن أن الإسلام يقر أهل الأديان الأخرى على ديانتهم ولا يكرههم على تبديلها ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١).

خامساً : الحالة الاقتصادية :

لا نأتي بجديد ولا نبوح بسر إذا قلنا إن الحياة الاقتصادية في تدهور وأن البطالة

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٦.

في تزايد، وإزاء هذه الحالة يجب على الحكومة أن تدرس أسبابها وتقف على عواملها وتضع العلاج السريع لها فتقوم مثلاً بتنفيذ المشاريع الاقتصادية المدروسة لتشغيل الأيدي العاملة فيها وتقوم بالمشاريع الإنتاجية، وعدم تبذير أموال الدولة في ما لا ينفع مثل إقامة النصب والتماثيل وفتح الساحات واستملاك البنايات لهذا الغرض بملايين الدنانير. فأي فائدة من ذلك والضييق الاقتصادي يأخذ بخراب الناس.

كما أن على الحكومة أن تودع شؤون الإصلاح الزراعي في أيدي أمينة بعيدة عن الحزبية الشيوعية، وتبادر إلى انجاز مشاريع الري وتسليف الفلاحين ما يكفيهم ومراقبتهم في وجوه إنفاق ما سينفقون ونحو ذلك.

سادساً: حقوق العمال :

للعمال حقوق يجب أن تصان ولا تهدر مثل حصولهم على الأجور العادلة والتأمين ضد البطالة والمرض والشيخوخة وسماع شكواهم ومطالبهم، فإن كانت حقاً نفذت وإن كانت باطلة ردت، وجعل نقاباتهم بعيدة عن تيار الحركة الشيوعية حتى تكون مهنية، تعني بشؤون العمال وخدمة مصالحهم لا خدمة الشيوعية.

سابعاً: سياسة التعليم :

سبق وأن قدمنا مذكرة للمسؤولين تبين رأينا فيما يجب أن تكون عليه سياسة التعليم والأساس الذي تقوم عليه. وخلاصة ذلك ما قلناه هو جعل العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي تبنى عليه فلسفة التعليم وأهدافه وأغراضه، حتى ينشأ في الأمة جيل يؤمن بالله واليوم الآخر ويراقب الله في عمله سرّاً وعلناً، وحتى تحفظ للأمة شخصيتها الإسلامية. وعلى هذا الأساس طالبنا أن تكون مناهج الدراسة حتى تكون ملائمة لهذا الذي ندعو إليه، ونحن نكرر طلبنا السابق ونعتقد أن عدم الأخذ به تفريط بحق الأمة.

ثامناً : التضامن مع الدول العربية :

إننا نطالب الحكومة بإزالة الفرقة مع الدول العربية والإسلامية. وندعو إلى توثيق عرى التضامن معها، لأنها جزء من الأمة الإسلامية. على أن يكون هذا التضامن على أساس الإسلام الذي يجمع بين الدول العربية وغيرها من الدول الإسلامية. إننا ندعو إلى وحدة الدول العربية على أساس الإسلام باعتبار أن هذه البلاد جزء من البلاد الإسلامية، وأن قيام الوحدة بينهما أقرب تحقيقاً من غيرها لاعتبارات، إلا أننا نصر على أن يكون أساس هذه الوحدة ونظامها وأهدافها وروحها هو الإسلام عتيقة وأحكاماً ونظاماً. فعلى الحكومة أن تعمل على إزالة الفرقة وزيادة التضامن في مختلف المجالات تمهيداً إلى الوحدة على أساس الإسلام، وهي آتية لا ريب فيها - إن شاء الله تعالى - .

تاسعاً : شركات النفط :

إن النفط ثروة جسيمة للأمة، فيجب إحسان الانتفاع منها، وهذا لا يكون في نظرنا إلا بأن تقوم الحكومة نفسها باستخراج النفط وبيعه وعدم إيكال ذلك إلى شركات النفط. وعليه فنرى أن الطريق إلى نفع الأمة هو تأمين هذه الشركات وتعويضها عن منشأتها، وقيام الحكومة بمهام استخراجها بأيدي أهل البلاد، وإن أعوز ذلك فلا بأس من استئجار الخبراء من الدول المحايدة. إنما يدعونا إلى التأمين فضلاً عن فوائد المادية للبلاد، هو أن الشركات تعمل دائماً بروحي من حكوماتها الاستعمارية وكثيراً ما يتجاوز حدود عملها وتعمل على بث الدسائس والعمل على الإضرار بمصلحة البلاد، وإذا تعذر التأمين في الوقت الحاضر، فعلى الحكومة أن تهيأ الأسباب اللازمة والكفاءات الفنية لتحقيق هذا المطلب في المستقبل.

عاشراً : الخاتمة :

وبعد فهذه آراؤنا في القضايا التي ذكرناها، مستمدة من هدي الإسلام وعلى

الحكومة أن تسترشد بها وتأخذ بها، لأن الحكومة المسلمة هي التي تخضع لحكم الإسلام وترجع إليه في جميع تصرفاته، فإن فعلت ذلك رشدت، وإن أبت ضلت وسببت لشعبها النكد والضيق ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾^(١). وليعلم المسؤولون أن حكم العهد المباد قد سقط وانهار لانحراف حكامه عن حكم الإسلام، وإن سنة الله واحدة في الأولين والآخرين، كما أن عليهم أن يعلموا أن الثورة قد نجحت في قضائها على فساد وظلم العهد المباد، ولكن لم تنجح حتى الآن في إيجاد الإصلاح الإيجابي في جميع شؤون البلاد.

إن الأمة لا يقنعها بصلاح الأحوال تكرار القول بأن الثورة قد قضت على العهد الفاسد المباد، ما لم تر الإصلاح الحقيقي الإسلامي في جميع شؤون الدولة. لأن القضاء على العهد الفاسد وسيلة لا غاية، وسيلة لقيام عهد صالح، فإن لم يتم هذا العهد، فلا يغني الكلام ولا تعتبر الثورة ناجحة، والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الحزب الإسلامي في العراق

وقد أدت هذه المذكرة المهمة فوراً إلى اعتقال أعضاء الهيئة الإدارية للحزب والتحقيق معهم في ذلك. وقد كانت المذكرة مفاجئة كبيرة للشعب العراقي جميعاً، بحيث صعدت النسخة الواحدة إلى (عشرة دنانير) في حين أن ثمن العدد كان (١٦) فلساً، والدينار العراقي يساوي (١٠٠٠) فلس.

وفي الجمعة التي تلت اعتقال أعضاء الهيئة الإدارية، هاجم معظم خطباء المساجد، الحكومة وعبدالكريم قاسم والشيوعيين، وأعادوا إلى الأذهان الجرائم التي ارتكبتها هؤلاء ضد الشعب العراقي، وكنت يومئذ خطيباً في جامع إبراهيم بك التكريتي في مدينة كركوك، فألقيت خطبتي الارتجالية الحماسية بهذا الشأن وهاجمت عبدالكريم

(١) سورة طه، الآية : ١٢٤.

قاسم على مساندته لجرائم الشيوعيين، وعلى تغييره لحكم القرآن ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾^(١) وجعله في قانون الأحوال الشخصية للذكر مثل حظ الأنثى، فكان على أثر ذلك أن منعي أمن كركوك من الاستمرار في الخطابة.

وقد أيد علماء العراق بجميع طوائفه مذكرة الحزب الإسلامي، مثل العلامة الشيخ أجد الزهاوي، والشيخ محمد فؤاد الألوسي، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ حمدي الأعظمي، ومجتهد الشيعة الشيخ عبدالكريم الجزائري، والشيخ محمد الخالصي، والسيد أبي القاسم الخوئي، والسيد علي بحر العلوم، والسيد محسن الحكيم، الذي استدعى قائممقام النجف خليل إسماعيل وأمر سرية التدريب المقدم كاظم حسن في ليلة الثلاثاء الموافق ٤ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ، وطلب منهم إبلاغ الحكومة تأييده المطلق لمذكرة الحزب الإسلامي إلى الحكومة، واستنكاره الشديد لاعتقال أعضاء الهيئة الإدارية ورفضه للسياسة التي كانت تتبعها الحكومة. وكان يقرأ عليهم بعصية شديدة الآيات القرآنية التي تندد بالظالمين^(٢). وأيد المذكرة أيضاً علماء كركوك، وجمع من علماء الكرد في السليمانية وحلبجة وأربيل^(٣).

يقول الأستاذ وليد الأعظمي: (وقد اقترح الشيخ كمال الدين الطائي، والأستاذ رشيد العبدى عميد كلية الشريعة، على عبدالكريم قاسم أن يجمع علماء بغداد على الإفطار في رمضان، وكان قصدهما أن يطلب العلماء من عبدالكريم قاسم إطلاق سراح أعضاء الهيئة الإدارية للحزب، فبعث الشيخ الزهاوي السيد فاضل شاكر النعيمي إلى الأستاذ نعمان عبدالرزاق رئيس الحزب ليقول له: ماذا تريدون أن نشر مع عبدالكريم قاسم بشأن مصلحتكم، فأجاب نعمان، بعدم ذهاب الشيخ إلى هذا

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

(٢) إضبارة المشايخي، ص: ٢٣٥-٢٣٦ و ٢٣٧.

(٣) المصدر السابق (مذكرة فيها توقيع خمسة وأربعين عالماً) تأييد للمذكرة واستنكار للاعتقال.

الإخوان المسلمون في العراق

الإفطار، كي لا يستفيد عبدالكريم معنوياً من هذه الخطوة.

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ نعمان عبدالرزاق، كان يرسل الرسائل تلو الرسائل إلى السيد محسن الحكيم، يستنهضه فيها للدفاع عن بيضة الإسلام والدعوة إلى تحكيم شريعة الله ومحاربة الظلم والطغيان والوقوف أمام الملحدين واللا دينيين كي لا يفسدوا في الأرض ويحرقوا الأمة عن إسلامها^(١).

كما أرسل الحزب مذكرة إلى السفير الأمريكي والبريطاني في العراق يستنكر مساندة الدولتين لسياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر^(٢).

يقول الأستاذ فليح السامرائي : (هذه المذكرة نوقشت فكرتها كثيراً بين أعضاء افئدة الإدارية، وعرضت الفكرة على الدكتور عبدالكريم زيدان فوافق على الفكرة، ثم طُلب منه كتابة المذكرة، وقرأت مراراً وجرى حذف بعض العبارات الجارحة لعبدالكريم قاسم شخصياً، ثم اتفق على نشرها كما ورد).

وقد سألت الدكتور عبدالكريم زيدان في صنعاء عن هذه القضية عام ٢٠٠٠م فقال : نعم إنني كتبت تلك المذكرة.

وهناك نقطة جديرة بتصل بعمق الإيمان في نفوس الناس، فعندما عرف الشعب المسلم أن جماعة من شباب الإسلام ألكوا على أنفسهم إنقاذ الأمة من الانحراف والشيوعية، ووقعوا على تلك المذكرة التي كان يمكن أن ينتهي الحكم عليهم بالإعدام، اندفعوا بكل قوة، كل من موقعه، للوقوف معهم، حتى مراكز الشركة التي كانت في الظاهر تمثل السلطة، كان مسؤولوها من الضباط والأفراد، يحاولون أن يريحوا هؤلاء في معتقلاتهم، وفتحت أبواب المعتقلات للزوار ليلاً ونهاراً.

(١) إضبارة المشايخي، ص: ١٤٣-١٥٠، منها رسالة بتاريخ ٢٤ جمادى الآخر ١٣٨٠هـ، ورسالة

٢/٢/١٩٦١م، ورسالة أخرى بتاريخ ٩/٤/١٩٦٣م.

(٢) المصدر السابق، بدون تاريخ، ص: ٢٤٤-٢٤٧.

وكان أهل الأحياء الشعبية القريبة من تلك المراكز يصنعون لهم طعاماً في ثلاث وجبات، كانوا يأتون به ويدخلونه إلى غرفهم في تلك المراكز^(١).

يقول الأستاذ وليد الأعظمي : (وكان أهل محلة بني سعيد يرسلون لي ولصاحبي الطعام ثلاثة أوقات في اليوم).

وكان ضباط الشرطة يسمحون لهم بالذهاب إلى الحلاقين، بل كانوا يسمحون لهم بالذهاب إلى المطاعم القريبة من تلك المراكز، وكانوا يسمحون لكل من يريد أن يقابل المعتقلين بالمقابلة.

وقد رأيت بأم عيني كل هذا بالنسبة لأخي الأستاذ نظام الدين عبد الحميد، والأستاذ فليح حسن السامرائي اللذين كانا معتقلين في مركز شرطة العيواضية قرب الجسر الحديدي في منطقة باب المعظم.

يقول الأستاذ وليد الأعظمي : (ولا أنسى زيارة الشيخ نجم الدين الواعظ مفتي بغداد إلى في مركز شرطة بني سعيد، عندما دخل خلفه جمع من أهل المحلة، يهتفون للحزب وسقوط الشيوعية).

وقال لي الشيخ - رحمه الله تعالى - : (يا ابني وليد : انتم شجعان وصناديد، وليس كل الناس مثلكم، فلو بقيتم في المساجد، توجهون الشباب وتربونهم على مبادئ الإسلام كان في ذلك خير كثير)^(٢).

وبعد مكوث أعضاء الهيئة خمسة أشهر رهن الاعتقال، أصدر عبد الكريم قاسم أمره بالإفراج عنهم، وطلب الاجتماع بهم في مقره بوزارة الدفاع.

وقد طلبت من أخي الأستاذ نظام الدين أن يكتب عن هذا الاجتماع، لأنه كان حاضراً فيه، فكتب لي ما يأتي:

(١) مذكرة نظام الدين عبد الحميد، محفوظة في مكتبي.

(٢) مقابلي السابقة معه.

اجتماع عبدالكريم قاسم بقيادة الحزب الإسلامي :

في عصر يوم ١٤ / ٣ / ١٩٦١ م، المصادف للأيام الأخيرة من شهر رمضان المبارك، تم جمع الأعضاء المعتقلين في مقر مديرية الشرطة العامة، وأبلغوا بأن الزعيم عبدالكريم قاسم طلب مواجعتهم في مقر وزارة الدفاع، بعد تناول طعام الإفطار الذي أتى به بعض الأصدقاء الذين علموا بالموضوع، وبعد صلاة العشاء تم الانتقال إلى غرفة الاستقبال في وزارة الدفاع، وبعد انتظار قرابة ساعتين تم الانتقال إلى قاعة قريبة من غرفة عبدالكريم قاسم، فيها منضدة كبيرة جانبية وفيها ما يقارب ستة عشر كرسيًا، وبعد مضي بعض الوقت، دخل القاعة عبدالكريم قاسم وسلم، وخلفه الحاكم العسكري العام أحمد صالح العبدى، وأمر الانضباط العسكري عبدالكريم الجدة، ومرافقين لعبدالكريم قاسم.

جلس عبدالكريم قاسم على الكرسي المعد له، وجلس بجانبه أحمد صالح العبدى، وجلس عبدالكريم الجدة من ناحية المجلس. ولما استقر المجلس بعبدالكريم وجه كلامه إلى أحمد صالح العبدى، قال : أحمد أين كان الإخوان، أجاب أحمد : في مراكز الشرطة العامة، ووجه كلامه إلينا بعد هذا الجواب، قال : إن اعتقالكم كان بأمرى، والزعيم لم يكن على علم بهذا الاعتقال، ولما علم به طلبكم لهذا الاجتماع. ثم بدأ عبدالكريم بالكلام، وقال : أننى صممت الثورة، وقضيت على العهد الفاسد، وبدأ بدم ذلك العهد، ويطعن في عبدالإله وابن اخته فيصل، وقال : أنها أساء إلى الشعب وأهملا مصلحة البلاد، وكانا ينفذان مصالح الاستعمار، وأن المسؤولين في ذلك العهد، لم يكن لهم همٌّ إلا مصالحهم والسير في ركاب المستعمرين وتنفيذ مخططاتهم، لذا أساءت أحوال البلد مما حملني على التفكير بقلب نظام الحكم. وعليه فالثورة لم تأت إلا لمصلحة الشعب وقطع دابر الفساد في البلد والقضاء على التبعية للأجنبي، ثم عرج على ذم رجال الدين لسكوتهم على مساوئ العهد السابق وعدم معارضتهم

لتصرفات المسؤولين المناقبة لمصلحة البلد.

وقد ناقشه أحد الإخوة على هذه الاتهامات، وقال إن من رجال الدين من لم يسكتوا على الفساد، فكانوا يبدون استياءهم من الأوضاع، ومعارضتهم في مقابلاتهم للمسؤولين ويطالبون بالإصلاح. وقال : إن المعارضة الصحيحة لا يمكن قيامها تحت حكم لا يؤمن بالحرية ويحكم الأفواه.

ثم تطرق عبدالكريم إلى كثرة الاعتقالات، وقال : إن أكثرها كان يتم دون علمي، لكثرة انشغالي، وما كان يصل منها إلى علمي أمر بالغائه. وهنا تصدى أحمد صالح العبدى أيضاً للكلام، فقال : إن الزعيم ما كان يعرف بأكثر ما يتم من الاعتقالات.

وهنا ناقش أحد الأخوة موضوع جرائم الشيوعيين وتصرفاتهم اللا إنسانية المخالفة للقانون، وخلقهم جواً من الرعب في قلوب أبناء الشعب وحریتهم العامة في إلحاق الأذى بمن يعارض فكرتهم، دون أن يجدوا من الحكومة رادعاً يردعهم، لذلك من الضروري معاقبة المسيء منهم وإنزال العقاب العادل على مجرميهم.

وبعد هذا الكلام قال عبدالكريم قاسم : من يظن بأنني شيوعي فهو على خطأ، فإنني كشفت للشعب حقيقة الشيوعية التي كانت مجهولة عند كثير من الناس ولو بقى نوري السعيد وعبدالإله أربعين سنة أخرى في الحكم لما تمكنا بأسلوبها إظهار حقيقة الشيوعية. وانحى باللائمة على جريدة اتحاد الشعب التي كانت جريدة شيوعية لبعض مغالطاتها، وتطرق إلى أحداث الموصل وكركوك المؤسفة، وذكر أنه لما تبين له سوء تصرفات الشيوعيين أوقفهم عند حدهم وكبح جماحهم، وهو بهذا القول قصد خطابه في مؤتمر المهندسين الذي نعت الشيوعيين فيه بالفوضوية، وقوله أنهم ارتكبوا من المظالم ما لم يرتكبه هولاء.

وقال : ماذا تظنون؟ فلاني رجل مؤمن مثلكم أو من بالله وبالمقدسات وإيماني هو الذي حملني على التفكير بالثورة، وقال أنني كتبت البيان الأول للثورة وافتتحته بآية

الكرسي وختمته بآية كريمة، وقال : إنني لا أملك من حطام الدنيا سوى ملابسي التي ترونها علي، وأكلي بسيط لا يتعدى أكل عامة الشعب. يقول الأستاذ نظام الدين : والحق يقال أنه كان صادقاً في كلامه هذا، إذ أثبتت الوقائع بعد القضاء عليه أنه لا يملك شيئاً من المال، ولم يستغل مركزه ونفوذه لجمع الثروة واكتناز الأموال كما لم يسمح لأقاربه، ومنها أخوه لاستغلال نفوذه لمآربهم الشخصية، والثراء على حساب الشعب، ولم يستعملهم في أي منصب من مناصب الدولة، وأنه لم يرق نفسه إلى رتبة الفريق إلا بعد أن أكمل المدة القانونية للترقية. ثم عرج بعد أقواله تلك إلى البيان الأول للشورة وأخذ يشرح بعض فقراته، ثم تطرق إلى الوحدة العراقية والتضامن العربي ورابطة الشعوب الإسلامية، فموضوع الأكراد وضمان حقوقهم. ثم انتقل الكلام إلى قانون الأحوال الشخصية، وما أثير من النقاش والمعارضة حول تسوية المرأة بالرجل في الميراث وفق الفقرة المعدلة في القانون، وحاول الدفاع عن عمل الحكومة في التعديل، فتصدى أحد الإخوة الكرام، فقال مفاده : إن ما تراه حقاً يلزم أن لا يخالف ما قرره الله سبحانه وتعالى في كتابه، فالحق هو فيما يقرره الله لا فيما يقرره غيره بما يخالفه، فأنت لا تقبل أن يعارضك أحد فيما تقررره، إذاً كيف يجوز معارضة الخالق فيما قرره وشرعه.

وهنا تحول الكلام إلى لزوم الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية في كل ما يتم تشريعه من قوانين، فقال : من الصعب الأخذ بالشريعة الإسلامية لأن البلد فيه سنة وشيعة، والفريقان مختلفان في كثير من أحكام الشريعة، فأبي النهجين يمكن اتباعه. فقال الأستاذ الساعدي : يا سيادة الزعيم أجمعنا على ما نحن متفقون عليه ودعنا فيما اختلفنا فيه. ثم تطرق إلى بيان الحزب، وما فيه من شدة، وأخذ ينفي عن نفسه بعض ما ورد في البيان من الاتهامات للحكومة.

وفي النهاية طلب عبدالكريم حل الحزب وتشكيل جمعية بدله، وقال : إن خدمة

الإسلام يتم عن هذا الطريق أكثر مما يتم عن طريق الحزب، وبين أنه مستعد لكل معاونة إن تم استبدال الحزب بالجمعية، وكان الجواب بالرفض والتمسك بالحزب. وهنا فقط تكلم عبدالكريم الجدة، وهمس مشجعاً للإخوة الجالسين القريبين منه أن قبلوا عرض الزعيم، فإنه يعاونكم مادياً ومعنوياً وتربحون.

يقول الأستاذ وليد الأعظمي : (أنه بدأ كلامه بنقد جمال عبدالناصر وقال : بأنه عاداني وظلمني واتهمني بأوصاف ليست حقيقية، وقال : بأنه وصفني بأنني قاسم العراق)، وكان من الممكن أن يظهر الإخوان هنا الشبهة ويفرحوا بمهاجمة عبدالكريم لعبدالناصر الذي أعدم قاداتهم، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل تصدى له الأستاذ نعمان رئيس الحزب وقال بالحرف الواحد : أنت أيضاً لم تقصر في شتمه، إذ وصفته بأنه (مسيلة الكذاب)^(١).

وانتهى الاجتماع بأذان الفجر (حوالي سبع ساعات) وقد حصل تناول طعام السحور عما كان يقدم من المرطبات والحلويات، خلال تلك الجلسة الطويلة بين حين وآخر.

وقبل أن يترك عبدالكريم القاعة طلب من أحمد صالح العبدى، إطلاق سراح الجماعة وإيصال كل منهم إلى محل سكناه حالاً.

وبعد إطلاق السراح أصدر الحاكم العسكري العام أمراً بتجميد الحزب ومنعه من ممارسة نشاطه، كما أصدر أمراً بإعادة الموظفين من الأعضاء إلى وظائفهم. وبذا تم صرف ما تم تجميده من أنصاف رواتبهم إليهم، أما الأنصاف الأخرى، فكانت تصرف إليهم كل شهر في أماكن اعتقالهم.

يقول الأستاذ إبراهيم منير المدرس : (بعد خروجنا من عند عبدالكريم قاسم

(١) مقابلي السابقة معه.

يومين خطبت الجمعة في جامع المشتل ببغداد الذي كنت أخطب فيه قبل اعتقالي، فلخصت في الخطبة ما دار بيننا وبينه من نقاش، وختمت الخطبة بقولي : (مادام عبدالكريم قاسم مصراً على محاربته للإسلام، فنحن نصر على جهادنا في سبيل الإسلام) وذلك لأن القوميين اللادينيين أشاعوا عنا كما أشاعت الصحف في يومها أننا نزلنا عند رأيه واعتذرنا منه.

وبعد انتهاء الصلاة اقتادني رجال الأمن إلى الأمن العام، واعتقلت في غرفة خاصة بعد أن ناقشني مدير الأمن العام عبدالمجيد عبدالحليل وطلب مني الخطبة وأجبهته بأنني كنت مرتجلاً، وادعى أنني شتمت إلهه، هكذا بالنص، فقلت له : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكانوا قد أحضروا أربعة من الشرطة، فضربوني وطرحوني أرضاً وكسروا أنفي وسالت الدماء على وجهي وسقطت عمامتي على الأرض، فرفعها أحد الشرطة، وقالوا له : لماذا تمسح عمامة المجرم وصفعه، فأجاب الشرطي : يا سيدي هذه عمامة رسول الله، ثم أخرجني المفوض المصلاوي كامل وغسل الدماء على وجهي، ولم يسمحوا بمقابليتي إلى أن أخرجت بكفالة خمسمائة دينار).

لقد كانت تجربة الحزب خصبة جداً في إيقاظ الغافلين والتنبه إلى الأخطار المحدقة يومئذ بالمسلمين، على الرغم من عدم استمرارها أكثر من عام، وعلى الرغم من المحاربة الشديدة التي جوبه فيها من لدن أركان الحكومة القاسمية، وأجهزتها الإعلامية والأمنية، ومن الشيوعيين الأعداء التقليديين للإسلام والمسلمين، لاسيما الجماعات الإسلامية، ومن القوميين اللادينيين لاسيما الناصريين الذين كانوا يمشون دائماً في ركاب أجهزة عبدالناصر في محاربة دعوة الإخوان المسلمين، وواجهاتها العلنية، ومن العلماء الخاملين الجامدين من طلبة الدنيا، ومن أجهزة المخابرات والجاسوسية السرية للدول الاستعمارية، وأحياناً من بعض أبناء الشعب الأمين الجاهلين الذين يصدقون بالشائعات.

وأما المعوقات الداخلية، فأهمها كان في ازدواجية القيادة التي حالت دون توسع الحزب، كما يقول الأستاذ نور الدين الواعظ^(١). وكذلك في ضعف الجانب المالي للحزب الذي كان يعتمد على اشتراكات الأفراد الزهيدة، وأحياناً التبرعات الجزئية لبعض الخيرين.



(١) مقابلي السابقة معه.

الفصل الثاني

عمل الإخوان في هذه الفترة

الفصل الثاني

عمل الإخوان في هذه الفترة

سار عمل الإخوان الطبيعي على الرغم من وجود الحزب الإسلامي وانشغال عدد كبير من كوادره بأعمال الحزب، وما ترتب عليها من ممارسة ونتائج، ففي بغداد كان النشاط السري بجميع فروع مستمراً، أهمه النشاط الإعلامي في المجلات والصحف والنشرات.

• المجلات والصحف والنشرات :

جريدة الجهاد :

وكانت جريدة سياسية إخبارية هادئة، وكان رئيس تحريرها الأستاذ نور الدين الواعظ الذي بقي في صفوف الإخوان ورفض تسلم رئاسة الحزب لرفضه طبيعة القيادة المزدوجة، وكان يكتب افتتاحياتها السياسية.

- فمثلاً افتتاحية العدد العاشر من السنة الأولى (بتاريخ ٢٦ شوال عام ١٣٨٢ هـ الموافق آذار ١٩٦٣ م)، موجهة إلى الحكومة للاعتماد على الإسناد الشعبي والرجوع إلى عقيدة الأمة (الإسلام) في حل القضايا العالقة في المجتمع والتي سببتها مواقف حكومة عبدالكريم.

- وفي العدد ١٨ السنة الأولى (في ٥ ذي الحجة ١٣٨٢ هـ) الموافق لـ ٣١ آذار ١٩٦٣ م، جاءت الافتتاحية تدعو إلى وحدة الأمة العربية على أساس الإسلام.

- وكنت أنشر فيها مقالات فكرية متنوعة، أتذكر فيها سلسلة مقالات بعنوان

(شيعية بابك الخرمي) وسلسلة أخرى بعنوان (الأكراد يرفضون الماركسية).
* وكان الإخوان ينشرون المقالات والتعليقات في جريدتي (الحياة) و (الفيحاء)
الإسلاميتين، وكانتنا بهذا السبب، قد تعرضنا إلى الإغلاق المؤقت، عدة مرات.
وتعرض رئيس تحرير الحياة ورئيس تحرير الفيحاء إلى الاعتقال أكثر من مرة، إلى أن
أغلقتنا نهائياً بعد مذكرة الحزب الإسلامي.

• وأما الصحافة السرية فكانت :

الإخوان المسلمون في العراق :

- في العدد الثامن ١ ذو الحجة ١٣٨٠ هـ الموافق ١٦ أيار ١٩٦١ م، مقالة عن
مهمة الحكومة في الإسلام مقارنة بالحكومات الحالية، ومظالمها وتبعيتها للسياسات
الغريبة، ومحاربة أمريكا وإنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي للمسلمين ودعاة
الإسلام في كل مكان.

- وفي هذا العدد نشرت وثيقة خطيرة جداً تثبت أن حكومة عبد الكريم قاسم
هي التي دبرت بالإستناد إلى الشيوعيين بحزيرة الموصل : (في مديرية الأمن العامة
وفي غرفة مدير الأمن العام وفي القاعة الخاصة بسيادته، رسالة خطيرة موجهة من
المهداوي إلى حسن عبود، يقول فيها :
احذر من أن يأتي أحد المتهمين إلى بغداد وينفضح علاقة الحكومة بحوادث
الموصل).

- وفي العدد العاشر (رمضان عام ١٣٨١ هـ الموافق لشباط عام ١٩٦٣ م) :

* مقالة عن الحكم الطفلة وفضائحهم ومحاربتهم للإسلام.
* وفيها مهاجمة حكم عبد الكريم قاسم ومحاربتة وهجرته للإسلام وبتعده عن
واقع الحياة.

• وفيها هجوم على حفلة اختيار ملكات الجمال في بغداد.

- وفي العدد الحادي عشر :

• حديث قيم عن ثورة الجزائر ووجوب مناصرتها وإسنادها بكل الوسائل.

• ومقالة في الهجوم العنيف على عبدالكريم قاسم وإفساد الأخلاق، وحضوره

حفلة راقصة، إسبانية فرنسية.

• ومقالة أخرى تعبر عن وجهة نظر الإخوان في الانحياز الاجتماعي إلى المظلومين،

لأن الإسلام يرفض الظلم الاجتماعي.

• وكذلك مقالة أخرى تنقل حديث الإمام الشهيد حسن البنا، عن الوحدة

العربية، وإيمانه بها.

- وفي العدد الثاني عشر ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ الموافق أيلول ١٩٦٢ م :

• مقالة بعنوان " كلمة صريحة " فيها هجوم شديد على حكام المسلمين جميعاً،

لأنهم تركوا الإسلام ومالوا المستعمرين، ويتظاهرون بتحكيمة، وهم أبعد الناس

عن الإسلام لما لثتهم الكفار الأجانب وسرقتهم أموال الدولة، وترفهم وفسادهم .

• ومقالة أخرى بعنوان (وماذا بعد ثورة الجزائر) دعوة لقادة الثورة الجزائرية

بتطبيق الإسلام .

• ومقالة أخرى، عن اجتماع جامعة الدول العربية في بيروت وصدامات دولها

فيها، عبر مناقشات كانت تفتقر إلى الإيمان والأخلاق والمسؤولية.

- وفي العدد الثالث عشر جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ الموافق تشرين الثاني

١٩٦٢ م :

• مقالة في مهاجمة الأحزاب القومية والوطنية القائمة يومئذ وبيان أن مبادئها

تصطدم مع أصول العقيدة الإسلامية، وأنهم يشكلون عداوة مستمرة للإسلام.

النشرات السرية :

وكان الإخوان المسلمون في العراق يصدرّون نشرات سرية داخلية تعالج مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والصراعات الحزبية ، سواء على الساحة العراقية، أم على الساحة العربية والإسلامية.

أمثلة ذلك :

- نشرة صادرة بتاريخ ١٢ رجب الموافق ٢٩ / ٥ / ١٩٦٣ م، فيها موضوعات عدة حول مؤتمر بغداد وتطورات الوضع في الباكستان.
- ونشرة بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨١ هـ الموافق ٦ تشرين أول ١٩٦١ م، فيها معالجة التمرد العسكري السوري على الوحدة بين مصر وسوريا واستنكار ذلك، والدعوة إلى إعادة الوحدة واستنكار استمرار الانفصال.
- ونشرة بتاريخ ذي القعدة ١٣٨١ هـ الموافق ٢٠ / ٤ / ١٩٦٢ م بعنوان (ماذا يريد) أي حاكم العراق يومئذ عبدالكريم قاسم.
- ونشرة بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩٦٢ م عن (ذكرى تقسيم فلسطين)^(١).
- ونشرة بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٦٣ م بعنوان (في يوم الجيش نفتقد الجيش).
- ونشرة بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٦٤ م، بعنوان (الكفر المستورد).
- ونشرة بتاريخ ١٧ محرم الموافق ٢٨ / ٥ / ١٩٦٣ م، بعنوان (ملاحظات حول ميثاق الوحدة).

- ونشرة بتاريخ ١١ جمادى الثاني ١٣٨٥ هـ الموافق ٩ / ١٠ / ١٩٦٥ م، بعنوان

(١) وقد استمر اهتمام الإخوان بقضية فلسطين على جميع المستويات، حتى أنهم أوعزوا إلى أحد أعضاء الجماعة من الفلسطينيين، وهو صالح عبدالله سرية بمطالبة عبدالكريم قاسم بتأسيس نواة لتأسيس فوج عسكري فلسطيني، وقد تم ذلك، وانخرط فيه كثير من الفلسطينيين في أوائل الستينات، وصرح لي بذلك المرحوم صالح سرية في القاهرة عام ١٩٧٠ م.

(محنة الإخوان في مصر).

- ونشرة بتاريخ ٢ جمادى الأول ١٣٨٦ هـ الموافق ٥ أيلول ١٩٦٦ م، تتضمن الوثيقة الخطيرة التي صدرت في مصر من لجنة مؤلفة من رئيس الوزراء وقادة المخابرات والمباحث ومدير مكتب المشير عامر بناء على طلب رئيس الجمهورية جمال عبدالناصر، لإبادة دعاة الإسلام في مصر.

- ونشرة بتاريخ ١٥ رمضان المبارك ١٣٨٥ هـ الموافق ٧/١/١٩٦٦ م، بعنوان كارثة زنجبار، التي قتل فيها الرئيس التانزاني نيريري خمسة عشر ألف عربي بالدبابات.

المنهاج :

مجلة دورية كانت تصدر باسم (الحركة الإسلامية في العراق).
نقرأ على سبيل المثال : - في عدد شعبان ١٣٨٥ هـ الموافق لكانون الأول ١٩٦٥ م،
ما يأتي من الموضوعات :

* مأساتنا في الشمال، إعادة نظر في الموقف.

* وشهد شاهد من أهلها.

* فقرات من مناهج الحركة الإسلامية.

* أخبار وتعليقات، دراسات في الإسلام.

* باب الفتوى.

* حول البيان الوزاري.

- نلاحظ أن الإخوان قد خففوا لهجتهم في معالجة القضية الكردية، ويقربون أكثر من الموضوعية، ويتركون إطلاق الاتهامات على الملا مصطفى البارزاني، بعد أن احتج كثير من الإخوان الكرد والعرب والتركمان على المنشور الذي صدر في

١٤ ربيع الثاني ١٣٨١ هـ في ٢٥ أيلول ١٩٦١ م والتي كانت صيغتها بعيدة عن الحوار الأخوي والجدال بالمعروف، والمعالجة الجذرية، مخالفين في ذلك منهج الإمام حسن البنا في معالجة قضية الأكراد بالذات في عام ١٩٤٤ م، حيث وجه الإمام حسن البنا في أحد أعداد مجلة^(١) (الإخوان المسلمون) القاهرة، نداء موجهاً إلى الحكومة العراقية يومئذ، بحل القضية البارزانية، حلاً منصفاً سلبياً في ظل الأخوة الإسلامية، مذكراً أن الأكراد كانوا من أخلص الشعوب الإسلامية إلى الإسلام.

- وفي عام ١٩٦٦ صدر من (المنهاج) عدد خاص بالشهداء، سيد قطب وإخوانه، الذين أعدمهم جمال عبدالناصر في محاكمات عسكرية صورية. وفيه تحليل لحكم عبدالناصر وطغيانه في مصر، وفيه برقيات علماء العالم الإسلامي إلى جمال عبدالناصر بعدم إعدام سيد قطب وإخوانه.

واستطعت أن أحصل على عدد آخر في السنة نفسها، في الموضوعات الآتية :

• الدولة الإسلامية ضرورة شرعية وضرورة حياتية .

• التعليق السياسي .

• دراسات في الإسلام .

• الكافر المستعمر .

• فقرات من منهاج الحركة الإسلامية في العراق .

• القروض الأجنبية .

• القضية الفلسطينية بين بورقية وعبدالناصر .

• المؤتمرات الإسلامية .

(١) قرأت في هذا العدد في مكتبة أخي نظام الدين، ثم إنه أهدى هذا العدد مع مجلات إسلامية أخرى إلى مكتبة الإمام أبي حنيفة في بغداد، ولقد حاولت الوصول إلى رقم هذا العدد، غير أن هذه المكتبة مغلقة الآن. ولعل الإخوان في مصر ينشرون هذه المذكرة.

النقيب :

مجلة داخلية كانت موجهة إلى النقباء المسؤولين عن عدد من الإخوان العاملين، وكانت تقوم بتشقيفهم وتذكيرهم بواجباتهم تجاه أسرهم وتجاه المسلمين في المنطقة، وتعلمهم أصول التنظيم والاتصال من أجل نشر الدعوة الإسلامية وإدخال الصالحين فيها.

- ففي العدد الثالث عام ١٣٨٦ - ١٩٦٦ نقراً :

- * فقه العمل الجماعي.
- * نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.
- * نشر أخبار البلاد.
- * اضطهاد جامعة الحكمة (التبشيرية) للطبلة المسلمين والطالبات المسلمات.
- * أسباب الفتور وعلاجه.

- وفي العدد ٢٧ ذي الحجة ١٣٨٥ هـ الموافق ١٧ / ٤ / ١٩٦٦ م :

- * بيان المعوقات.
- * تذكير المسؤولين بتقصيرهم.
- * تحليل القضايا السياسية، وحركة الأحزاب والجماعات السياسية ونوايا الحكومات.
- * كيفية تربية الإخوان داخل الأسر والمجتمع.

التوجيه الإسلامي :

رسالة شهرية توجيهية لتثقيف أعضاء الجماعة في التفسير والحديث والدعوة وقضايا الفكر الإسلامي.

الموجز في النظريات العامة :

بحث أصولي لسياسة الإخوان المسلمين في العراق، يبين الأصول الشرعية لمواقف الإخوان من القضايا الداخلية، وعلاقتها مع من حوفا من قوى اجتماعية وسياسية. وتحدد المواقف بدقة لبناء المجتمع الإسلامي.

وعد الإخوان يومئذ هذا البحث الأصولي خطوة مهمة، لأول مرة في تاريخ الإخوان في العراق، لضبط الحركة ضبطاً أصولياً شرعياً محكماً. ويترجع عندي أن هذا البحث كتبه الدكتور عبدالكريم زيدان، لأن نفسه الأصولي واضح فيه.

المعلم :

نشرة داخلية كانت تصدرها رابطة المعلمين الإسلامية في العراق.

هذه دعوتنا :

نشرة داخلية، كانت تهتم بشقيف العضو بالمعلومات الإسلامية في الكتاب والسنة.

نشاطات إسلامية أخرى :

بعد انحسار المد الشيوعي في بداية الستينيات، بدأ الإخوان بمزاولة أعمالهم

الإسلامية العامة، منها :

* إقامة الاحتفالات بالمناسبات الدينية كالمولد والهجرة والإسراء والمعراج وأيام رمضان، في عدد من المدن العراقية كبغداد والموصل والبصرة وكركوك والرمادي والنجف وكربلاء، وكان يخطب فيها العلماء ومثقفو الإخوان والمجتمع، وكان اهذف الأساس من هذه الخطابات يومئذ التنبيه إلى استمرار النشاط الشيوعي واللا ديني في المجتمع وإلى مؤامرات الاستعمار والصهيونية على الأمة الإسلامية، وإلى نشر الحقائق الإسلامية لتحصين المجتمع من الانحرافات والأفكار الإلحادية.

* والحق أن ما ألقى في تلك الاحتفالات من خطب وما أثير فيها من حلول

للمشكلات كان طريقاً واضحاً سديداً في تحصين المجتمع إسلامياً، وإسقاط الشيوعية في العراق.

* ومنها أن المذكرات التي كان يقدمها الإخوان إلى الحكومة قد استمرت حتى في حكم الأخوين الرئيسين عبدالسلام محمد عارف وعبدالرحمن محمد عارف. مثال على ذلك، المذكرة التي قدمها الإخوان إلى الرئيس عبدالرحمن محمد عارف، يطالبون فيها بتطبيق الشريعة الإسلامية ونبذ المبادئ العلمانية والعنصرية، ولإقامة وحدة حقيقية بين أبناء الشعب العراقي على أساس الأخوة الإسلامية.

* ومنها أن الإخوان في العراق اهتموا بتكوين واجهات مهنية لتأسيس رابطة المعلمين الإسلامية التي أصدرت مجلة (المعلم) السرية، وكانت تخطط للمشاركة في انتخابات نقابة المعلمين إما بالقائمة الواحدة، أو بتفضيل قائمة على قائمة أو بالاندماج مع قائمة أخرى، كما حصل في اشتراك الإخوان في قائمة الجبهة التعليمية الموحدة مع البعثيين والقوميين ضد الشيوعية عام ١٩٦٠م.

* وأسس الإخوان الحركة العمالية الإسلامية، في كركوك، ضد العمل الشيوعي بين العمال، لاسيما في شركة نفط العراق، إذ كان فيها أكبر تجمع عمالي في كركوك.

* وقد انضم إلى هذه الحركة، حوالي ستة آلاف عامل يومئذ (١٩٥٩م) من مجموع سبعة آلاف، فجن جنون الشيوعيين، فبدأت جرائد الشيوعيين في بغداد تهاجم الحركة العمالية الإسلامية، لاسيما صوت الأحرار^(١).

* يقول الأستاذ نور الدين الواعظ، مسؤول الإخوان يومئذ في كركوك: (وكانت إذاعة موسكو تهاجم العمال الأحرار لمدة خمسين يوماً)^(٢).

* وأراد الشيوعيون أن يتفقوا مع العمال الأحرار على نقابة واحدة، ودفعوا

(١) مقابلة مع المكلف الأول بتأسيس العمال الأحرار، الأخ المرحوم أحمد نجم الدين البرنجي.

(٢) مقابلي السابقة له.

الحكومة لتدخل، ولكن المسؤولين عن العمال الأحرار، رفضوا الطلب، وأصرروا على أن نقابتهم هي التي تمثل عمال الشركة. لأن أكثرية العمال كانوا معهم.

* وأسس الإخوان في هذه الفترة رابطة الطلبة المسلمين، وكذلك بدأوا بتنظيم لجان الأحياء الشعبية^(١).

* والظاهر أن أجهزة المخابرات المصرية في بغداد كانت تراقب حركة الإخوان في العراق، وتقدم تقارير إلى الرئيس جمال عبدالناصر بذلك.

* حدثني الأستاذ إبراهيم المدرس - قال حدثني عبدالرحمن رحيم الصديق الشخصي للرئيس عبدالسلام محمد عارف، أنه أرسل مع نائبه عام ١٩٦٥ م، رسالة إلى عبدالناصر يطلب منه الدخول في وحدة فورية، فأجابه عبدالناصر برسالة، بين فيها شروطه لقيام هذه الوحدة، فرفضها عبدالسلام.

- وكان من بين تلك الشروط شرط يتعلق بضرب الإخوان، لأن عبدالناصر كان يعتقد أن مركز ثقل الإخوان قد انتقل من مصر إلى العراق في تلك الفترة، وكان يخشى من تلك القوة.

- قال عبدالرحمن رحيم، وقد قرأت هذه الرسالة، وأخبرت فليح حسن السامرائي بهذه المعلومة المهمة^(٢).

* ومن الأعمال اللافتة للنظر في عام ١٩٦٦ م، أن الإخوان قاموا بمظاهرة كبيرة سارت إلى السفارة المصرية في الوزيرية احتجاجاً على إعدام المرحوم سيد قطب وإخوانه، وألقيت فيها عدة قصائد تندد بجرائم عبدالناصر ضد الإخوان المسلمين خاصة، والأمة العربية والمسلمين عامة.

(١) مقابلة للمسؤول الأول لرابطة الطلبة المسلمين م.د.م لم يسمع لي بذكر اسمه.

(٢) مقابلي السابقة له.

الخلاف الأخير في هذه الفترة :

أستطيع أن أرجع جذور الخلاف الذي حدث بين الإخوان عام ١٩٦٥/١٩٦٦م، إلى أيام الحزب الإسلامي. فقد كان فيه أعضاء يؤمنون بالعمل الثوري على طريقة الأحزاب السياسية الثورية.

ومن أبرز هؤلاء كان فليح حسن السامرائي وطه جابر العلواني. وكانا ومن معها من الإخوان العسكريين، كالعميد محمد فرج يعتقدون أن الدكتور عبدالكريم معوق لعمل الحزب، ولا يتفاعل مع العمل السياسي الثوري.

هذا الخلاف في الحركة السياسية تطور فيما بعد عند جماعة محمد فرج وفليح السامرائي وطه جابر إلى فكرة الاتصال ببعض الجهات العسكرية والسياسية لإحداث انقلاب عسكري ضد حكم عبدالرحمن محمد عارف قبل أن يفعل البعثيون ذلك. وكان محمد فرج متصلاً بالعميد عبدالغني الراوي وآخرين من الضباط. وكانوا يلحون على اشتراك الإخوان في مثل هذه الحركة^(١).

فرفض الدكتور عبدالكريم والتيار العام للإخوان. ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن الانقلابات العسكرية لا تأتي بخير، وأن القوى الأجنبية تقف وراءها. فتوريط الإخوان في مثل هذه الحركات تحريف لهم عن خط التربية والثقيف، وإحداث الوعي الإسلامي في الأمة الإسلامية.

وكانت تجربة الإخوان في مصر، مع الضباط الذين قاموا بانقلاب (٢٣ يوليو) نموذجاً، أوضح شاهد على صواب ما كانوا يعتقدون.

فالإخوان في مصر اشتركوا في هذه الثورة على اعتبار أن جمال عبدالناصر وكثيراً من الضباط كانوا منهم، ولم يكونوا يعلمون أن جمال عبدالناصر كان على صلة

(١) أحد المسؤولين في تلك الفترة رفض أن أذكر اسمه .

بالمخابرات المركزية الأمريكية منذ عام ١٩٤١ م، عن طريق أربعة أشخاص هم: حسن التهامي وعلي صبري ومحمد حسنين هيكمل ومصطفى أمين، وكان أيضاً على صلة مع الخط الشيوعي في الجيش في الوقت الذي اتصل مع خط الضباط المنحرفين سلوكياً^(١).

إذن كانت قيادة الإخوان تعتقد أن هذه الانقلابات ملغومة وعلى صلات بأعداء الإسلام في الخارج فلا يجوز الاشتراك فيها.

غير أن جماعة العميد محمد فرج وقليح السامرائي وطه جابر، أصروا على موقفهم، وفتحوا لهم خطوطاً مع ضباط وسياسيين من غير الإخوان، ووصل الأمر إلى النقاش والبلبلة والتكتل، ولم يقد الحوار الأخوي. وكل فريق حدد موقفه.

يقول الأستاذ نور الدين الواعظ: (واجتمع الشيخ طه جابر إمام وخطيب جامع الباجه جي وضابط الاحتياط، ومدرس الدين في الكلية العسكرية، مع صالح عبدالله سرية، والمهندس عبدالغني شنداله، والعميد محمد فرج، وقليح السامرائي وآخرين في جامع الباجه جي وقالوا: نحن لا نطعن في مقاصد القيادة ولا نتهمهم، إنما نختلف معهم في أسلوب الدعوة^(٢)). فقرروا إصدار مجلة أسرية باسم (الإخوان المسلمين) حيث نشرت مقالات في تحليل حركة الإخوان في العراق، تجنبوا فيها الذم ولم يتعرضوا بقيادة عبدالكريم زيدان، صدر منها عددان، ولم يتخبرا مسؤولاً معيناً).

حدثني من أثق به: (وعندما قرروا إصدار بيان لتوضيح عمل الجماعة، أضاف الشيخ طه جابر من عنده سطرين في الأخير^(٣)، كان فيهما استفزاز واضح لقيادة

(١) انظر (كلمتي للمغفلين) و (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية)، لمحمد جلال كشك.

(٢) مقابلي السابقة له.

(٣) عندما قابلت الدكتور طه جابر في الرياض يوم السابع عشر من ذي القعدة من عام ١٤٢٩ هـ المصادف للخامس عشر تشرين أول عام ٢٠٠٨ م، أنكر ذلك وقال لم أكتب شيئاً من هذا القبيل.

عبدالكريم زيدان. وعلى أثره صدر من قيادة الإخوان بيان بفصل هؤلاء واتهامهم بشق صفوف الجماعة، وإصدار فتوى بمقاطعتهم من جميع الإخوان في العراق). يقول الأستاذ وليد الأعظمي : (لقد اقترح هؤلاء اقتراحات تعجيزية ، وكان انتقادهم للقيادة شديداً ، ولعب صالح عبدالله سرية دوراً واضحاً وكان خط أبي عمر (محمد فرج) متحمساً لهذا الجانب).

يقول الأستاذ داود العيثاوي : (وصل الخلاف بينهم وبين قيادة الدكتور عبدالكريم، أن الدكتور ومن معه، كانوا يعتقدون عدم التعجيل في خطوات الدعوة قبل أوانها، وقبل دراسة الإمكانيات، بينما هؤلاء الأخوة كانوا يتحدثون عن عمل انقلابي). ويقول العيثاوي : عندما سألته : هل تم قرار الفصل والمقاطعة بإجماع القيادة أم كان رأياً شخصياً للدكتور عبدالكريم، وأجاب : كان القرار بالإجماع ولم يكن رأياً لعبدالكريم زيدان^(١).

يقول الأخ فليح السامرائي :

* التوجه الإسلامي كان يقوده الإخوان المسلمون بقيادة عبدالكريم زيدان، وقد أثر ألا ينخرط كثيراً في الحياة السياسية في ذلك الوقت.

* وكان هناك اتجاه إسلامي آخر يضم مجموعة من الإخوان المسلمين القدماء وكان لهم رأي آخر وهم يدعمون توجه العميد الشهيد محمد فرج الجاسم الذي كان يرغب في عمل انقلاب، بسبب تنظيم حزب البعث الذي كان مستعداً ومهيئاً للانقلاب على عبدالرحمن محمد عارف .

* ثم قال : اجتمع في جامع الحاجة حسيه الباجه جي في الكرادة في بغداد في حدود ثلاثين شخصاً من هؤلاء الإخوان القدماء، أتذكر منهم الآن وبعد مرور

(١) مقابلي معه السابقة.

حوالي أربعين عاماً كلاً من الأستاذ المحامي نور الدين الواعظ، والعميد محمد فرج، والمحامي عبدالمجيد ذهيبية، والأستاذ منيب الدروبي، والمحامي فاضل القاضي، والأستاذ عدنان المشايخي، والمرحوم صالح عبدالله سريّة، والأستاذ المرحوم قيس القرطاس (مسؤول الإخوان في البصرة)، والمحامي عبدالرحمن الشيوخلي، ومع مجموعة كبيرة من إخوان باب الشيخ .

• اجتمع هؤلاء الإخوان وتدارسوا الحالة السياسية والتوتر في الساحة العراقية ونساءلوا عن دور الحركة الإسلامية في هذه المرحلة، فاتفق الجميع أن الحل الأمثل الذي لا يؤدي إلى تصدع في صفوف حركة الإخوان المسلمين في هذه الظروف الصعبة أن يطلب من المراقب العام للإخوان المسلمين الشيخ محمد محمود الصواف، وكان وقتها في دمشق العودة إلى العراق وقيادة الجماعة، لأنه موضع تقدير وموافقة جميع الإخوان المسلمين في العراق ثم تكليف الأخ المحامي عبدالمجيد ذهيبية بالسفر إلى دمشق وإقناع الأستاذ الصواف بضرورة العودة وخاصة وأن عبدالرحمن عارف لم تكن له خصومة مع الإخوان أو مع الأستاذ الصواف .

• أبدى الشيخ الصواف استعداداً للعودة إلى العراق ما دامت هناك رغبة بعودته ليساهم في جمع الصفوف وخدمة بلده العراق .

• وبينما كان يعد نفسه للعودة إلى العراق، حدث انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨م الذي أسفر عن مجيء حزب البعث، فلم يعد الشيخ الصواف إلى العراق .

• وبعد أن وصل خبر هذا الاجتماع إلى الدكتور عبدالكريم زيدان أصدر منشوراً شديداً ضد هذا الاجتماع وقام بفصل جميع من حضر الاجتماع، وكان هذا التصرف متسرعاً إذ لم يكن للإخوان المجتمعون أي نية للانشقاق أو عمل جماعة أخرى^(١) .

(١) مقابلي معه في الرياض في ٣/١٢/١٤٢٩هـ .

ملاحظات حول عبدالكريم زيدان :

يذهب معظم الإخوان القدماء الذين عرفوا الدكتور عبدالكريم أو الذين التقيت بهم وناقشتهم ، أنه بحكم تربيته وطبيعته لم يكن مهياً لقيادة جماعة حركية منظمة ، لأن القيادة الحركية لا بد أن تتوفر فيها صفات معينة^(١) . فعلى الرغم من أن الدكتور عبدالكريم كان أخاً مخلصاً لمبادئ الإخوان الإسلامية الشاملة ، وأنه كان عالماً فاضلاً ، وأنه كان هادئ التفكير مع نفسه ، غير أنه كان رجلاً انفعالياً ضيق الصدر ، عصبي المزاج ، يفتقر إلى مرونة القائد الذي يسط نفسه أمام إخوانه .

يقول أحد قدماء الإخوان الموثقين ، الذي فصل مع المنشقين :

- فمثلاً في موضع الخلاف الأخير ، طلبنا منه أن يلتقي معنا ، وهذا من حقنا ، فرفض اللقاء ، على أننا الذين طلبنا اللقاء منه كنا جمعاً من قدماء الإخوان ، أردنا أن ندخل وسطاء خير ، ولم نكن في صف محمد فرج وفليح ، ففصلونا معهم .
- وقال : سدّ أمامنا كل الأبواب .

وسألت هؤلاء الإخوان الذين تحدثوا عن هذه السليبات : (إذن كيف تتصورون أن يكون موقع عبدالكريم من الإخوان فأجابوا : إنه موقع المستشار الأمين ، ليس موقع القيادة الحركية)^(٢) .

أثر دعوة الإخوان المسلمين في المجتمع العراقي :

ليس من الإنصاف أن تسند التأثير في نهضة مجتمع من المجتمعات إلى جماعة معينة

(١) يقول الأخ فليح السامرائي : (كلما ذكر عن الدكتور عبدالكريم أويده ، وقد عملت معه وبينني وبينه مودة ، وقد دعمته كثيراً ليكون مراقباً عاماً ولكنني ندمت على ما فعلت ، بعد أن جربته عملياً في قيادة الحركة) .

(٢) مقابلتي مع الأخ منيب الدروبي ، والأخ المرحوم أحمد نجم الدين البزرنجي .

أو تيار خاص، فالمجتمع كل عام، معقد في نسيجه الظاهري وبنائه التحتي، تصب فيه الجهود البشرية كافة. سواء أكانت تلك الجهود فردية أم جماعية كبيرة أم صغيرة.

وبما أنني أبحث عن تاريخ الإخوان المسلمين في فترة معينة من تاريخ العراق الحديث، لذلك سأبين هنا تأثيرهم وحدهم في المجتمع العراقي، في إطار الممكن الذي عملوا من خلاله.

وهذه الدراسة ألقت الضوء على أن تأثير الإخوان في المجتمع العراقي كان واضحاً ومحسوساً في المظاهر الآتية :

الأول : لقد استطاع الإخوان أن يثيروا في المجتمع العراقي قضية خطيرة، لم يكن للجمهور الأعظم من المثقفين عهد بها. فقد نشروا فيه أن الإسلام عالم متكامل في الحياة، يشمل قضايا الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والتربوية والجهادية والعلمية وغيرها، وفي أصوله من القواعد والمناهج المرنة التي تترك للعقول البشرية مساحة واسعة للاجتهد حسب الظروف والأحوال، مع أنه لا يمنع المسلمين من أن يفتحوا على الحضارات ويأخذوا بأفضل ما فيها من المصالح. فمع الإسلام لا نحتاج إلى استجداء القوانين الغريبة، وأخلاقها النسبية النفعية.

الثاني: تبنا المنهج الشمولي في فهم الإسلام الذي يجمع بين العقيدة والشرعية والسلوك، وابتعدوا عن المنهج الأحادي الذي يضع الجزء من الإسلام بدل الكل، ويحصر نفسه في نفق ضيق، ينتهي به الأمر إلى عدم إدراك الكل، فيؤدي خطؤه هذا إلى معارك جانبية في داخل الخندق الإسلامي الواحد. فدعوتهم كانت تجمع بين أتباع السلف الصالح في المفهوم المتوازن للإسلام، الذي يجمع بين العقيدة والتزكية الروحية الراشدة، وضوابط الشريعة السمحة، ومعالجة الحياة العصرية في إطارها.

ومن هنا فقد صححوا عقائد كثير من الناس عن طريق الرجوع إلى الوحي الإلهي في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونظفوا جيوب الشرك الخفي في سلوك الناس، دون

الصدام العنيف معهم. ودون إصدار الأحكام القاسية عليهم بالكفر أو الشرك، كما فعل أصحاب المنهج الأحادي في هذا المجال، فأنتهى عملهم إلى إحداث ردود أفعال شديدة بين المسلمين. وكذلك وقفوا بهدوء وتعليم تربوي موجه، أمام دجل كثير من أصحاب الطرق الصوفية الذين ابتعدوا عن حقائق الإسلام، ومنهج التصوف السليم في إيصال الإنسان إلى مرتبة التقوى والاستقامة، فأنتهوا إلى إقرار القداسة للأشخاص، والالتزام بمنهج منحرف في معالجة قضايا السلوك.

وبدلاً عن ذلك قدموا منهجاً سديداً - ضمن المنهج الشمولي - للتربية الروحية قائمة على أساس الحياة الروحية لرسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين وصحابته الربانيين، والعلماء العاملين والمشايخ الصادقين الملتزمين بالكتاب والسنة.

ومن هذا المنطلق الصحيح، استطاع الإخوان أن يعدوا كل من تأثر بمنهجهم عن حياة التكايا التي كانت تنشر البدع والخرافات، وتستلب شخصية الإنسان المسلم لمحورها أمام ما كان يسمى بشيخ الطريقة من خلال نظرية (الميت بين يدي الغاسل). وأما العصر ومشكلاته فقد دخل فيه الإخوان من أوسع أبوابه. فاطلعوا على النظريات المادية المعاصرة، ودرسوا أوضاع المجتمعات الغربية، فأنتهوا إلى رفض المادية والإلحاد والإباحية، وقبول المنهج العلمي العقلي الرصين الذي انتقل أساساً من الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الغربية.

الثالث: ذكروا الشعب العراقي المسلم، من خلال المساجد والمحاضرات والصحافة والكتب والرسائل وقنوات الإعلام الأخرى بخصائصه الإسلامية وثقافته العربية، وحضارته التاريخية، كي يحافظ على شخصيته المستقلة وأعرافه الحسنة، فلا يذوب أمام الموجات الثقافية الأجنبية التي كانت تريد أن تخرج الأمة بكاملها من منظومة إيمانها وإسلامها وحضارتها، واختياراتها في الحاضر والمستقبل.

الرابع: كانوا مع وحدة الشعب العراقي، عرباً وأكراداً وقوميات أخرى، في ظل

الأخوة الإسلامية، دون المساس بالمطالب المشروعة في إقرار القوميات، شريطة ألا تتحول إلى صراع دموي يستنفذ طاقة الشعب ويحطم قواه ووحدته أمام القوة الأجنبية الباغية الطامعة في تمزيق هذا الشعب، حتى لا يستطيع الوقوف أمام مطامع اليهود في هذه المنطقة العربية الإسلامية.

الخامس: ناصروا كل صوت يدعو إلى الوحدة العربية، والتضامن بين المسلمين ورفضوا الاتجاهات الانفصالية والطائفية والإقليمية والعنصرية.

وفي سبيلها اشتركوا في وثبة الشعب العراقي ضد معاهدة (بورتسموث) الإنجليزية، واستنكروا العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦م) وحثوا الشعب في المساجد ضد الموقف المخزي لحكام العراق يومئذ تجاه العدوان. وأيدوا وناصروا وحدة مصر مع سوريا، ولما انفصلت الوحدة بين الشعيين، كانوا أول المستنكرين، وأصدروا بياناً عنيفاً بهذا الشأن في العراق، شأنهم شأن إخوانهم في الوطن العربي.

السادس: وقفوا من الحكومات في العهد الملكي والجمهوري، موقف المعارض البناء والناصح الأمين، ودعوها إلى الخدمة الحقيقية للشعب، وتنفيذ ما أمر الله تعالى به من أحكام وحدود، ونشر الأمن والطمأنينة وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وإنشاء دولة القانون والمؤسسات، وتربية أبناء الشعب على الأخلاق الإسلامية، وبناء جيش قوي يدافع عن بيضة الأمة، واقتصاد قنوع مخطط يفي بحاجات الشعب، ويعلمه على التقشف ويبعده عن الترف، ومحاربة الرذيلة والفساد الاجتماعي والميوعة لدى الجيل الجديد. ودعوا إلى بناء مجتمع عالم مثقف ينهل من ثقافة العصر، دون نسيان خصوصيته الحضارية.

السابع: وقف الإخوان في العراق (شأنهم شأن إخوانهم في البلاد العربية) وقفة صلبة حاسمة، لا تهاون فيها ضد الاستعمار الإنجليزي والأمريكي والفرنسي وغيرهم، وأعلنوا أن هؤلاء لا يريدون بالأمة وبالإسلام خيراً قط، وفي سبيل

ذلك رفضوا الأحلاف الاستعمارية، كحلف بغداد ودعوا إلى تحرير سياسة العراق الاقتصادية والعسكرية من تأمر هؤلاء ونشروا كل هذا عبر جميع النوافذ بين أبناء الشعب العراقي من الشمال إلى الجنوب، في المساجد والحفلات الدينية والمؤتمرات العامة ووسائل الإعلام المتنوعة التي كانت تحت يدهم.

أما قضية فلسطين، فكانت شغلهم الشاغل في سبيلها أسسوا جمعية إنقاذ فلسطين، وأرسلوا ثلاثة أفواج بعثتها إلى ساحة المعركة، وعقدوا المؤتمرات لذلك، وأصدروا الفتاوى الشرعية بتحريم الصلح مع دولة اليهود الغاشمة في فلسطين.

الثامن: اتصلوا بمعظم العلماء وأخرجوهم من سبائهم ودفعوهم إلى ميدان العمل الإسلامي، وأثروا في مناهج دراستهم للإسلام، بحيث غدوا يقرأون كتب الفكر الإسلامي الحديث والثقافة الإسلامية المعاصرة، أي أنهم كسروا الجمود العلمي في داخل جدران المساجد ودفعوا العلماء إلى التفكير في إصلاح المجتمع، وقد مر بنا كيف دفعوا علماء السنة والشيعة معاً إلى إنقاذ الشعب العراقي عام ١٩٥٩م من الوقوع في براثن الشيوعية، والتبعية للإتحاد السوفيتي، وقدموا في سبيل ذلك مع كافة فصائل الشعب العراقي دماء زكية.

التاسع: في الأربعينيات وبداية الخمسينات، كنت ترى المساجد في العراق، يصلي فيها في الأكثر الشيوخ، ولم يكن الجيل الجديد من المثقفين والشباب يعرفون طريقهم إلى المساجد إلا نادراً، وإنما كانوا يتكبدسون أمام السينات والملاهي والخمارات والملاهي العامة وفي الأماكن التي يختلط فيها الرجال مع النساء.

فاستطاع الإخوان بدعوتهم الإسلامية، وجهودهم المضنية أن يعيدوا جمعاً من هؤلاء إلى المساجد، وكثر والحمد لله وحده، قراءة الكتب الإسلامية الحديثة وصار جمع من الجيل الجديد يفهم دينه وشريعته ونظام حياته، وبدأت التيارات الإلحادية تنحسر شيئاً فشيئاً عن المجتمع العراقي، - وانتهت بذلك - إن شاء الله أزمة العقيدة

التي كانت تأخذ بخناق أجياله في النصف الأول من القرن العشرين .
ولا أدعي أن هذا الشعب كان كافراً فهداه الإخوان، ولكنهم بمعرفتهم لمنهج
الدعوة إلى الله في العصر الحديث، أثاروا الغيرة الدينية الكامنة في أعماق شعب مسلم
عريق في إيمانه وإسلامه، ونشروا بين أبنائه حقائق الإسلام كما أنزلها الله تعالى في كتابه
وفي سنة نبه ﷺ .

العاشر: لجأ الإخوان منذ بداية الخمسينيات إلى فتح دورات التقوية الصيفية
للطلبة. وكان معلموهم وطلبة الكليات منهم يدرسون فيها حسبة لله تعالى، وقياماً
بحق دعوتهم الإسلامية عليها. وقد استفاد الطلاب من هذه الدورات فائدة علمية
وتربوية إسلامية.

وقد اشتركت بنفسي في التدريس بإحدى هذه الدورات في مدينة أربيل في صيف
عام ١٩٥٦ م، عندما كنت طالباً في الكلية. وتطورت فكرة تلك الدورات إلى فتح
المدارس الثانوية الأهلية التي سميت بمدارس الأمان، كان لها فروع في عدد من
المحافظات العراقية، منها مدينة كركوك التي كنت مدرساً في (إعدادية كركوك للبنين)
وكنت أدرس في الوقت نفسه في ثانوية الأمان المسائية. وكانت الفكرة الرئيسية لفتح
تلك المدارس، توجيه الطلاب توجيهاً إسلامياً سديداً مع اختيار أفضل المدرسين فهم
في الناحية العلمية.

ثم فتحت جمعية الأمان، التي كانت من واجهات الإخوان، كلية الدراسات
الإسلامية المسائية ابتداءً من عام ١٩٦٥ م، والتي خرجت عشر دورات متتالية
من أقوى الدورات العلمية، بشهادة طائفة من علماء الأزهر الشريف الذي كانوا
يدرسون في كلية الشريعة بجامعة بغداد، وكانوا يدرسون مساءً في كلية الدراسات
الإسلامية، منهم الشيخ العلامة عبدالرحيم الكشكي، والشيخ يوسف عبدالرزاق،
والشيخ شمس، والشيخ إبراهيم أبو الخشب، والشيخ أحمد فهمي أبي سنة، وكانوا

سبباً في اعتراف الأزهر الفوري بهذه الكلية عند رجوعهم، حيث قدموا مذكرة علمية مهمة، ذكروا فيها أن كلية الدراسات الإسلامية من أرقى الكليات الإسلامية في العالم الإسلامي كله، علماً ودينياً.

وبناء على ذلك الاعتراف قبلت كليات الأزهر عدداً من خريجي هذه الكلية في الدراسات العليا، حيث حصلوا فيها على أعلى الشهادات العلمية، في أصول الدين والشريعة واللغة العربية والتاريخ الإسلامي. إن الألوف الذين تخرجوا من هذه الكلية انتشروا في أنحاء العراق كافة، واشتركوا في أحداث النهضة التعليمية منذ ذلك الوقت وإلى اليوم.

هذا غيض من فيض خدمة الإخوان لمجتمعهم الذي أخلصوا له غاية الإخلاص، وتفانوا في خدمته، استجابة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، ذكرته من باب العلم وإثبات الحقيقة التاريخية، لأن كثيراً من الناس اليوم يجهلون هذا التاريخ المشرق، حتى الأجيال الإسلامية الجديدة، الذين هم ثمرة من تلك الثمرات البانعة التي أثمرتها الدعوة الإسلامية المباركة، التي قادها الإخوان في عراقنا الحبيب الصابر في فترة الدراسة.



الفصل الثالث

الإخوان المسلمون

بعد إنقلاب البعثيين عام ١٩٦٨م

الفصل الثالث

الإخوان المسلمون بعد إنقلاب البعثيين عام ١٩٦٨م

كان مجيء البعث إلى الحكم في العراق بالاعتماد على جمع من الضباط الذين نكثوا عهد القسم للرئيس العراقي المرحوم عبدالرحمن محمد عارق، عهداً فاصلاً وخطيراً بالنسبة للعراقيين عامة والإخوان خاصة.

فالإخوان المسلمون كانوا مطلعين تماماً على أفكار حزب البعث اللادينية منذ ظهوره في العراق عام ١٩٤٩م على يد الطلبة الدروز والتصيرية أمثال فايز إسماعيل ووهيب الغاتم وسليمان العيسي الذين كانوا يدرسون في جامعة بغداد.

وكان الإخوان يعلمون مدى العداوة العميقة التي يكنها هؤلاء ضد الحركة الإسلامية المعاصرة عامة والإخوان خاصة في العراق وفي غير العراق، وكانوا موقنين أن الغرب الصليبي ردّ ضمن مارد على الحركة الإسلامية في الشرق العربي، بهذا الحزب القومي العلماني (اللا ديني) الشمولي الثوري المتطرف^(١) وأمثاله من الأحزاب

(١) في عام ١٩٩٦م كنت معيداً في كلية الشريعة في جامعة بغداد، وكنت مسجلاً رسالتي لنيل شهادة الدكتوراه في كلية الآداب بجامعة القاهرة، فحملني عميد الكلية الدكتور أحمد ناهي القبسي نسخة من رسالته في الدكتوراه (عطارنامه) إلى الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب، أحد أعضاء لجنة المناقشة، فاتصلت به بعد وصولي إلى القاهرة، وزرت في بيته، فعندما جلست سألني عن وضع العراق في ظل البعث، وأظهر ألمه لما أصاب صديقه الدكتور عبدالرحمن البزاز، رئيس وزراء العراق الأسبق الذي سجنه البعثيون بعد الانقلاب فعذبوه في سجن النهاية بوحشية بالغة دون توجيه أية تهمة إليه، فمات من أثر ذلك التعذيب في بيته بعد أشهر من خروجه. ثم قال لي كنت في بداية الأربعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، وكنت أقرأ في الجرائد مقالات وتعليقات في

اللا دينية، الذين يريدون الفصل الكامل بين الدين والدولة.

ومن يقرأ كتابات زكي الارسوذي وميشيل عفلق والياس فرح وشبلي العيسى، يجدانهم يعدون الإسلام ثورة من ثورات العرب التاريخية، كل ثورة تمثل مرحلتها كشرعية همورابي والشعر الجاهلي وثقافة عصر المأمون، وأفكارهم البعثية التي تمثل أعلى مرحلة من مراحل تطور حياة العرب.

ولذلك فمن الطبيعي ألا يؤمنوا بالإسلام نظاماً للحياة، والمسلمون منهم كصلاح الدين البيطار وأخيه نديم البيطار وأكرم الحوراني، اتبعوا هؤلاء في تلك الأفكار، لأن خلفيتهم الثقافية كانت خلفيات ثقافة غربية لادينية، لأنهم درسوا في الجامعات الفرنسية، وتشبعوا بالفلسفات اللادينية وأفكارها القومية المتطرفة.

لقد تعرف الإخوان على عداوة البعثيين لهم عبر ثلاث مراحل :

• مرحلة العهد المالكى في الجامعات، حيث احتدمت مناقشاتهم الهجومية على منهج الإخوان في فهم الإسلام ورميهم بالألفاظ القبيحة كوصفهم

الجرائد الأمريكية عن خطر دعوة الإخوان المسلمين على الغرب، وكيف أنهم يريدون أن يصوغوا الأمة الإسلامية صياغة جديدة تمهيداً لإعادة الخلافة الإسلامية، وهذا خطر كبير على الغرب. وكانوا يقترحون أن يوجدوا حركة قومية بديلة، تقف أمام الحركة الإسلامية، لأخذ الجيل الجديد منهم. وذكر لي أن هذا الحزب سبدخل في صراع دموي عنيف ضد جماعة الإخوان المسلمين في أي بلد عربي يتسلمون فيه الحكم، وذكر لي أنهم ليسوا صادقين في دعواهم إلى الوحدة العربية، بدليل أنهم وقعوا صك الانفصال عن مصر، وقضوا بذلك على وحدة مصر وسوريا التي كانت يمكن أن تكون نواة للوحدة الكبرى، وثمن موقف الإخوان المبذني في سوريا الذين أيدوا الوحدة ولم يوقعوا على الانفصال على الرغم مما كان بينهم وبين نظام عبدالناصر الذي أعدم جمعاً من قادتهم بدون وجه حق.

ولما رجعت إلى العراق وذكرت ذلك للدكتور محمد حامد الطائي عميد كلية الدراسات الإسلامية يومئذ. قال : سبحان الله، هذا الكلام شرحه الدكتور يحيى شرجاً وافياً عندما دعونا لإلقاء محاضرات في جامعة بغداد أمام جمع من الأساتذة .

بالعملاء والرجعيين.

• مرحلة العهد الجمهوري، الذي وصل صدامهم مع الإخوان إلى القتل، حيث قتلوا الأخ محمد البنا في الأنبار.

• وأما المرحلة الثالثة، فبعدما جاؤوا إلى الحكم في انقلاب عام ١٩٦٣ م على عبدالكريم قاسم.

وبعد أن صفوا الشيوعيين، التفتوا إلى الآخرين ومنهم الإخوان، فكان الأشهر التسعة التي حكموا فيها أشهراً ارتكبوا فيها عن طريق احرص القومي الذي شكلوه جرائم كثيرة من السجن إلى التعذيب إلى القتل ضد أبناء الشعب العراقي كافة، مما دفع الرئيس عبدالسلام عارف وجمعا من الضباط القوميين معه إلى الانقلاب عليهم في عام ١٩٦٤ م.

إذن تجربة الشعب العراقي عامة والإخوان خاصة كانت مريرة ومخيفة مع حزب البعث، ومن هنا فإنهم تخوفوا كثيراً بعد انقلاب ١٧ تموز عام ١٩٦٨ م ولا سيما الثلاثين منه، عندما طردوا الضباط الذين ساعدوهم في المجيء إلى الحكم وانفردوا بحكم العراق وحدهم لا شريك له في ذلك.

لقد بدأ البعثيون سريعاً بالالتفات إلى خصومهم السابقين، فبدل أن يعنفو عنهم لكي ينوا مجتمعاً عراقياً متآلفاً متجانباً ومتوازناً من أجل البناء والتعمير، القوا القبض عليهم وعرضوهم على التعذيب والمحامات الصورية، فمنهم من مات تحت التعذيب كالشيخ المجاهد الشهيد عبدالعزيز البصري، والمفكر والقانوني الكبير عبدالرحمن البزاز وعشرات غيرهم.

ومنهم من قتلوه غيلة كالدكتور ناصر الحاي، عندما أخذوه من البيت ليلاً ثم القوا بجثته في قناة الجيش، ومنهم من حكموا عليهم بالإعدام وعلقوهم في ساحة التحرير إرهاباً للشعب العراقي كله.

موقف الإخوان :

أوعزت قيادة الإخوان في العراق إلى جميع الأعضاء بالتزام أقصى جانب الحذر، وعدم القيام بالنشاطات العامة، وعدم إصدار البيانات والمنشورات، وإخفاء كتب الدعوة قدر الإمكان، ومراقبة الوضع بحذر شديد. غير أن البعثيين كانوا يعلمون جيداً أن الإخوان لهم تنظيمات وكانوا يعرفون كثيراً من قياداتهم، لأنهم عاشوا معهم في مراحل مختلفة متتابعة كما ذكرنا، لاسيما قيادات الحزب الإسلامي العراقي وتنظيماته في أنحاء العراق كافة. ومن هنا فعندما قرر الحزب في سنة ١٩٧٠م البدء بإرهاب الإخوان والتحرش بهم القوا القبض على من كانوا يعرفونهم من القيادات العليا وقيادات بعض المناطق في مديرية الأمن العامة، وعرضوهم على التعذيب كي يحصلوا منهم على الاعترافات بتفاصيل تنظيمات الإخوان وكانت المحنة قاسية واستمرت أياماً ولولا تدخل بعض أقارب الرئيس العراقي أحمد حسن البكر، وعلى رأسهم عديله الأخ محمد سمير التكريتي وزوجته الفاضلة، لكان من الممكن أن تتطور الأمور إلى إجراء محاكمات صورية والحكم على طائفة منهم بالإعدام، ولكن الله تعالى سلم، وأطلق سراح الإخوان المعتقلين. والحق أن البعثيين يومئذ كانوا مشغولين بقضايا تثبيت حكمهم، وضرب خصومهم المباشرين من العسكريين وغيرهم، وتصفية جيوب الشيوعيين منهم، ولم يكونوا قد أصدروا يومئذ قوانينهم الاستثنائية الصارمة، بتجريم التنظيمات السرية، لأنهم كانوا في بدايات حكمهم. ومن هنا فأنهم سمعوا نصائح من نصيحهم من أقاربهم أو غيرهم بعدم التشدد مع الإخوان، لأنهم لم يبد منهم شئ ضد الحكم.

ويترجع عندي أن المرحوم خير الله طلفاح وابنه عدنان الذي كان من الإخوان في المرحلة الأولى من حياته، لعبوا مع الآخرين دورهم في طمأنة قيادة البعث من جانب الإخوان، والدليل على ذلك أن الدكتور عبدالكريم زيدان المراقب العام للإخوان،

توسط له خير الله طلفاح وهياً له سبل الظهور والرجوع إلى وظيفته في كلية الحقوق دون التعرض له حيث كان أستاذاً فيها.

إيقاف التنظيم :

درست قيادة الإخوان خلال ستين من حكم البعث (١٩٦٨-١٩٧٠م) الأوضاع الصعبة التي كان يمر بها المجتمع العراقي تحت إرهاب أجهزة حزب البعث الأمنية والحزبية وتيقنوا أن هؤلاء جافوا للبقاء، وأنهم رسموا للشعب العراقي الطريق الذي حددوه فحسب، وأنهم سيطروا على مراكز القوى سيطرة كاملة، بطرد ضباط القوات المسلحة الذين لم يستجيبوا لهم، وأنهم لا يؤمنون بالتعددية السياسية، وأنهم سيسحقون أي حزب أو تيار يقف في طريقهم بلا هوادة، وقد طبقوا ذلك عملياً عبر الاعتقالات والتعذيب والإعدامات في هذه الفترة القصيرة من بدايات حكمهم. وقد وضعوا هذه السياسات العنيفة كلها في قانون العقوبات الذي أصدره، فقد نصت بعض مواده بصراحة على حكم الإعدام لكل من ينضم إلى تنظيم، وعد كل تنظيم سري انقلاباً على الدولة يستحق أفراد الإعدام.

فإذن لم يبق أمام الإخوان إلا أن يتخذوا قراراً خطيراً، وهو إيقاف التنظيم، لإبعاد أعضاء الإخوان وشبابهم المتحمس من الوقوع تحت هذا الحكم الإرهابي القاسي، لأن البعثيين ما كانوا يتورعون عن إعدام ألوف الإخوان لو ثبت لهم أنهم يعملون من خلال التنظيم. وصدر الأمر إلى جميع الإخوان العمل بهذا القرار، والاكتفاء بالعمل العام لخدمة الإسلام في المجتمع، ومنه العمل الفردي بين أفراد الأسرة والأصدقاء وزملاء العمل. ولا شك أن هذا القرار وصل إلى البعثيين، ومع ذلك لم يطمأنوا تماماً، ولذلك فإنهم وضعوا رقابة شديدة على جميع النشاطات الإسلامية، حتى يعلموا من خلالها صدق ما وصل إليهم من قرار قيادة الإخوان بإيقاف التنظيم.

ولم يلق هذا القرار أية معارضة تذكر من قواعد الإخوان، لأنهم كانوا يدركون خطورة الأمر، بل إنهم رأوا أن هذا القرار كان حكيماً من أجل المحافظة على أصول دعوة الإخوان الإسلامية من جهة، والحفاظ على دماء الشباب منهم من جهة أخرى. ثم إنهم كانوا يرون أن هذا القرار سيفتح أمامهم آفاق العمل الإسلامي العام، من دون الارتباط بالتنظيم الذي سيعرضهم إلى مخاطر كبيرة.

واحق أن الروابط الأخوية العامة القوية بين الإخوان - ظلت كما هي - سواء في المساجد التي كانوا يصلون فيها، أم في المجالات الاجتماعية التي كانوا يلتقون فيها، أم في المدارس والجامعات التي كانوا يدرسون فيها، علماً أن الزيارات الأخوية في المناسبات المتنوعة استمرت ولكن في نطاق ضيق حتى لا يجلب نظر السلطة.

إن مسالك العمل الإسلامي كثيرة والحمد لله، فخطب الجمعة، والدروس الإسلامية التي كان تلقى في المساجد في حدود معينة، والاحتفالات الإسلامية التي كانت تقوم بين حين وآخر كانت مناسبات للقاءات الإخوان، واستمرار العلاقة الأخوية بينهم، وشعورهم أنهم يرتبطون برابطة ربانية قوية.

وكان إيقاف التنظيم مناسبة مهمة لتصفية صف الجماعة من الضعفاء والمنهزمين والجبنا، حتى يبقى الصف الإخواني قوياً صافياً، عندما تنهأ الفرصة المناسبة لإعادة التنظيم مرة أخرى. ولقد استمر هذا الوضع طيلة السبعينيات من القرن الماضي، لأن عيون أجهزة الأمن البعثية كانت قوية، لعدم انشغال الحكومة يومئذ إلا ببعض المشاكل الداخلية.

عودة التنظيمات :

عندما أوقفت قيادة الإخوان التنظيم، ظن الإخوان أن هذا الأمر مؤقت لا يطول، ولما رأى البعض أن التوقف قد طال خشوا أن تضعف النفوس، ويبرد النشاط

الإخوان المسلمون في العراق

الدعوي، وتذهب جهود عشرات السنين هباء، وتتلاشى هذه الدعوة الكريمة التي تعبت في تنشئة جيلين من أطر شباب العراق تنشئة إسلامية شاملة، وقدمت في سبيل ذلك التضحيات الجسام من دماء الشهداء وغيرها.

ومن هنا فقد حاولوا الضغط على القيادة في تحرك جديد بأسلوب جديد، غير أن القيادة التي لم تكن تؤمن بالشورى الملزمة، لم تنصع إلى تلك الهمسات المخلصة من هنا وهناك، فكانت النتيجة الحتمية أن اندفع بعض الشباب إلى محاولة إحداث تنظيمات إخوانية جديدة، دون إتباع قيادة شرعية توزن الأمور بموازين دقيقة، وتتخذ خطوات حكيمة في ضبط توجهات الشباب فاعتمدوا على أنفسهم وبدأوا يتحركون. وقبل ذلك استمرت مجموعة من طلبة التنظيم الطلابي بعملها في صفوف الشباب في الجامعات وكان على رأس هذا العمل الأخ إياد السامرائي^(١).

ومن أهم تلك التنظيمات الشبابية تنظيم المهندس الشهيد الشاب سرمد الدوري في نهاية السبعينيات، وأذكر أنه زارني في بيتي في الأعظمية مع بعض الشباب في هذه الفترة، وفتحوني في هذا الأمر الخطير، لكن حذرهم من هذا العمل الجزئي الذي قد يجلب كارثة محققة على الجميع بدون رضا القيادة، ولما اصرّوا على ذلك طلبت منهم أن لا يوسعوا الدائرة، وأن يكونوا حذرين جداً، وألا يعرضوا أنفسهم إلى عيون عملاء الأمن في المساجد وغيرها، ولكن سبق السيف العذل، فانتبهت القوى الأمنية البعثية على نشاطهم، فالقي القبض عليهم، وحوكموا محاكمة صورية سرية، وحكم عليهم بالإعدام، ونفذ فيه وثلاثة معه - رحمهم الله أجمعين -.

وتنظيم آخر ظهر في المقدادية في محافظة ديالى، عرف فيما بعد بتنظيم الأخ حسين في أول الثمانينيات، فاكشف أيضاً فحكم على عدد منهم بالإعدام ونفذ فيهم، وعلى

(١) ذكر لي هو ذلك.

واستمرت هذه التنظيمات الشبابية تظهر في أماكن عدة، لاسيما في سنوات الحرب العراقية الإيرانية، ولكن في حدود ضيقة، فيعدم البعض ويسجن البعض ويفر البعض الآخر خارج حدود العراق.

وأكبر وأوسع تنظيم ظهر بين الشباب هو تنظيم الأخ الدكتور عبدالمجيد السامرائي^(١) الذي اتسعت دائرته إلى أنحاء العراق كافة، وكان التنظيم دقيقاً جداً غير أنه اكتشف في البصرة في أثناء التحقيق مع أحد الجنود عام ١٩٨٧م واستطاعت الأجهزة الأمنية أن تتعرف على بعض قيادات التنظيم، عندما ألقت القبض على زوجة الدكتور عبدالمجيد السيدة الفاضلة فاطمة وأمها. حدثني أمها بعد سنوات فقالت: (لما ألقى القبض على وعلى ابنتي فاطمة، هدد المحققون ابنتي بالاعتداء عليها إن لم تعترف بأسماء الذين كانوا يترددون على زوجها فاضطرت أن تذكر لهم بعض الأسماء، مثل نصير العاني ومحمد فاضل السامرائي، والدكتور عصام الراوي وآخرين، فألقى القبض عليهم، فعذبوهم تعذيباً وحشياً ثم حكموا عليهم في محكمة الثورة العسكرية بإعدام البعض والسجن بمدة طويلة على آخرين.

غير أن تدخل جهات كثيرة قريبة من صدام لاسيما أقاربه قد دفعه إلى تغيير الحكم من الإعدام إلى السجن المؤبد، وبعد أن قضوا سنوات في سجن أبي غريب خرجوا في العفو العام الذي صدر في أثناء أحداث الكويت عام ١٩٩١م.

وبعد خروج هؤلاء الشباب، اخضعوا إلى مراقبة شديدة واستدعاءات دائمة إلى الأمن العام، كي يعلموا أن عيون الأجهزة الأمنية ليست بعيدة عن مراقبتهم.

لقد ثبت لنا فيما بعد أن التنظيمات الإخوانية في أنحاء العراق كافة قد استمرت

(١) أرجو أن أتفرغ أو يتفرغ غيري لدراسة دقيقة لهذه التنظيمات وأماكنها وأسماء من اشتركوا فيها، والشهداء الذين قضوا في سبيل دعوتهم الصادقة - إن شاء الله -.

بسرية تامة ودون مزاولة الأعمال التي تدل عليهم، غير أن تلك التنظيمات لم يكن بعضها يعلم بتفاصيل ما يفعله الآخر، وكان الجميع يعملون بهدوء تام من خلال النشاطات الإسلامية العامة، وكانت القيادات الواعية في المناطق توجهها دون علم المراقب العام، لأنه لم يكن يوافق على ذلك. والظاهر أن صدام شخصياً كان يشعر بوجود هذه النشاطات الإخوانية، ولكن لم يكن للأجهزة الأمنية دليل واقعي على وجود تلك التنظيمات الإخوانية في محافظات العراق.

حدثني ضابط في أثناء اعتقالنا في الأمن العامة، فقال : في إحدى زيارات صدام لمديرية الأمن العامة في بغداد في بداية الثمانينات، سأل المدير العام الدكتور فاضل البراك^(١) : هل بقي الإخوان في المجتمع العراقي، فأجابه : أؤكد لسيادتك أن الإخوان انتهوا ولم يبق لهم أي أثر في المجتمع. قال : فصرخ به صدام فقال : يا مغفل هل عشرات الألوف من الشباب الذين يملأون مساجد بغداد بعثيون؟!

والحق أن انشغال الحكومة بالحرب الإيرانية العراقية، حزياً وأمناً وعسكرياً وإعلامياً، كان فرصة كبيرة لاستمرار التنظيمات الإخوانية في أنحاء العراق كافة، ولكن دون ربط بينها، ودون وجود قيادة شرعية مسؤولة عنها واقعياً، ودون الدعوة إلى إعادة النظر في القيادة السابقة التي انتخبت في عام ١٩٦٠ م، غير أن هذا الواقع الخطير دفع بعض الأخوة القدماء في التفكير في الاتصال بهذه التنظيمات المتعددة في أنحاء العراق كافة وخشية خروج تنظيم من تلك التنظيمات ولا سيما الشبابة عن خط الهدوء واللجوء إلى الظهور والعنف كما حصل في بعض البلاد العربية الأخرى.

وقد وفق الله سبحانه وتعالى هؤلاء إلى هذا العمل الكبير، لأنهم كانوا معروفين لدى موجهي تلك التنظيمات، ولأنهم كانوا هم يؤمنون بهذا الربط الشامل حتى لا

(١) عين مديراً لجهاز المخابرات، وكانت نهايته الإعدام.

بحدث ما يمكن أن يشكل خطراً عليهم جميعاً. وانتهى هذا التشاور المستمر الذي كان يجري بهدوء تام إلى تكوين مجلس شورى من مسؤولي تلك التنظيمات، كان يجتمع بين حين وآخر لبحث شؤون وحركة الجماعة في أنحاء العراق كافة.

هذا العمل الدعوي الشامل استمر من نهاية الثمانينيات إلى عام ١٩٩٦م عندما اقتنع الجميع بضرورة انتخاب قيادة شرعية جديدة، تكون مسؤولة عن قيادة الحركة وإصدار التعليمات اللازمة لتدبير أمور الجماعة وتوجيهها توجيهاً دعوياً تربوياً موحداً. بقيت مشكلة واحدة توقف مجلس الشورى عندها، وهي هل توجد قيادة شرعية للإخوان في العراق؟، وهل قيادة عبدالكريم زيدان مستمرة على الرغم من خروجه من العراق إلى اليمن عام ١٩٩٢م؟. لقد أوكل الأخوة إلى أحدهم بكتابة بحث شرعي في وجود أو عدم وجود قيادة شرعية إخوانية، فكتب هذا البحث الذي كان بمثابة فتوى شرعية بحضور أعضاء مجلس الشورى المؤقت كافة الذين كانوا يمثلون أكثر من عشر تنظيمات في أنحاء العراق.

وبينت الفتوى الشرعية بعدم وجود قيادة شرعية في العراق استناداً إلى النقاط الآتية:

١ - إن الظروف الأمنية عام ١٩٦٠م فرض علينا أن نباع قيادة مجهولة لم نكن نعرف عنها شيئاً، وبعد أن زالت تلك الظروف، كان يجب أن تجري انتخابات جديدة، يكون المرشحون فيها للقيادة معروفين للجميع ولم يجر ذلك وسكت جمهور الإخوان على مفضض لمصلحة الدعوة وعدم الفرقة.

٢ - إن المراقب العام الدكتور عبدالكريم ومن بقى معه في العراق أوقفوا التنظيم عام ١٩٧٠م، والبيعة التي في أعناق جماهير الإخوان للقيادة إنما هي من أجل استمرار هذا التنظيم، وقد مضت ستة وعشرون عاماً على ذلك الانقطاع، فكيف يمكن شرعاً أن تبقى البيعة في أعناق الإخوان وعلى أي أساس، لأن علاقة البيعة بين القاعدة

والقيادة علاقة تنظيمية، فإذا انتفى التنظيم انتفت البيعة.

٣ - إن المراقب العام خرج من العراق للتدريس في اليمن منذ عام ١٩٩٢ م، وانقطعت علاقته ببقية الإخوان القليلين الذين كان يعرفهم فضلاً عن جماهير التنظيمات المبشرة في أنحاء العراق، وهذا وحده دليل على سقوط مسؤوليته شرعاً، وهم قد فعلوا ذلك في عام ١٩٦٠ م، إذ الضرورة دفعت بالأستاذ الصواف للخروج مؤقتاً من العراق وأتاب عنه الأخ كمال القيسي حين رجوعه في الوقت المناسب، فاجتمع جمع من الإخوان يومئذ وبدون إذن الصواف وموافقته وانتخبوا عبدالكريم زيدان، مراقباً عاماً جديداً وعزلوا الصواف بعد أشهر من خروجه، بينما كانت عودته ممكنة جداً بعد أشهر من خروجه، إذ تغير الوضع تماماً.

وقد ظل الأستاذ الصواف متألماً من هذه المعاملة حتى توفاه الله تعالى، فلماذا أباحوا لأنفسهم ما لا يبيحون لغيرهم؟، أي لماذا يعدون موقفهم شرعياً، ولماذا لا يكون موقف الآخرين موقفاً شرعياً.

٤ - إن جماهير التنظيمات الإخوانية ولا سيما الشباب الذين دخلوا في الدعوة عبر ربع قرن، لا يعرفون القيادة المبشرة القديمة، ولا يؤمنون بها، فهم لن يخضعوا إلا لقيادة جديدة تنشق منهم ومن الأخوة القدماء الذين يكتنون لهم الاحترام، لأنهم لم يتركوا ميدان العمل ولم يخرجوا من العراق.

٥ - إن المصلحة في انتخاب قيادة شرعية جديدة مصلحة أكيدة لدفع المفسد الكبيرة التي يمكن أن تحصل نتيجة الفراغ الشرعي في عدم وجود القيادة الموجهة التي تضبط حركة تلك التنظيمات المتنوعة.

لقد ناقش أعضاء مجلس الشورى المجتمعون الذي كان يربو عددهم يومئذ على عشرين مسؤولاً يمثلون تلك التنظيمات هذه القضية مناقشة مطولة عميقة، فاجمعوا على أثرها على ضرورة انتخاب قيادة مركزية لجماعة الإخوان في العراق.

انتخاب مجلس الشورى الجديد :

لقد فكرت القيادة المؤقتة طويلاً، كيف يمكن للآلاف من أعضاء جماعة الإخوان في العراق كافة أن ينتخبوا مجلس الشورى في ظل الأجهزة الأمنية القوية للحكومة البعثية، فأنتهى قرارها إلى ألا يشترك في الانتخابات إلا من كان نقيباً، وهذا يعني ألا يشترك في هذه الانتخابات الأخ والأخ العامل خوفاً من انكشاف أمرنا للسلطة البعثية، وتعريض إخواننا كلهم والدعوة معهم إلى الخطر الأكيد من الاعتقالات والمحاكمات والتصفيات الجسدية.

وكان القرار أيضاً أن ينتخب كل خمسة نقباء رقيباً، وكل خمسة رقباء عضواً في مجلس الشورى، وجرى كل ذلك بحكمة وسرية تامة، فكانت النتيجة أن تشكل مجلس الشورى من اثنين وعشرين عضواً.

حددت ليلة العشرين من رمضان ١٤١٦ هـ (١٩٩٦ م) موعداً لاجتماع مجلس الشورى في بيت الأخ (عابد العيساوي)^(١) - رحمه الله - في حي العامرية. ودخل الجميع بدون سياراتهم الخاصة في أثناء أذان المغرب، أي وقت الإفطار دون أن يحس بهم أحد.

بعد أداء صلاة المغرب، قدمت القيادة المؤقتة تقاريرها الدعوية والأمنية والسياسية والمالية إلى الحاضرين، فناقشوها مناقشة مستفيضة، ثم قاموا إلى أداء صلاة العشاء والقيام، وبعد قسط من النوم، قاموا إلى تناول وجبة السحور ثم أداء صلاة الفجر والدعاء، ثم جلسوا وانتخبوا باقتراح سري المراقب العام وأربعة معه لقيادة جماعة الإخوان في العراق، أقسم الجميع القسم المعهود المتعارف عند جماعة الإخوان المسلمين، وكانت البيعة للقيادة الجماعية وليست لشخص معين.

(١) قتله القاعدة امام صيدلية الجلبي في الشارع العام في شعبان ١٤٢٦ هـ وهو صائم وأعزل من السلاح كما فعلوا بجميع القياديين من الإخوان الذين قتلوهم ظلماً وعدواناً.

وحمد الجميع ربهم سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الرباني في وحدة الصف الإخواني ووحدة قيادته المجاهدة في أنحاء العراق كافة.

وهكذا بدأ العمل السري الحكيم الدؤوب في ظل القيادة الشرعية المنتخبة وتوجه الجميع إلى بناء الصف الداخلي، دعوةً وثقيفاً وتوجيهاً، ولا بد قبل الحديث عن محنة عام ١٩٩٦م أن أشير إلى أن إخواننا في الخارج الذين أعادوا تنظيمهم منذ الثمانينيات، قد مدّوا يد المساعدة المالية لألوف من عوائل إخوانهم في الداخل الذين كانوا يعانون شظف العيش في ظل الحصار الظالم الذي فرضته الولايات المتحدة على الشعب العراقي، وهم كانوا على علم بجهود إخوانهم في داخل العراق، وكانت تلك المساعدات تصل شهرياً إلى تلك العوائل وإلى المتفرغين للدعوة، جزاهم الله خيراً.

إكتشاف القيادة :

مشت الأمور الدعوية في أنحاء العراق بصورة منتظمة، سواء في الشقيف الداخلي أم النشاطات العامة أم الإشراف على دورات تحفيظ القرآن الكريم، دون أن يتلفت أحد أن وراء هذا النشاط عقل تنظيمي مدبر - بإذن الله سبحانه وتعالى -.

غير أن حادثاً أوقع أحد أعضاء القيادة وهو الأخ المرحوم إبراهيم عبداللطيف في خطأ كبير، وهو أن ابن أخته عمار كان يشتغل في شركة تركية، فاتصلت به المخابرات العراقية، وطلبوا منه أن يكتب لهم تقارير دورية عن أعمال الشركة، فبدل أن يقول لهم مثلاً نعم سأفعل ذلك إذا كان الأمر يشكل خطراً على أمن العراق، ثم يترك عمله تدريجاً، قدم استقالته إلى الشركة، وخرج يعمل في التجارة بين بغداد والبصرة، فبدأت المخابرات تراقبه، ففي أحد الأيام أوقفته في سيطرة العمارة، وفتحوا حقيبته اليدوية، فإذا بهم يرون كتيباً بعنوان (قيادة الإخوان المسلمين في العراق - رسالة تدريب النقباء) وصدمووا بذلك، لأن هذا لم يكن يدور في خلد هم ولا هم يبحثون عنه، فآلقوا القبض

عليه ونقلوه فوراً إلى الأمن العامة، فبدأوا التحقيق معه تحت تعذيب شديد، فاعترف أن خاله الأخ إبراهيم هو الذي أعطاه إياه لينقله إلى إخوان البصرة، فلما سمع الأخ إبراهيم بذلك اختفى أياماً، وفي أثناء محاولته الذهاب إلى البصرة بعد أيام ألقى ضباط الأمن المترصدون له القبض عليه في (مرآب) الجنوب والبصرة بجانب جامع البنية في بغداد، ونقلوه إلى الأمن العامة، وبدأوا معه التحقيق تحت تعذيب شديد، فلم يعترف في أول الأمر بوجوده للإخوان في العراق، إلى أن جاؤوا بمسجلة فيها صوت امرأته، فقالوا له أليس هذا صوت امرأتك، قال : بلى، فقالوا : إنها موجودة في الغرفة المقابلة، إن لم تعترف، فإن أفراد الأمن سيعتدون عليها، حينئذ أنهار الأخ إبراهيم واعترف بوجود التنظيم وأعطاهم أسماء إخوانه في القيادة، فألقى القبض علي وعلى بعض أعضاء القيادة. كان بإمكانني أن اختفي أيضاً، ولكنني خشيت أن يلقوا القبض على زوجتي وأولادي حتى يجبروني على تسليم نفسي، فبقيت في البيت.

دق جرس الباب، فلما خرجت أمسك بي ضباط في الأمن العامة ودفعوني إلى داخل السيارة وانطلقوا بي إلى مديرية الأمن العامة في جانب الرصافة. وكان مدير الأمن العام - رحمه الله - ، اللواء الركن محمد طاهر الحبابي يومئذ، رجلاً طيباً ذا دين وخلق^(١). فأوصى بي شخصياً، ولم أعرض إلى التعذيب الجسدي شخصياً والحمد لله.

لقد استمرت التحقيقات معنا أياماً، ولساعات طويلة، واهتمونا بأننا نريد أن نعبد تنظيم الإخوان المسلمين في العراق، وظهر لي أنهم لا يفهمون شيئاً عن جماعة الإخوان المسلمين، تاريخهم وفكرهم حتى أنني عرضت عليهم أن أهدى إلى مكتبتهم كل ما في مكتبي من كتب حول حركة الإخوان.

(١) لم يبق طويلاً، ثم أحيل على التقاعد، ثم توفي بعده بقليل، وحامت حول كيفية وفاته شكوك - رحمه الله رحمة واسعة - .

لقد أوصل إخواننا خبر اعتقالنا إلى إخواننا العراقيين وغير العراقيين فتحرك الجميع سريعاً، واجتمع عدد من زعماء الإخوان في الأردن، وقدموا مذكرة إلى صدام عن طريق السفير العراقي في عمان إلى الرئيس العراقي صدام، وسمعنا أن رئيس الوزراء التركي يومئذ نجم الدين أربكان أرسل وزير عدله إلى بغداد وقابل الرئيس العراقي وتحدث في قضيتنا، وطلب منه إطلاق سراحنا، لعدم ثبوت جرم معين ضدنا. والحق أن التحقيقات لم تثبت ضدنا أي شيء مخالف لمصلحة البلد، لكن كانت المشكلة أن قانون العقوبات التي وضعتها حكومة البعث عذ أي تنظيم سري مؤامرة ضد الدولة، وكان الحكم فيها بالإعدام، ولكن الله تعالى سلمنا، وقبل صدام شفاعة الشافعين فينا، وأمر بإطلاق سراحنا، والاكتفاء بالمراقبة الشديدة لنا.

وأذكر هنا أمراً جديراً بالذكر، فقد شتم أحد الضباط السفهاء في أثناء التحقيق معي، الإمام الشهيد حسن البنا شتماً قبيحاً، فقلت : لك أن تشتمني أنا ولكن لا تشتم ولي عصرنا هذا، لأنني أخشى عليك من سوء يصيبك فاستغفر الله تعالى، فوجم الرجل ولم يقل شيئاً، ولم تمر أيام على خروجنا وإذا به يأتيني إلى البيت، فرحبت به وجلس باكياً، فقال : لقد انتقم الله مني بسبب الإمام حسن البنا، قلت له : كيف، قال : اتهموني بأخذ الرشوة، فعذبوني عذاباً شديداً، وفصلوني من وظيفتي، وكان برتبة نقيب، فقلت له : اهدأ، طالما ندمت، فإن الله تعالى غفور رحيم.

لم توقف هذه الحادثة الأليمة نشاطات الدعوة السرية في أنحاء العراق كافة، ولكن اتخذ إخواننا احتياطات شديدة، وكانت عناية الله معنا في توسيع دائرة نشاطنا الخاص والعام، لحين عام ٢٠٠٣م حينما احتلت الولايات المتحدة العراق مع حلفائها، فدمروا العراق تدميراً كاملاً شاملاً، وهذه المأساة قصة أخرى، خصصت لها كتابي (العراق من الاستبداد إلى الاحتلال) أرجو أن يرى النور يوماً من الأيام القريبة - إن شاء الله - . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

آثار المؤلف

• الكتب:

- ١ - حقيقة البابية والبهائية، ط ٥، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ٢ - الألوسي مفسراً (رسالة ماجستير) المعارف، بغداد، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- ٣ - الرازي مفسراً (رسالة دكتوراه) الحكومة، بغداد، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- ٤ - دراسات في أصول تفسير القرآن، ط ١، مطبعة الوطن العربي، بغداد ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ٥ - جمال الدين الأفغاني (المصلح المفترى عليه)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٦ - منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٧ - المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، من منشورات مجلة الأمة القطرية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٨ - أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث، الدار البيضاء، المغرب، ودار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٩ - تجديد الفكر الإسلامي، طبعة منقحة مزيّدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- ١٠ - تطور تفسير القرآن، قراءة جديدة، دار الحكمة، بغداد، ١٩٧٩ م.
- ١١ - نظرات في الإقتصاد الإسلامي، الحوادث، بغداد، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ١٢ - من أئمة التجديد، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦ م.

- ١٣ - النورسي الرائد الإسلامي الكبير، بغداد ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٤ - علوم القرآن والتفسير، دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٩م.
- ١٥ - صراع الأفكار في المجتمع الإسلامي، ط وزارة التربية، أربيل، ١٩٩٨م.
- ١٦ - النورسي متكلم العصر الحديث، ط ١، القاهرة ١٩٩٥م.
- ١٧ - تفسير آيات الصفات بين المثبتة والمؤولة، دار إحسان، طهران.
- ١٨ - الإسلام والتنمية الاجتماعية، بغداد، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- ١٩ - حق المعارضة السياسية في المجتمع الإسلامي، دار إحسان، ١٩٩٣م.
- ٢٠ - المنهج الشمولي في فهم الإسلام، دار إحسان، ١٩٩٣م.
- ٢١ - نظرات في تفسير آيات من القرآن الكريم، دار الأنبار، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٢٢ - مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، دار عمان، عمان.
- ٢٣ - قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر، أربيل، العراق.
- ٢٤ - المذهبية الإسلامية والتغير الحضاري، كتاب الأمة، قطر، ١٩٨٥م.
- ٢٥ - العقائد الإسلامية، أربيل، العراق، ٢٠٠٢م.
- ٢٦ - العولة من المنظور الإسلامي، أربيل، العراق، ٢٠٠٢م.
- ٢٧ - قضايا مثارة حول المرأة المسلمة، شركة الراشد، بغداد، ١٤٢٣هـ.
- ٢٨ - الفنون الجميلة من المنظور الإسلامي، دار ثين، أربيل، العراق، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ٢٩ - الجهاد الشامل وموقف الحزب الإسلامي العراقي من العملية السياسية، أربيل، العراق، ٢٠٠٥م.
- ٣٠ - من البلاغ المين الى السياسة الشرعية - بغداد - ١٤٢٩هـ / ١٤٣٠م.
- ٣١ - قواعد التكفير عند أهل السنة والجماعة - دار الفرقان - عمان ٢٠٠٩م.

• الأبحاث:

- ١ - تفسير القرآن بالمصطلحات، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية، بغداد، عدد ٣، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ٢ - الاتجاه الباطني في التفسير، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية، بغداد، عدد ٤، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٣ - موقف صاحب المنار من المفسرين، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية، جامعة بغداد، عدد ١٣، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ٤ - الواحدي ومنهجه في التفسير، بحث منشور في مجلة الرسالة الإسلامية، بغداد، عدد ٢٦، ١٩٧١م.
- ٥ - أين نجد الفلسفة الإسلامية، بحث منشور في مجلة الرسالة الإسلامية، بغداد، العدد ٦٥ - ٦٦.
- ٦ - أثر القرآن في اللغة العربية وعلومها، بحث منشور في مجلة الرسالة الإسلامية، ضمن أعداد سنة ١٣٩٨هـ.
- ٧ - تحقيق قصة بحيرا، بحث منشور في مجلة (الجامعة).
- ٨ - النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث، بحث منشور في مجلة الأمة القطرية.
- ٩ - الإسلام والتنمية الاجتماعية، بحث قدم الى مؤتمر علماء الاجتماع الذي عقد في بغداد، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ١٠ - أبحاث ومقالات فكرية متنوعة في الثقافة الإسلامية المعاصرة وصراعاتها مع أعدائها، منشورة في مجلة التربية الإسلامية ببغداد بين سنة ١٣٩٣هـ - ١٤٠٢م.

• الرسائل:

من سلسلة (الرسائل البيضاء) صدرت للمؤلف الرسائل التالية في بيروت:

- ١ - العلم ليس كافراً.
- ٢ - أسرتك أيها المسلم.
- ٣ - حركة الإسلام ومفكروا الغرب.
- ٤ - الوجودية وواجهات الصهيونية العالمية.
- ٥ - مع رسول الله.
- ٦ - النظام الروحي في الإسلام ومقومات شريعته.
- ٧ - حول قضية التراث.
- ٨ - المرأة المستعبدة في ظل الحضارة الحديثة.
- ٩ - زي المرأة وأثره في المجتمع.
- ١٠ - اللغة العربية بين شعوبيتين.
- ١١ - من المنظومة الغربية الى المنظومة الإسلامية، شركة الرشد، بغداد.
- ١٢ - اليهود وتفجير الجنس، شركة الرشد، بغداد.
- ١٣ - موقف اليهود من الإسلام والمسلمين، شركة الرشد، بغداد.
- ١٤ - صحابة رسول الله في القرآن، شركة الرشد، بغداد.

• الكتب المنهجية:

- ١ - أصول تدريس الدين لمعهد المعلمين في بغداد (بالاشتراك).
- ٢ - التربية الدينية لمعهد المعلمين في بغداد (بالاشتراك).
- ٣ - علوم القرآن للمعهد الإسلامي في بغداد (بالاشتراك).
- ٤ - مذاهب المفسرين للمعهد الإسلامي في بغداد (بالاشتراك).

- ٥ - التفسير كلية التربية في بغداد (بالاشتراك).
- ٦ - الإسلام نظام الحياة لمكتبة الراشدين في الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار في الجامعات العربية.
- ٧ - الهجرة النبوية الشريفة لمكتبة الراشدين في الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار في الجامعة العربية.
- ٨ - تفسير القرآن الكريم في مدارس وزارة التربية بالجمهورية العراقية (بالاشتراك).

• تحت الطبع:

- ١ - العراق من الاستبداد الى الاحتلال.
- ٢ - عقائد أهل السنة والجماعة في التكفير، ابن تيمية نموذجاً.
- ٣ - حوار بين الحلبي وابن تيمية، تهذيب منهاج السنة النبوية.
- ٤ - أوضاع المعاني في تهذيب تفسير روح المعاني للعلامة أبي الشناء الألوسي.



• السيرة الذاتية والعلمية للمؤلف:

- * من مواليد عام ١٩٣٧ في كركوك - العراق.
- * أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في مدينة السليمانية والإعدادية في كركوك.
- * تخرج في كلية التربية قسم اللغة العربية عام ١٩٥٩ م بدرجة جيد جداً.
- * حصل على الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ بدرجة جيد جداً، وكانت الرسالة بعنوان: (الآلوسي مفسراً).

- * عين معيداً في كلية الشريعة - جامعة بغداد عام ١٩٦٧ م.
- * حصل على الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة القاهرة - كلية الآداب بمرتبة الشرف الأولى ودرجة الإمتياز عام ١٩٧٢ م.
- * رُقي الى مرتبة الأستاذية عام ١٩٨٣ م.
- * أوفد الى المغرب للتدريس في جامعاتها بين ستي ١٩٨٢ - ١٩٨٥ م.
- *لقى محاضرات علمية في المراكز الإسلامية في لندن وباريس واستنبول ومكة ومدن المغرب وغيرها، ومئات المحاضرات في العراق.
- * أستاذ زائر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لأربع سنوات متوالية (١٩٨١ - ١٩٨٥) م.

- * درس العلوم الإسلامية على علماء أجلاء وحصل على الإجازة العلمية من العلامة الشيخ مصطفى الهرشمي النقشبندي في أربيل عام ١٩٧٨ م.
- * أعطي لقب الأستاذ الأول في كلية التربية عام ١٩٩٦ م.
- * اعتقل عام ١٩٩٦ في الأمن العامة في بغداد، مع قيادة الإخوان المسلمين يومئذ.

- * شارك في تطوير مناهج التربية الدينية في وزارة التربية والتعليم العالي والأوقاف

والشؤون الدينية.

* ألقى مئات المحاضرات الإسلامية في المساجد والجامعات والمؤسسات الثقافية ما بين ١٩٧٥ - ٢٠٠٦م في العراق وخارج العراق.

* اشترك في العديد من المؤتمرات الإسلامية والندوات العلمية في العراق والعالم العربي والإسلامي وأوروبا.

* نشر مئات المقالات في الثقافة الإسلامية في عدد من جرائد ومجلات العالم العربي والإسلامي.

* له أكثر من ثلاثين كتاباً في التفسير والعقائد والأصول والفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية المعاصرة.

* حصل على جائزة بيت الحكمة في بغداد عام ٢٠٠١م في الدراسات الإسلامية.

* بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣م انتخب أميناً عاماً للحزب الإسلامي العراقي ثم رئيساً للحزب في عام ٢٠٠٤م.

* تم اختياره عضواً في مجلس الحكم في العراق عام ٢٠٠٣م وتولى رئاسة المجلس في شباط عام ٢٠٠٤م.

* انتخب عضواً في المجلس الوطني العراقي المؤقت عام ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م.

* انتخب رئيساً لمجلس الشورى المركزي في الحزب الإسلامي العراقي عام ٢٠٠٥م.





النَّارِي السُّبَايِي

فهرس المحتويات

تقديم.....	٥
مقدمة.....	٩
منهجي في هذه الدراسة :.....	١١

• الفصل الأول:

أوضاع المسلمين في العصر الأخير.....	١٥
-------------------------------------	----

• الفصل الثاني:

أوضاع مصر عند ظهور الإمام حسن البنا.....	٢٧
من هو حسن البنا :	٣٠
ماذا فعل حسن البنا :	٣٢
حل جماعة الإخوان المسلمين :	٣٨
قتل الإمام حسن البنا :	٤٠
نتائج هذا الطغيان :	٤٥

• الفصل الثالث:

أوضاع المجتمع العراقي عند ظهور جماعة الإخوان المسلمين فيه	٥٥
تركيبة المجتمع العراقي :	٥٥
وضع الدولة في فترة الدراسة :	٥٦

الإخوان المسلمون في العراق

الأوضاع الدينية في هذه الفترة :	٥٨
التيارات السياسية :	٦١
الظروف الاجتماعية :	٦٣
الظروف الاقتصادية :	٦٥
ظهور جماعة الإخوان المسلمين في العراق	٦٧

• الفصل الأول:

الدكتور حسين كمال الدين في العراق	٦٩
حسين كمال الدين مؤسس الدعوة :	٦٩

• الفصل الثاني:

رجوع محمد محمود الصواف إلى العراق	٨٣
حياته :	٨٣
إتصاله بالإمام حسن البنا :	٨٤
شخصية الصواف :	٨٨
العقبات في طريق دعوة الإخوان أيام الصواف :	٩٣
ملاحظات حول قيادة الصواف :	٩٨
إستنتاج :	٩٩
الانشقاقات في زمن الصواف :	٩٩
انشقاق مصطفى الوهاب :	١٠١
إنشقاقات أخرى :	١٠٢

• الفصل الثالث:

الإخوان المسلمون في العهد الملكي	١٠٧
فرع الموصل :	١١٠
فرع أربيل :	١١٢
فرع كركوك :	١١٣
فرع البصرة :	١١٤
فرع الزبير :	١١٨
فرع الرمادي :	١٢١
في منطقة السليمانية :	١٢٢

• الفصل الرابع:

النشاط الدعوي للإخوان في العراق	١٢٧
النشاط الداخلي :	١٢٧
النظام الداخلي للإخوان في العراق :	١٣٥
مصادر تمويل جماعة الإخوان المسلمين في العراق :	١٣٧
النشاطات السياسية للإخوان في العراق :	١٣٨
١ - المواقف الداخلية :	١٣٨
٢ - المواقف الخارجية :	١٤٤
موقف الحكومات الملكية من الإخوان :	١٤٩
أسلوب عمل الإخوان في فترة الحكم الملكي :	١٥٤
الأخوات المسلمات في العراق :	١٥٩
صحافة الإخوان في عهد الصواف :	١٦١

الأخوة الإسلامية :	١٦١
لواء الإخوان :	١٦٤
الطريق المستقيم :	١٦٥
الحساب :	١٦٥
صوت الإخوان :	١٦٦
الإخوان المسلمون بعد ثورة تموز ١٩٥٨	١٦٧

• الفصل الأول:

قيادة الدكتور عبدالكريم زيدان وتأسيس الحزب الإسلامي العراقي	١٧٩
حياته وشخصيته :	١٨٠
إفتتاح الحزب الإسلامي :	١٨٤
قيام الحزب :	١٨٧
الأعمال التي قام بها الحزب الإسلامي :	١٨٨
فهم الحزب للإسلام :	١٨٨
موقف الحزب من الوحدة الوطنية والعربية والإسلامية :	١٨٩
موقف الحزب من الشيوعية والإستعمار :	١٨٩
موقف الحزب من القومية الكردية والتركمانية :	١٩٠
موقف الحزب من المواطنين غير المسلمين :	١٩٠
موقف الحزب من مجازر كركوك والموصل :	١٩١
موقف الحزب من فترة الانتقال والدستور والمجلس الوطني :	١٩٢
موقف الحزب من المعارف :	١٩٢
الحزب الإسلامي وأسلوب الكفاح السياسي :	١٩٣

الحزب الإسلامي ومشاكل العمال والفلاحين ومشكلة الفقر بصورة عامة.....	١٩٣
دستور الحزب الإسلامي العراقي :	١٩٨
مذكرة الحزب الشهيرة :	٢١٠
أولاً : موقف الحكومة :	٢١٢
ثانياً : موقف الحكومة من الشيوعية :	٢١٣
ثالثاً : الاعتقالات والحجز :	٢١٦
رابعاً : تصدع وحدة الأمة :	٢١٧
خامساً : الحالة الاقتصادية :	٢١٧
سادساً : حقوق العمال :	٢١٨
سابعاً : سياسة التعليم :	٢١٨
ثامناً : التضامن مع الدول العربية :	٢١٩
تاسعاً : شركات النفط :	٢١٩
عاشراً : الخاتمة :	٢١٩
اجتماع عبدالكريم قاسم بقيادة الحزب الإسلامي.....	٢٢٤

• الفصل الثاني:

عمل الإخوان في هذه الفترة.....	٢٣٣
المجلات والصحف والنشرات :	٢٣٣
جريدة الجهاد :	٢٣٣
الإخوان المسلمون في العراق :	٢٣٤
المنهاج :	٢٣٧
النقيب :	٢٣٩

٢٣٩	التوجيه الإسلامي :
٢٤٠	الموجز في النظريات العامة :
٢٤٠	المعلم :
٢٤٠	هذه دعوتنا :
٢٤٣	الخلاف الأخير في هذه الفترة :
٢٤٧	ملاحظات حول عبدالكريم زيدان :
٢٤٧	أثر دعوة الإخوان المسلمين في المجتمع العراقي :

• الفصل الثالث:

٢٥٧	الإخوان المسلمون بعد إنقلاب البعثين عام ١٩٦٨ م
٢٦٠	موقف الإخوان :
٢٦١	إيقاف التنظيم :
٢٦٢	عودة التنظيمات :
٢٦٨	انتخاب مجلس الشورى الجديد :
٢٦٩	إكتشاف القيادة :
٢٧٣	آثار المؤلف
٢٨١	فهرس المحتويات





الناري الشبائي